



أشغال الملتقى الخامس للمرأة العربية

دور المرأة العربية في التنمية المستدامة

الرباط 12 – 16 نونبر 2007

سلسلة الزهراء : العدد الرابع

الطبعة الأولى
صفر 1430 هـ / فبراير 2010

الإيداع القانوني رقم
2010 MO 0402

الردمد
2028-1080

المطبعة

RABAT NET
Av. Hassan II Cité Al Manar Diour Jamaa Rabat
Tél. : 05 37 20 46 32
E-mail : imprimerierabatnet@gmail.com

تقديم:

هذا الكتاب هو خلاصة لمجموع الدراسات والأبحاث التي قدمت خلال الملتقى الذي نظمه منتدى الزهراء للمرأة المغربية بالشراكة مع المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية، في نوفمبر 2007. وقد انصببت أشغال هذا الملتقى على معالجة إشكالية أساسية تتعلق بإسهامات المرأة العربية في التنمية المستدامة.

إن مفهوم التنمية المستدامة لا يكتمل بدون إسهام جميع أفراد المجتمع في العملية التنموية، وفي هذا السياق يمكن القول بأنه بقدر ما تتمتع المرأة من مكانة وما يتاح لها من فرص الإسهام في الحياة العامة، بقدر ما يشير ذلك إلى تقدم الدول تنموياً. والنظر إلى المرأة العربية ودورها التنموي قد تغير خلال العقود الأخيرة فقد ولجت العديد من مجالات العمل (الإدارية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية)، بالإضافة إلى المجال الدبلوماسي والمناصب الوزارية والوظائف العسكرية التي كانت حكراً على الرجال. وقد أثبتت المرأة العربية كفاءتها وتميزها في العديد من هذه المجالات.

وانطلاقاً من إيمان منتدى الزهراء للمرأة المغربية بالدور الذي تلعبه المرأة في صناعة المستقبل من خلال موقعها كأم، ومساهمتها في التنمية الأسرية عن طريق تربية الأبناء على قيم ايجابية أصيلة تساهُم في الحفاظ على البيئة وحق الأجيال القادمة في الاستفادة منها، وزرع قيم العدل والإنصاف والمساواة واحترام حق الاختلاف والحرية، وهو ما يعطي لإسهاماتها موقعاً حاسماً في معركة التنمية المستدامة.

ورغم بروز بعض المؤشرات الايجابية من قبيل الارتفاع الملحوظ في تعداد الفتيات وتواجد النساء في مراكز القرار، فإن الدور المحوري للمرأة تعترضه مجموعة من العوائق البنوية التي تعرفها بلداننا من قبيل ارتفاع أرقام

الأمية وتفشي الجهل وضعف العناية الصحية وتدني المستوى الثقافي وأنوثة الفقر . ومن هنا تبرز أهمية التفكير والخطيط في السبل الكفيلة بتجاوز هذه الظواهر التي تصنف الدول العربية في مراتب متأخرة في مسار التنمية.

وفي هذا السياق تبرز مسؤولية المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية ، لتلعب دورا أساسيا في الرقي بأوضاع المرأة في محاولة منها للإسهام في التغلب على المعيقات التي تقف حاجزا أمام التنمية الحقيقية.

ومن هنا جاء احتضان منتدى الزهراء للمرأة الغربية للملتقى الخامس للمرأة العربية بشراكة مع المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية، وذلك لتدارس موضوع دور المرأة العربية في التنمية المستدامة.

ذة. بثينة قرروري
رئيسة منتدى الزهراء للمرأة الغربية

الجلسة الافتتاحية



كلمة السيدة سمية بنخلدون رئيسة منتدى الزهراء للمرأة المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على
أشرف المرسلين

السيدات والسادة سفراة الدول العربية وممثلي السلك الدبلوماسي
المعتمدين بالغرب، الضيوف الكريمات الممثلات لوفود الدول العربية
المشاركة في الملتقى، السيدات والسادة ممثلي القطاعات الوزارية، السيدات

والسادة النواب البرلمانيين، السادة ممثلي الأحزاب السياسية، السيدات والسادة ممثلي المجالس العلمية، السيدات والسادة ممثلي الجامعات والجمعيات المغربية، السيدات والسادة ممثلي وسائل الإعلام، السادة الأطر والأساتذة و الباحثين، أيها الحضور الكريم.

أود في البداية أن أرحب بكم، باسم منتدى الزهراء للمرأة العربية، وأشكر حضوركم و تشريفكم لنا في الجلسة الافتتاحية للملتقى الخامس للمرأة العربية الذي تنظمه المنظمة العربية للتنمية الإدارية – جامعة الدول العربية- بتعاون مع منتدى الزهراء للمرأة العربية، حول موضوع "دور المرأة العربية في التنمية المستدامة" كما نشكر السيد مدير المدرسة الوطنية للإدارة الذي أتاح لنا فرصة عقد أشغال هذه الجلسة في رحاب مدرسته العاملة.

أيها الحضور الكريم،

لقد أثبتت الدراسات التنموية الحديثة أن التنمية المنشودة للمجتمعات والدول لا تتحقق دون المشاركة الراشدة للمرأة وتضافر جهود أبناء الوطن رجالاً ونساءً، وقد وع特 المرأة العربية أهمية مساهمتها في التنمية، وقطعت أشواطاً مقدرة على درب التنمية في مختلف الأقطار العربية، وهكذا ارتفعت نسبة مشاركتها في شتى مجالات العمل بكل كفاءة واقتدار، حيث ولجت المرأة العربية سوق الشغل وانخرطت في أسلاك الوظيفة العمومية، وشيدت المقاولات وأدارتها بحنكة، وأطرت دروس الوعظ والإرشاد الديني، كما أسست الجمعيات المدنية وقدمت من خلالها خدمات جليلة للمجتمع، وعززت صفو الأحزاب السياسية وولجت قبة البرلمان، وتقلدت المهام الدبلوماسية والمناصب الوزارية، ومع ذلك لم تغفل عن دورها التنموي في مؤسسة الأسرة.

وفي هذا الإطار تعقد المنظمة العربية للتنمية الإدارية بتعاون مع منتدى الزهراء للمرأة العربية هذا الملتقى حول دور المرأة العربية في التنمية المستدامة من أجل تسليط الضوء على الإسهامات التنموية للمرأة العربية،

كما يطرح الملتقى مجموعة من التساؤلات والإشكالات حول عطاء المرأة العربية في مختلف المجالات، وما هي سبل تطويرها؟ وكيف تدير المرأة العربية مختلف الأدوار؟ وما عطاها وإسهامها لتحقيق التنمية المنشودة؟ وكيف توفق المرأة العربية في عطائها بين مختلف الجبهات؟

كما يهدف الملتقى إلى دراسة وتحليل دور المرأة العربية في التنمية المستدامة، والبحث عن السبيل الكفيلة لتطوير مساهمة المرأة العربية في شتى الميادين، مع تحديد دور المرأة العربية في تطوير البيئة العربية، ومناقشة الدور الفاعل والتنموي للمرأة العربية في التنشئة الأسرية، وكذا تحديد الدور الإداري للمرأة العربية في تطوير المؤسسات والمنظمات العربية، مع الوقوف على مجموعة من تجارب الدول العربية بغية الاستفادة منها.

ونأمل في منتدى الزهراء للمرأة الغربية أن تكلل أشغال هذا الملتقى بالنجاح، وأن تصدر عنه بمجموعة من الخلاصات والتوصيات التي سنعمل على رفعها إلى الهيئات المعنية في الوطن العربي بغية تطوير سبل مشاركة المرأة العربية في التنمية المستدامة.

مرة أخرى أيها الحضور الكريم نرحب بكم، ونشكركم على تلبية الدعوة فتواجدكم معنا دعم لمنتدى الزهراء للمرأة الغربية، الذي شرفته المنظمة العربية للتنمية الإدارية -جامعة الدول العربية- باختياره كشريك متعاون في تنظيم أشغال هذا الملتقى بالمغرب، وشرفتنا كذلك باختيار المغرب لعقد ملتقاها الخامس حول المرأة العربية.

فمرحباً بكم وحللتكم سهلاً وزللتكم أهلاً، الوفود العربية المشاركة التي شرفتنا نرحب بها مجدداً. وأعطي الكلمة للأستاذ الدكتور حسين الدوري مستشار المنظمة، ومنسق عام الملتقى، وممثل المنظمة العربية للتنمية الإدارية بجامعة الدول العربية، الذي شرفنا بحضوره الشخصي وبتنسيقه لهذا الملتقى فليتفضل مشكوراً.

شكراً على حسن تتبعكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأستاذ الدكتور حسين الدوري

ممثل المنظمة العربية للتنمية الإدارية - جامعة الدول العربية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلوة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

سعادة الأستاذة ممثلة وزارة التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن.

سعادة الأستاذ ممثل كاتبة الدولة للشؤون الخارجية .

الأخت الفاضلة الدكتورة سمية بنخلدون رئيسة منتدى الزهراء للمرأة المغربية.

الأخ العزيز الكريم الذي فتح لنا صدره وقلبه ونعقد هذا الملتقى في رحابه أخي العزيز الأستاذ الدكتور مصطفى التيمي مفتش عام وزارة تحديث القطاعات، ومدير عام المدرسة بالنيابة .

أصحاب السعادة ممثلي السفارات العربية، الأخوات والأخوة الأكارام .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

باسم المنظمة العربية للتنمية الإدارية أحبيكم وأرجوكم في هذا المكان، في هذا الصرح الإداري العتيد الذي إن استطعت واسترقت السمع قليلا من خلال حوار أخي مصطفى التميي مع إحدى الأخوات الفضليات من الإمارات بأن المدرسة هذا الصرح الإداري العتيدة قد أنتجت وخرج حوالي ثلاثة بالمائة من الأطر الإدارية والدبلوماسية بالملكة وهذا الرقم ليس بالهين وربما يزيد فالمدرسة الوطنية للإدارة لها دور فاعل في تخرج الأطر والكوادر الإدارية وتلعب دورا بارزا في عملية التنمية

الإدارية، وأقول ولا أغالٍي أن المملكة المغربية الحبيبة لها وقع بأنفسنا نحن في المنظمة العربية للتنمية الإدارية وفي الجامعة العربية ملكاً وشعباً وأرضاً وهواء وماءاً لأمور عديدة . فيسرني جداً مرة أخرى أن أرحب بكم في هذا الملتقى. والأخوات اللواتي جئننا من الدول العربية أقول أهلاً حلتُن وسهلاً وطأتن ونتمنى لهذه الصفة الطيبة طيب الإقامة وثراء الإفادة والاستفادة.

حضرات الأخوات والإخوة؛ دأبت المنظمة العربية للتنمية الإدارية على عقد هذا الملتقى سنوياً من إيمان مطلق بأن للمرأة العربية دور فاعل وكبير في عملية التنمية الشاملة ، ونحن كأساتذة إدارة نرى التنمية الشاملة من منطلق أن القطاع الحكومي والقطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني تجتمع أدوار كاملة لإحداث التنمية الشاملة لا بل التنمية المستدامة. وأنا شخصياً مؤمن بإيمان مطلق ولا أغالٍي إن قلت إذا كان الشاعر قد قال :

قام للمعلم ووفيه التمجيل كاد المعلم أن يكون رسولاً

استرق وربما أحرف قليلاً وأقول :

قادت المرأة أن تكون رسولاً قم للمرأة ووفيها التمجيل

هذا الأمر مع الأسف من العرب وأنا منهم أنا عربي والله من العراق أنتنا نحن العرب نجحف أحياناً دور المرأة، ولو لدقائق تبادلنا الأدوار لما استطاع الرجل أن يقوم بدور المرأة، دور المؤظفة والإدارية والسياسية والتربية وربة المنزل، وتقوم بكل الواجبات والأمر الأكبر وهو الحمل، والله سبحانه وتعالى جعل الجنة تحت أقدام الأمهات من هنا أقول :

قام للمرأة ووفيها التمجيل كادت المرأة أن تكون رسولاً

من هذا المنطلق نؤمن بإيماناً مطلقاً في المنظمة العربية للتنمية الإدارية بأن يكون للمرأة دوراً فاعلاً. نعم هناك تحديات كبيرة أمام المرأة فالآلفية الثالثة بمعطياتها السياسية وتطوراتها المتسارعة التكنولوجية والاقتصادية ... خلقت تحديات كبيرة أمام هذه المرأة، المرأة لا تعطى منحة ولكن

أقول لكن أخواتي العزيزات إن لم تنتزع المرأة فرصتها لن تمنح لها. فمن وجهة نظري المتواضعة على المرأة أن تنتزع فرصتها، فهناك تحديات وهناك فرص تعليمية وتربوية وربما تشريعية ولكن هناك تحديات سياسية وتشريعية وأخرى مرتبطة بالأعراف والتقاليد تحد من دور المرأة، لذلك على المرأة العربية، وفي مقدمتها المرأة الغربية التي قطعت أشواطاً ولها باع طویل لها نصيب في البرلمان وفي الوزارة وفي الإدارات التربوية، هذه الأمور يجب أن تستثمر.

من هذا المنطلق جاء الاهتمام بسلسلة هذه الملتقىات ، - وهذا الملتقى الخامس - حيث عقد الملتقى الأول في الدوحة بقطر، وعقد الملتقى الثاني في أبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة بالتعاون مع الإتحاد العام لنساء الإمارات برعاية الشيخة فاطنة بنت أمبارك وبدور فاعل للأستاذة نورة السويدي، ثم الملتقى الثالث في القاهرة وكما تعلمون أن المرأة المصرية لها اليد الطويلة والباع الطويل. والملتقى الرابع عقد في الجمهورية العربية السورية. ونحن الآن في رحاب المرأة الغربية الحبيبة لعقد الملتقى الخامس الذي أرجوا لكم من خلال جلساته الأربع الفائدة الكبيرة والاستفادة والإثراء.

هذا الملتقى يتحدث عن أربع محاور أساسية :

المحور الأول عن مفهوم التنمية المستدامة والتنمية الشاملة ونحن أساتذة الإدارة لنا قول واضح في هذا المجال، هناك خلط فيما يتعلق بموضوع التنمية والتطوير والتحديث. ففي هذا المحور سنحاول أن نجلي الغبار عن مفهوم التنمية المستدامة حتى لانفعل كمن أراد أن يكحل العين فأعمها، فنقول ما هي التنمية الشاملة في ظل دولة التنمية الشاملة لا الدولة التقليدية؟

ثم التنمية المستدامة أثر العولمة عليها، حتى نقول أين المرأة العربية بالتكامل بين المنظمات والاتحادات العربية هذا المحور سنتريه بجلستين إن شاء الله.

المحوود الثاني عن البيئة لأن المرأة العربية لها دور فاعل في المحافظة على البيئة العربية وتطويرها.

الأمر الثالث أن للمرأة العربية دور كبير اجتماعي وأسري وإداري، وهنا أذكر احترامي وتبجيلي للمرأة العربية التي جمعت مختلف الأدوار فالمرأة ربة بيت وقائدة تربوية وموظفة شأنها شأن الرجل إضافة إلى أدوارها الأخرى التي تتميز بها عن الرجل، هذه حقيقة أنا أؤمن بها.

الأمر الآخر سناحول تسليط الضوء على تجارب الدول العربية المشاركة في هذا الملتقى كالتجربة الإماراتية الرائدة، والقطريّة والعمانية والبحرينية ... ليعكس كل وفـد تجربته. كما نأمل أن نقف على الدور الفاعل للتجربة المغربية .

وفي الختام : أنا عاجز عن الشكر كل الشكر للمملكة المغربية ملكاً وحكومة وشعباً وقيادات عن هذا الصدر الرحب وهم أهلنا وصلة أرحاماً. الشكر موصول لوزارة تحديث القطاعات، والمدرسة الوطنية للإدارة ول مدیرها العام ومدیر التفتيش، ول مدیر هذا الصرح الإداري الأستاذ مصطفى التيمي؛

والشكر موصول ل منتدى الزهراء للمرأة المغربية وللأخت الفاضلة الدكتورة سميمية بنخلدون رئيسه؛ والشكر موصول لمن شرفتا بالحضور: ممثلة معالي وزيرة التنمية الاجتماعية، وكذلك كتابة الدولة بوزارة الخارجية؛ الأخوة والأخوات ممثلي سفارات الدول العربية حضوركم يشرفنا .

أتمنى لكم طيب الإقامة بالذات الأخوات العربيات اللواتي جئن من خارج المملكة وتجشنمن عناء السفر، لكم إن شاء الله طيب الإقامة وثراء الإفادة والاستفادة. الشكر لأهل الدار المملكة المغربية الذين أحسنوا التنظيم والترحاب والتهليل والتجليل بنا، نعم هم فعلاً كما قال الشاعر:

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

أتمنى لكم إخوانني أخواتي طيب الإقامة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

**كلمة السيدة نعيمة بنىحيى
مديرة شؤون المرأة والأسرة والطفولة
ممثلة وزيرة التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن**

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد ممثل المنظمة العربية للتنمية الإدارية
السيدة رئيسة منتدى الزهراء للمرأة المغربية
السيد ممثل كتابة الدولة لدى وزارة الشؤون الخارجية والتعاون
السيد مدير المدرسة الوطنية للإدارة
أخواتي العزيزات إخواني الأعزاء

بداية يسعدني أن أحضر معكم هذا اللقاء باسم السيدة وزيرة التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن، وباسمها أبلغكم اعتذارها لعدم حضور هذه الجلسة نظراً لتواجدها خارج مدينة الرباط، كما أبلغكم تحياتها وتمنياتها بال توفيق لهذا الملتقى الذي يهم المرأة والتنمية المستدامة، كما أتمنه بالعمل الذي تقوم به رئيسة منتدى الزهراء التي عودتنا بمبادرات مواطنة ذات تميز خاص يجمع بين موضوعي هما الهاجس الأكبر في بلدنا المغرب وكذا في الدول العربية الشقيقة.

واسمحوا لي بهذه المناسبة أن أجدد الترحاب بكل المشاركين والمشاركات من الدول والمنظمات العربية الشقيقة في بلدكم الثاني المغرب.

حضرات السيدات والسادة

إن الموضوع الذي تم اختياره للقاءكم اليوم هو من الأهمية بمكان، لأنّه يتمحور حول دور المرأة في التنمية المستدامة وهمّ قضيتان مرتبطتان

ارتباطاً وثيقاً، وهذا الاختيار إن دل على شيء فإنما يدل على الهاجس الذي نتقاسمه جميعاً، من أجل أن يعي المجتمع كله مدى أهمية دور النساء في تحقيق نمو وازدهار الدول وبالمقابل مدى تأثير عدم إدماج نصف المجتمع عددياً في عجلة التنمية مع كل الطاقات التي يخترنها هذا النصف، خاصة وأن تقارير التنمية البشرية الأممية وآخرها تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تؤكد على أن عدم إدماج المرأة في التنمية من بين العوامل الأساسية في عدم بلوغ هذه الدول المراتب المتقدمة في سلم التنمية.

حضرات السيدات والسادة

إن تحقيق التنمية لا يمكن أن يتم إلا عبر وضع وتطبيق استراتيجيات ومبادرات ترتكز على تحقيق التنمية من جهة وعلى مبادئ المساواة بين الرجال والنساء في دينامية هذه التنمية من جهة أخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار حاجيات كل من الرجال والنساء عند التخطيط وتنفيذ وتتبع السياسات والبرامج التنموية.

لذلك فقد أعطى المغرب أهمية قصوى لهذين المعطيين:

من جهة هناك المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي أعطى انطلاقتها جلالة الملك محمد السادس من أجل إرساء أسس مشروع مجتمعي لغرب حداثي ديمقراطي، اجتماعي ومتضامن، إذ يجعل العنصر البشري محوراً لكل تنمية وتتوفر إطاراً مستقبلياً لإعادة تنظيم التضامنات في ظل المرجعيات الوطنية الأساسية وتسريع وثيرة محاربة الفقر والإقصاء والفوارق الاجتماعية والجنسية.

كما تشكل بامتياز الإطار الإستراتيجي المرجعي الذي يوفر وحدة الرؤية للبرامج والمشاريع، وآلية للابتكار في مجال الهندسة الاجتماعية والتكافل التشاركي بال حاجيات المختلفة للرجال والنساء على حد سواء، وكذلك أداة التحفيز من التباينات التي غالباً ما تزال تحد من المشاركة الفعالة

للنساء في مسلسل البناء الاجتماعي المتوازن والذي لا يمكن أن يتم في غياب المرأة من مراكز اتحاد القرار.

ومن جهة ثانية سهرت الحكومة المغربية بتعاون مع الجمعيات التي لعبت دورا طلائعا طيلة هذه المرحلة ولا زالت - ومن بينها طبعا منتدى الزهراء - على إعداد إستراتيجية وطنية للإنصاف والمساواة بين الجنسين بإدماج مقاربة النوع الاجتماعي في السياسات والبرامج التنموية. هذه الإستراتيجية التي تتأسس على رؤية واضحة شمولية مفادها "تنمية بشريّة مستدامة وعادلة قائمة على الإنصاف والمساواة بين الجنسين"، والمرتكزات الأساسية لهذه الإستراتيجية هي ديننا الحنيف، الدستور، والمواثيق الدولية.

وتترعرع هذه الرؤية إلى هدفين أساسيين: وهو مشاركة النساء والرجال بشكل منصف ومتساوٍ في الإعداد والتوجيه والتأثير في السياسات والبرامج التنموية، وأن يستفيد النساء والرجال، الفتيات والفتىان على حد سواء بشكل منصف ومتساوٍ في السياسات وبرامج التنمية.

وقد شرع في تنفيذ هذه الإستراتيجية بإجراءات اتخذتها مختلف الإدارات المغربية وعلى رأسها وزارة تحديث القطاعات العامة، والتي تهدف في مجملها إلى إدماج مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص في السياسات العامة للدولة. وفي هذا السياق تجدر الإشارة خاصة إلى التصنيف حسب الجنس للمعطيات الإحصائية وإدراج مقاربة النوع الاجتماعي في إعداد ميزانية الدولة، والذي تمثل في وضع وزارة المالية لتقرير النوع الاجتماعي المرفق بالتقرير الاقتصادي والمالي الذي صاحب مشروع القانون المالي ابتداء من سنة 2006.

حضرات السيدات والسادة

رغم الإدارة السياسية لبلادنا وتبلورها من خلال مجموعة من التدابير أهمها تعيين سبع وزیرات في الحكومة الحالية وهو ما يشكل

تقريباً 20 بالمائة من مجموع أعضاء الحكومة، كما مكن مبدأ الكوتوط من الرفع من عدد البرلمانيات في الغرفة الأولى من 2 قبل سنة 2002 إلى 34 امرأة في مجلس النواب برسم سنة 2007، فان اعتقادنا أكيد انه لا يمكن تحقيق رهان التنمية في ظل الظروف الراهنة والتنافسية الدولية دون تمكين المرأة سياسياً خاصة على المستوى التمثيلية المحلية، لذلك يبقى لدينا تحد كبير هو العمل سوياً من أجل إيجاد السبل والإجراءات الكفيلة بالرفع من مستوى هذه التمثيلية. كما أن عملاً ينتظروننا من أجل العمل على القضاء على الصور النمطية الرائجة في دولنا العربية والتي تحول دون تقدم مجتمعاتنا، أغتنم هذه الفرصة لأوجه دعوة للرجال لاقتسام المسؤوليات مع النساء.

حضرات السيدات والسادة

إن المحاور المقترحة في هذا اللقاء ستفضي ولا محالة إلى إغفاء رؤيتنا المشتركة لدور المرأة في التنمية المستدامة، وهو انتظار نسجله بكل اهتمام كقطاع حكومي مسؤول على تدبير ملف التنمية البشرية والنهوض بأوضاع المرأة لتزامنه مع أوراش كبيرة مفتوحة في المجال في بلدنا وفي مجمل بلدان الدول العربية.

كما أعبر لكم باسم السيدة الوزيرة على استعدادنا لواصلة العمل بعد نهاية الملتقى من أجل تنفيذ توصيات هذا العمل بتعاون مع كل الفاعلين. نتمنى لأشغال هذا الملتقى النجاح والتوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة السيدة لطيفة أخرباش كاتبة الدولة لدى وزير الخارجية والتعاون

بسم الله الرحمن الرحيم

السيدة رئيسة منتدى الزهراء للمرأة المغربية

السيد ممثل المنظمة العربية للتنمية الإدارية

السيدة ممثلة وزارة التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن

الوفود العربية المشاركة

أصحاب السعادة، حضرات السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أود في البداية أن أتقدم بأحر عبارات الشكر والامتنان إلى المنظمة العربية للتنمية الإدارية ومنتدى الزهراء للمرأة المغربية ولكل المساهمين على الدعوة الكريمة للمشاركة في هذه الجلسة الافتتاحية لهذا الملتقى الذي أعتبره بادرة مهمة تقع في سياق المهام والاجتهادات التي يعني بها الوطن العربي كما يعني بها المجتمع الدولي حكومات ومنظمات وجمعيات....، وصولا إلى القضاء على ممارسات التمييز ضد المرأة وإنشاء الآليات اللازمة لمشاركتها المتكافئة في الحياة العامة ورفع من منزلتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والإدارية.

إن المغرب الذي قطع أشواطا مهمة تعكس صورة حضارية مضيئة ومشرفه تجسد قدرته على العمل من أجل ترسيخ القيم الكونية للديمقراطية، من خلال ما تحقق ومن خلال الأوراش المفتوحة والمجهودات المتواصلة، سائر في صون كرامة الأسرة المغربية من خلال الاهتمام الذي يوليه صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله للقضايا الاجتماعية سواء تعلق

الأمر بالمرأة أو بأوضاع الأسرة أو مدونة الأسرة التي شكلت حدثاً متميزاً على مستوى العالم العربي والإسلامي أو تعلق الأمر بأوضاع الطفولة والشباب أو المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي تعبّر عن فلسفة عميقة تروم القضاء على الفقر والإقصاء وتنمية المواطنات والمواطنين دونما تمييز...

إن مساعدة منتدى الزهراء والمنظمة العربية للتنمية الإدارية والوزارة المكلفة بتحديث القطاعات العامة بادرة تستحق الشكر والثناء لأنها تصبو انطلاقاً من أشغالها على موضوع "دور المرأة العربية في التنمية المستدامة" إلى :

- إبراز دور المرأة في تطوير البيئة العربية ومناقشة دورها الفاعل في التنشئة الأسرية وفي تطوير المؤسسات والمنظمات العربية.
- إبراز التجارب العربية العلمية والعملية الرائدة في الميدان السياسي المدنية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

مساهمة هذا الملتقى إذن ومن خلال طرحه لكل هذه الإشكالات تدخل دونما شك في سياق المجهودات الجادة التي ربما تتتنوع مجالاتها وتختلف مقارباتها، لكن تتوحد في هدف واحد: الدعوة للاحتفاء بالحوار الهدف في سبيل البناء المشترك، بناء تنمية مستدامة غير قابلة للانكماش.

ولعل ما يمنح هذا الملتقى نكهة خاصة: المشاركة النوعية –التي تستحق مني التقدير الكبير– للوفود العربية والأساتذة الباحثين والفاعلات الجمعويات وهذا ما سيثيري الحوار والنقاش وسيوفر بالتالي تراكماً مهماً من الأعمال التي ستتشكل قيمة إضافية في سبيل:

- ايلاء العناية الكافية لمواكبة انجازات المرأة العربية ومشاركتها الفعلية في تنمية الوطن.
- إظهار مواطن قوتها وكيفية توظيفها بدلاً عن السلبية وضعف وضآلتها المكان.

نقول هذا ونحن ندرك بالمقابل أن هناك مستجدات ومتغيرات جديدة في عالمنا العربي توحّي بقدر من الأمل كما توحّي بنشوء فهم جديد لقضية المرأة، ثمة أيضاً وعي متجدد لحتمية الاهتمام بإشراك المرأة كمكون مجتمعي فاعل يتعالى على التصورات المتأرجحة بين التكريس والتشويه، ثمة إيمان أيضاً بالحاجة إلى تبوأ المرأة لمكانة اللائقة بها في التنمية المتوازنة والمستدامة إلى جانب صنوفها الرجل، ثم ثمة نماذج رائدة تدعوا إلى التضامن كقيمة أساسية مستمدّة من ديننا الحنيف لتعزيز التماسك الاجتماعي وصيانة الحقوق الأساسية والنهوض بواجبنا اتجاه المجتمع، كما تعبّر عن ذلك المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي أعطى جلاله الملك محمد السادس نصره الله انطلاقتها في ماي 2005.

أعانكم الله في أشغالكم، ولننطلع إلى الغد بعقل مستنير وقلب مفتوح وعمل مثابر، والله الموفق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السيدة آمنة عمير بن يوسف

كلمة الوفود العربية المشاركة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلوة والسلام على سيدنا محمد أشرف الأنبياء والمرسلين.

السيدة رئيسة منتدى الزهراء للمرأة المغربية.

السيد ممثل المنظمة العربية للتنمية الإدارية.

السيدة ممثلة وزيرة التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن.

السيد ممثل كاتبة الدولة في الخارجية .

الحضور الكرام؛ السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

يطيب لوفد دولة الإمارات العربية المتحدة أن يشرف بإلقاء كلمة الوفود العربية المشاركة بهذا الملتقى، إنه لتكريم بالغ أن يسمح لنا بإلقاء هذه الكلمة، فالشكر لكل من ساهم في هذا التكريم وذاك التشريف.

كما يطيب لنا أن نحمل لهذا الملتقى الكريم منظمين ووفود تحية صاحبة السمو الشيخة فاطنة بن امبارك الرئيس الأعلى لمؤسسة التنمية الأسرية، رئيسة الإتحاد النسائي العام، ورئيسة منظمة المرأة العربية ، وتمنياتها للجميع بالتوفيق في مسعاهن والرشاد في مبتعاهن، ورجاءها من المولى سبحانه وتعالى أن يسدد خطاهن. لقد وجهت سموها بتشكيل وفد للمشاركة في هذا الملتقى إيماناً منها بضرورة التقاء الأفكار من أجل تبادل الخبرات ونقل التجارب بما يساهم في الارتقاء بالمرأة العربية أينما وجدت.

لأشك أن الساحة العربية قد شهدت في العقود الأخيرة طفرة تطويرية في حياة المرأة العربية ؛ طفرة حققت قدرًا من التوازن في التواجد النسائي في مختلف مجالات الحياة فيسائر وطننا العربي، حيث لم يكن في سابق الإطار الاجتماعي والثقافي والسياسي المحيط بالمرأة العربية واحداً فيسائر الدول العربية.

كانت المرأة العربية منطلقة في بعض البلدان ومقيدة في البعض الآخر، كانت منطلقة تواكب بعطاها ونشاطها وفعالياتها مسيرة المرأة العربية في الدول المتقدمة بينما أختها تعاني من قيود موروثة حالت بينها وبين التواجد المؤثر في حياة مجتمعها. لذلك افتقدت هذه المجتمعات حقبة من الزمن عطاء نصف طاقتها مما أثر سلبًا على حركة التنمية فيها هذا من جانب، ومن جانب آخر افتقدت المرأة في تلك المجتمعات حظوة المشاركة الفعالة في القضايا العامة لمجتمعها مما جعلها تعاني العزلة والتهميش والتشكيك في قدرتها إلى أن شهدت هذه الدول وفي الآونة الأخيرة انطلاقه ثقافية وسياسية حدث بها لأن تلتفت إلى أسباب تخلفها عن ركب التقدم وكان من أبرز نتائج تلك الانطلاقه المستوى المتقدم الذي وصلت إليه المرأة العربية على صعيد الوطن الكبير في العديد من مجالات ومناحي الحياة العلمية والعملية.

إن المرأة العربية تملك ميراثاً عظيماً يؤهلها للمشاركة في تطوير واقعها الراهن بل وواقع مجتمعها كله، ثقتنا كبيرة وتفاؤلنا بلا حدود بقدرتنا على تحدي الصعاب وتحقيق أجمل الغايات والأهداف بالتكافف والتعاون وتبادل الخبرات من أجل تقديم نموذج صادق وعبر عن المرأة العربية والتي عانت كثيراً بسبب الصورة المغلوطة التي رسمها الإعلام لها عن جهل في حين وعن سوء نية في أغلب الأحيان، وأحسب أننا مطالبون بأن نعيّد تصحيح هذه الصورة التي لا تعبّر بأي حال عن المرأة العربية ولا تعطيها حقها كعضو ناشط وفاعل في مجتمعها، وتؤدي دورها في خدمة أسرتها الصغيرة ومجتمعها الكبير بكل إخلاص وتفان.

الحضور الكرام؛

اسمحوا لي أن أدلل على ما سبق الإشارة إليه بتجربة دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث شهدت الدولة ومنذ إعلان اتحادها وخلال ثلاثة عقود انطلاقاً فاعلة للتواجد النسائي في الحياة العامة حيث اندفعت المرأة نحو التعليم وسوق العمل والنشاط النسائي بحيث مكنتها من أن يكون لها الوجود المؤثر في حركة الحياة في مجتمعها ولم تترك أي مجال إلا وكان لها وجود فيه وبذلك نستطيع أن نقول وبحق إن المرأة الإماراتية قد شاركت الرجل وقادته البناء العصري لمجتمعها بجد وإخلاص وتفان جعلها موضع انبهار ومحل تقدير من الجميع .

الأخوات عضوات الوفود، الملتقى الكريم، إن مرحلة العطاء ليس لها مدى، إنها دائمة دوام الحياة الإنسانية وما زال أمام المرأة العربية الكثير كي تعوض ما كان من حرمان بعض المجتمعات من عطائها، والكثير كي تسابر مستجدات الحياة وتحدياتها مستحقرة متطلبات التطوير الدائم لمجتمعها والتنمية المستمرة له، لذلك أقول إن الجهود المنظمة والأفكار المترافقية والرؤى المتعاونة في ساحتنا العربية هو السبيل الأفضل نحو اللحاق بأفق التقدم والوصول إلى المكانة التي تستحقها أمتنا العربية بين سائر الأمم الأخرى. وما هذا الملتقى إلا خطوة من خطوات سابقة وسوف تعقبه إن شاء الله خطوات لاحقة في طريق السعي نحو الارتقاء بهذه الأمة.

الشكر كل الشكر لكل من ساهم في تنظيم وإعداد هذا الملتقى.

الشكر كل الشكر لمنتدى الزهراء للمرأة المغربية.

الشكر كل الشكر للمنظمة العربية للتنمية الإدارية.

الشكر موصول لكل الوفود العربية الذي تشرف الملتقى بحضورها.

الحضور الكرام نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والنماء لأمتنا العربية.

والسلام عليكم وحمة الله وبركاته.

كلمة السيدة حنان الحداد
مشرفة الخلايا النسائية
التابعة للمجالس العلمية المحلية بالمغرب

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.
السيدة رئيسة منتدى الزهراء للمرأة المغربية
السيد ممثل المنظمة العربية للتنمية الإدارية
السيدة ممثلة وزارة التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن
السيد ممثل كتابة الدولة لدى وزير الخارجية والتعاون
الوفود العربية المشاركة
حضرات السادة والسيدات،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنها لسعادة بالغة أن تلتئماليوم نخبة مباركة من نساء العالم العربي تكبدت مشاق السفر لتعبر عن مستوى الإحساس بالمسؤولية لدى المرأة العربية، وتأكد الأدوار الرائدة التي قامت بها المرأة في التاريخ الإسلامي.

إن بلدنا الحبيب المغرب يشرف لأول مرة باحتضان الملتقى الخامس للمرأة العربية الذي ينظمه منتدى الزهراء للمرأة المغربية بالتنسيق والتعاون مع المنظمة العربية للتنمية الإدارية تحت شعار: "دور المرأة العربية في التنمية المستدامة".

وإذأشكر منتدى الزهراء على هذه الدعوة الكريمة، لايفوتني أن أثني بالمجهودات التي تقوم بها هذه الملتقيات في سبيل تحسين وضع

المرأة العربية قانونيا وسياسيا واجتماعيا في كل الدول العربية والارتقاء بها.

دعيت للمشاركة في هذا الملتقى بصفتي مشرفة على الخلايا النسائية التابعة للمجالس العلمية المحلية بالغرب، وهو جهاز وظيفته أخصصها إجمالا في : التأثيري الديني والنہوض بأوضاع المرأة والأسرة دينيا وروحيا وفكريا.

لكن قبل الدخول تفاصيل عمل هذا الجهاز اسمحوا لي أن أقدم لمحة سريعة عن مؤسسة المجلس العلمي الأعلى التي تعتبر مؤسسة العلامة بالغرب ، وهي مؤسسة يعرفها البعض في عالمنا العربي ولا يعرفها البعض الآخر.

المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية أحدثت في عهد الملك الراحل أمير المؤمنين الحسن الثاني طيب الله تراه، صدر قانونها المنظم بتاريخ 03 جمادى الآخرة 1401هـ الموافق 08 أبريل 1981م وقد اقتصر عدد المجالس العلمية في باكستان على أربعة عشر مجلسا، ثم ارتفع ليصل سنة 2000 في مطلع العهد الزاهر لأمير المؤمنين جلاله محمد السادس إلى تسعه عشر مجلسا.

وقد عرفت هذه المؤسسة في عام 2004 نوعا من إعادة التنظيم في هيكلها واحتياجاتها في سياق مشروع إصلاح الحقل الديني ، فأصبحت تخضع لإطار قانوني جديد هو الظهير الشريف رقم 1.03.300 المؤرخ بـ 2 ربيع الأول 1425هـ 22 أبريل الذي أعيد بمقتضاه تنظيم المجالس العلمية.

وعرفت وبالتالي شبكة المجالس توسيعا كبيرا حيث تضاعف عددها إلى ثلاثين مجلسا إضافة إلى تسعين وستين فرعا تغطي سائر أقاليم المملكة وعمالاتها.

وتشرف هذه المؤسسة بالرئاسة السامية لأمير المؤمنين ويضم في عضويته سبعة وأربعين عالما من بينهم امرأة عاملة :

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

بعض كبار العلماء يعينون بصفة شخصية من لدن جلالته الشريفة،
وعددتهم خمسة عشر

الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى

رؤساء المجالس العلمية وعددتهم ثلاثون

أما الأهداف والاختصاصات التي أنيطت بهذه المؤسسة فهي ضمان الأمن الروحي للمغاربة وحراسة الثوابت الدينية للأمة والمتمثلة في العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني وتعمل من خلال المجالس العلمية المحلية على تشطيط الحياة الدينية وفق برامج محددة ومتكاملة ، ولهذا الغاية حدد ظهير أبريل 2004 لهذه المؤسسة معاالم نشاطها، منها على سبيل المثال :

- دراسة القضايا التي يعرضها عليها رئيسها، جلالة الملك اعز الله أمره،
- إعداد برنامج عمل سنوي يتضمن الأنشطة المقترن القيام بها من قبل المجالس العلمية المحلية ،
- الإشراف على عمل المجالس العلمية المحلية، وتنسيق أنشطتها، وإصدار التوجيهات والتوصيات الرامية إلى ترشيد سيرها وتفعيل دورها في تأطير الحياة الدينية .
- إقامة علاقات تعاون علمي مع الهيئات والمنظمات الإسلامية ذات الاهتمام المشترك.

ومن الإضافات النوعية التي طالت المؤسسة العلمية في تركيبتها الجديدة الهيئة العلمية المكلفة بالإفتاء التي عهد إليها دون غيرها إصدار الفتاوى الرامية إلى بيان حكم الشريعة الإسلامية في القضايا ذات الصبغة العامة. وتتألف الهيئة من خمسة عشر عضوا من أعضاء المجلس العلمي الأعلى.

كما أحدثت لديه أربع لجن متخصصة دائمة هي :

- لجنة التوجيه والإرشاد الديني؛
- لجنة إحياء التراث الإسلامي؛
- لجنة الدراسات والأبحاث العلمية؛
- لجنة التعاون والتواصل وبرامج الأنشطة.

أما المجالس العلمية المحلية فهي أداة المجلس العلمي الأعلى على المستوى المحلي لتنشيط الحياة الدينية وتأطير المواطنين وتفقيههم بأمور دينهم.

ويضم كل مجلس رئيساً وبعضاً من أعضاء باستثناء مجالس كل من الدار البيضاء وفاس ومراكش حيث يضم الأول رئيساً وخمسة عشر عضواً، بينما يتتألف الآخرين من رئيس وأحد عشر عضواً.

وتعززت هذه المجالس بإحداث فروع لها في مختلف عمارات المملكة وأقاليمها ويكون كل فرع من أربعة أعضاء.

حددت اختصاصات المجالس العلمية المادة 13 في الآتي:

- الإشراف على كراسى الوعظ والإرشاد والثقافة الإسلامية؛
- تنظيم حلقات خاصة للتوعية والتوجيه الديني لفائدة المرأة المسلمة تؤطرها بصفة خاصة شخصيات علمية نسائية؛
- الإشراف على تهبيئ مسابقات دورية لحفظ القرآن الكريم وتجويده؛
- الإسهام في تأطير حملات محو الأمية بسائر مساجد المملكة؛
- الاضطلاع بمهمة إرشاد المواطنين والمواطنات المغاربة من المسلمين في أمور دينهم، لاسيما تيسير سبل إطلاعهم على معرفة أحكام الشرع المتعلقة بحياتهم الخاصة؛
- تنظيم ندوات علمية وموائد مستديرة لدراسة قضايا الفكر الإسلامي المعاصر والإسهام في نشر الوعي الإسلامي الصحيح؛

- الإشراف على عمليات اختيار المقيمين الدينيين و اختيار قدراتهم العلمية والفقهية لشغل مهام الإمامة والخطابة والوعظ والإرشاد بمختلف مساجد المملكة

- تنظيم دورات للتكوين الأساسي والتكوين المستمر لفائدة المقيمين الدينيين بصفة منتظمة قصد تأهيلهم والرفع من مستوى أدائهم.

كيف وجدت الخلايا النسائية بالمجالس؟

من أبرز مظاهر التجديد والتحديث الذي شهدته الحقل الديني بالغرب هو دخول المرأة العاملة لأول مرة بالمؤسسة العلمية، واضطلاعها بمسؤولية تبصير هذا الشأن بعد غياب استمر أكثر من عقدين من الزمان هو عمر المجالس العلمية ، وقد جاء هذا التعيين ليجسد الرغبة الملكية السامية في إدماج فعلى للمرأة في معركت البناء والتجدد جنبا إلى جنب مع شقيقها الرجل

كما أن فسح المجال للمرأة في الدخول للمؤسسة العلمية نابع من رؤية إسلامية أصيلة تمثلت في الحضور التاريخي للمرأة المسلمة في الحقل العلمي منذ زمن النبوة.

وهو في الوقت ذاته اتجاه إلى تصحيح أوضاع خاطئة أفضت إلى حرمان المرأة من الإسهام في خدمة الشأن الديني وحالت دون إطلاق عطائها وقدراتها العلمية والمعرفية

وهو ما جاء التنصيص عليه صراحة في ديباجة الظهير الشريف المنظم للمجالس العلمية حين الكلام على الأسباب الموجبة لإعادة تنظيم المجالس ، ومنها (اليقين بما بلغته المرأة المغربية بحكم تكوينها العلمي ، ومشاركة الفاعلة في كل الميادين وممارستها لكل المسؤوليات من مؤهلات جديرة بالاعتبار كفيلة بجعل المجالس العلمية على كل الشؤون الاجتماعية والدينية ، الملائمة لكل المواطنات والمواطنين على حد سواء.

لذا تقرر إشراك المرأة العاملة في هذه المجالس إنصافاً لها ، وثقة في ايجابية إسهامها فيها).

وكما سبق أشرت أن من اختصاصات المجالس العلمية تنظيم حلقات خاصة للتوعية والتوجيه الديني لفائد المرأة المسلمة ، تؤطرها بصفة خاصة شخصيات علمية نسائية الشيء الذي حتم على المجالس إيجاد العنصر النسوی الفاعل بين أعضائها وأعضاء فروعها.

ولما باشرت المؤسسة العلمية نشاطها بعد تنصيب المجلس العلمي الأعلى وال المجالس العلمية المحلية كل في دائرة نفوذه ، كشف الأداء اليومي عن عطاءات نسائية خالصة ، وأبان في الوقت نفسه عن قدرات علمية نسائية مشهود لها بالكفاءة من خارج المجالس عبرت عن استعدادها للتعاون على تحقيق الرسالة النبيلة المنوطه بالمؤسسة العلمية تأكيداً للشعار الذي رسمه جلاله الملك في خطابه الذي ألقاه بالدار البيضاء في العاشر من ربى الأول خمسة وعشرون وأربع مائة وألف ه الموافق ل 30 أبريل 2004م أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية أن المجالس الإقليمية ليست جزراً مهجورة من لدن العلماء غير الأعضاء بها بل نريدها ملتقياً لكل العلماء المتنورين.

وقد استدعى هذا الزخم إحداث إطار جديد لتنظيم وترشيد الجهد بإشراف ورعاية من المؤسسة العلمية ، فتم إنشاء خلايا مكلفة بشؤون المرأة وقضايا الأسرة على صعيد كل مجلس علمي محلي .

و توجت هذه الخلايا بإنشاء شعبة شؤون المرأة وقضايا الأسرة على مستوى الكتابة العامة للمجلس العلمي الأعلى التي من مهامها التنسيق مع باقي الخلايا النسائية بالمجالس العلمية المحلية وتتبع أنشطتها وتوجيهها وترشيد عملها.

وقد آلت صورة المؤسسة العلمية من حيث الحضور النسائي إلى وجود عاملة واحدة بالمجلس العلمي الأعلى وخمس وثلاثين عاملة بالمجالس العلمية المحلية منها أربع عضوات في المجلس العلمي المحلي بالدار البيضاء

واثنان بكل من المجلس العلمي المحلي بفاس ومراكب لشساعة المنطقة والكثافة السكانية ، فيما توزعت الباقيات على باقي المجالس.

أما الفروع فيصل عددها إلى 69 فرعا بسائر العمالات والأقاليم التابعة لدائرة التغذى الترابى لكل مجلس علمي محلى ، وعيين بكل فرع من هذا الفروع امرأة عاملة من بين أعضائها.

أما الخلايا فقد زاد عدد النسوة المنخرطات عن 300 امرأة .
وعليه فإن حجم المشاركة النسوية بالمجالس العلمية فاقت 400 امرأة في أفق أن يزداد هذا العدد.

ولقد أصبح من الممكناليوم أكثر من أي وقت مضى ، الحديث عن جمهور المرأة العالمية وهو جمهور نشأ كتمرة من ثمرات الانخراط النسائي الفاعل في رسالة المجالس العلمية.

فعلاوة على المساهمة في إنجاح الأنشطة الأساسية الاعتيادية للمجالس العلمية ، الهدافـة إلى تنمية الوعي الدينـي عبر المحاضرات والندوات ودورـوس الوعـظ والإـرشاد بالمساجـد ومسابـقات في القرـان الكـريم والـحـديـث الشـرـيف والـسـيـرة النـبـوـية ، تـضـطـلـعـ المرأةـ بالـمـجـالـسـ الـعـلـمـيـةـ كـذـلـكـ بـمـهـامـ مـحـوـ الـأـمـيـةـ وـتـأـطـيرـ الـحـجـاجـ . وـقـدـ تمـيـزـ الـأـدـاءـ النـسـوـيـ أـيـضاـ بـالـحـمـاسـ الشـدـيدـ وـالـجـرـأـةـ الـكـافـيـةـ الـتـيـ مـكـنـتـ الـمـرـأـةـ مـنـ تـكـثـيفـ هـذـاـ الـأـنـشـطـةـ بـمـاـ يـلـائـمـ اـهـتـمـامـاتـ الـأـسـرـةـ الـمـغـرـبـيـةـ وـانـشـغـالـاتـهاـ .

ولعل أبرز ما يمكن تسجيله ، حضورها اللافت في مجال العمل الاجتماعي سيما بعد الإعلان الملكي عن إطلاق المبادرة الوطنية للتنمية البشرية .

وتميزت مشاركة المرأة في هذا المضمار بأنماط جديدة مطورة وأشكال مبتكرة تصب في خدمة الأسرة المغربية المسلمة ، وتحفيـفـ المعـانـاةـ عنـهـاـ وـرـعـاـيـةـ الـمـشـارـيعـ الـرـامـيـةـ إـلـىـ تعـزـيزـ تـمـاسـكـهاـ كـإـصـلاحـ ذاتـ الـبـيـنـ دـاخـلـ الأـسـرـ ، وـتـوـعـيـةـ الشـبـابـ الـمـقـبـلـ عـلـىـ الزـوـاجـ وـالـأـسـرـ حـدـيـثـةـ النـشـأـةـ مـنـ خـلـالـ

الدورات التكوينية وإنشاء مراكز الاستماع للشباب عموماً وكذا بذل المساعدة الاجتماعية للأسر المعوزة.

كما نجحت المرأة العاملة في الانفتاح على فضاءات تحتضن شرائح اجتماعية عديدة تتتنوع أوضاعها ومستوياتها الاجتماعية والفكرية والثقافية والإنسانية من مؤسسات تعليمية ودور الأيتام والعجزة والأندية والسجون والداخليات وكثيراً ما كان يتم هذا النشاط بالتنسيق مع عدد من فعاليات المجتمع المدني في خطوة تجسد التواصل البناء للمجالس العلمية عبر خلاياها النسائية بالواقع المحلي

واستطاعت نساء المجالس كذلك أن تزيد من إشعاع الخطاب الديني وتصل به إلى مدى ومناطق ظلت بعيدة عن صدى نشاط المجالس العلمية، إذ عبر القوافل التنموية التي نظمتها بعض الخلايا النسائية أمكن الوصول إلى عدد من القرى والبوادي المعزولة وكذلك الأمر داخل الأحياء الفقيرة والأوساط الأكثر عرضة لمخاطر الانحراف

وأكتفي بهذا القدر وأقول :

إن تحديات كثيرة تسعى المرأة العاملة بالمجالس العلمية المحلية إلى تخطيها ورهانات عديدة تطمح إلى تحقيقها ويبقى العنوان الأبرز لهذا الجهد تحرير المرأة من ربقة الجهل والأمية والارتقاء بوعيها الديني والوطني إلى مستويات أعلى تمكنها من المساهمة في مشروع البناء والتجديد ومواجهة خطر الاستلاب والانحراف الذي يتهدد المجتمع المغربي.

جعل الله التوفيق والسداد حليف هذا الملتقى ونتمنى للضيف الأعزاء مقاماً طيباً في بلدكم الثاني المغرب

حضرات السادة والسيدات :

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكلم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المحور الأول:

المرأة العربية والتنمية المستدامة :
 إطار مفاهيمي

التصور القرآني للتنمية ودور المرأة

د. فريدة زمرد

أستاذة بدار الحديث الحسينية

بين يدي الموضوع

إن معالجة موضوع متداول في وقتنا الراهن من منظور قرآنی، يثير عدّة تساؤلات عن جدواً اختيار هذه الزاوية من النظر: هل المقصود من ذلك البحث عن الأصول القرآنية لمفهوم جديد غير موجود في القرآن، أم المقصود محاولة تفسير هذا المفهوم انطلاقاً مما جاء في القرآن الكريم من مبادئ تتفق معه؟ وأي المسلكين هو الأسلم والأحکم: التأصيل أم التفسير؟.

لن نطيل في مناقشة هذا المدخل الإشكالي للموضوع، ونكتفي بالإشارة فقط إلى أنه قد آن الأوان لكي نتجاوز منطق رد الفعل، إلى الفعل ذاته، وأن ننتقل من مرحلة استيراد المفاهيم - أو ترجمتها في أحسن الحالات - إلى مرحلة إبداع المفاهيم وإنتاج الأفكار انطلاقاً من أصولنا المرجعية وفي مقدمتها القرآن الكريم، تلك المنظومة المفهومية الغنية والشموليّة.

وموضوع هذه الورقة، بحث في بعض المفاهيم المؤسسة للتنمية في القرآن الكريم، وليس بالضرورة عن المصطلح "تنمية" بعينه.

1. المصطلح والمفهوم في الثقافتين الغربيتين والعربيتين

رغم أن المفهوم الذي نتدارسه هنا في علاقته بالمرأة هو مفهوم "التنمية المستدامة"، إلا أن مصطلحات كثيرة شكلت وعاء له على امتداد القرنين الماضي وال الحالي، بدءاً بمصطلح "التنمية الاقتصادية"، الذي ظهر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، في وقت شعرت فيه الدول الغربية

بضرورة مواجهة مخلفات الحرب على المستوى الاقتصادي. ثم ما لبث أن صدر قرار للجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1986 عن "الحق في التنمية" ، وكان من بنوته: أن (الإنسان هو الموضوع الرئيسي للتنمية). هنا دخل الإنسان في منظومة التنمية ، بعد أن تناهى الوعي بمحورية الإنسان فيها ، وهنا بدأ تداول مصطلح "التنمية الإنسانية" حيناً و"التنمية البشرية" حيناً آخر.

ومع التحولات التي شهدتها القرن الماضي وأوائل القرن الحالي على مستوى النمو الديمغرافي من جهة، والتناقض المترالي في الموارد الاقتصادية، بسبب تقلبات المناخ، والحروب وغير ذلك من العوامل الطبيعية والبشرية، من جهة أخرى، أصبح من الضروري التفكير في كيفية حفظ مقومات التنمية التي نشدها لشعوب العالم، بحيث يتحقق التنمية في الحاضر، و نضمنها بشكل أو بآخر لأجيال المستقبل، بمعنى أصبح العالم في حاجة لضمان استمرارية الموارد الأساسية للتنمية، لتنتفع بها الأجيال القادمة، دون أن ينقص ذلك من متطلبات أجيال الحاضر، وهذا أطل علينا مصطلح "التنمية المستدامة".

ولما كانت هذه المصطلحات من إنتاج المجتمعات الغربية ، فإن الوقوف عند مسألة الترجمة مهم جداً، ونحن نتحدث عن دور المرأة العربية ، وفي نطاق المجتمعات العربية.

عقبة الترجمة

لفظ "تنمية" هو ترجمة لكلمة : Development /Devlopement الفرنسية والأنجليزية. ويرى البعض أن هذه الترجمة مضللة لمشروع التنمية البشرية ، وأن الترجمة الصحيحة هي "تطوير". لأن لفظ (تنمية) يعني الزيادة الكمية في الدخل وإجمالي الناتج المحلي دون اعتبار المستوى الحضاري ، بينما لفظ (تطوير) يعني الزيادة النوعية التي تشمل كل المجالات الحضارية: المادية والإنسانية. لذلك حاول البعض إيجاد بديل

لهذه الترجمة من خلال استعمال مصطلح قرآنی الأصل هو: عمارۃ الأرض.

وعلى العموم، يمكننا التمييز بين مسلكين في الترجمة:

المسلك الأول يبحث عن الترجمة الحرفية أو الموازية للمصطلح مما هو متداول في الثقافة المعاصرة. والمسلك الثاني يحاول إيجاد المصطلح البديل في القرآن الكريم. فالمسلك الأول مجانب لا ريب للصواب، لأن الترجمة الحرفية أو الموازية لا تحل مشكل المفهوم، إذ المصطلحات حمالة مفاهيم وأفكار وخلفيات حضارية ورؤى خاصة بأصحابها، والترجمة بهذا الشكل تنتج لنا ألفاظاً عربية البنى، أعمجمية المعنى.

أما **المسلك الثاني** الذي استعمل مصطلح "عمارۃ الأرض" للدلالة على مفهوم التنمية البشرية، فلا يخلو الأمر من وجهين لهذا الاستعمال: الأول: أن يكون المقصود استعمال هذا المصطلح للدلالة على المفهوم الغربي المستورد، فيكون الناتج من ذلك مركب هجين بين مصطلح قرآنی ودلالات غربية، وهذا لا يقل خطورة عن المسلك السابق، لأنه يحمل المصطلح القرآنی دلالة حادثة بعده، طارئة عليه. فلا يمكن بحال أن نقول إن عمارۃ الأرض يقصد بها نفس ما يقصد بالتنمية البشرية، والسبب بسيط وهو أن مرجع كل من المصطلحين مختلف تماماً عن الآخر، فالقرآن راعى في مفهوم "عمارۃ الأرض" أبعاداً لم يراعها من نحتوا مصطلح التنمية البشرية. والوجه الثاني لهذا الاستعمال: أن يكون المقصود استعمال المصطلح القرآنی بدلالاته القرأنية الخاصة، واعتبار الكل بديلاً عن المصطلح والمفهوم الواردين.

وعلى العموم فالمسلك الذي نرتضيه لمعالجة الموضوع هنا هو البحث عن المفاهيم التي تؤسس لتنمية الإنسان، باللغظ والدلالة القرأنية الممحضة.

2. التنمية في القرآن الكريم مصطلحاً ومفهوماً

أول ما يلاحظ في القرآن الكريم عدم وجود لفظ (التنمية)، ولا أحد مشتقاته، كالنمو والنماء. كما لم يرد أيضاً لفظ (التطوين).

لكن القرآن الكريم في المقابل استعمل الكثير من المفردات والمصطلحات الدائرة في فلك التنمية، والمشكلة لمظاهرها المختلفة، كما استعمل أيضاً الكثير من المفاهيم المؤسسة لدور الإنسان في هذه التنمية، وهذا هو الشق الأهم فيتناوله لهذا الموضوع.

1.2. عناصر التنمية في القرآن الكريم

الناظر في النص القرآني لا يمكن أن يتغاضى عن مفردات التنمية، أو عناصرها المتنوعة، والتي يمكن حصر بعضها في:

- الأرض: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشو في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) [الملك: ٤].
- الماء (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسليمون) [النحل: ١٠].
- النبات (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) [النحل: ١١].
- الرياح (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشکرون) [الروم: ٤٦]
- البحر وما فيه من ثروات غذائية ومعدنية (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشکرون) [النحل: ١٤].
- الجبال والأنهار والطرق وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون [النحل: ١٥].

- الثروة الحيوانية، وما تتوفره من غذاء (وان لكم في الأنعام لعيرة نسيكيم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين [النحل: 66]

وفي القرآن الكريم أيضاً إشارات إلى ما يمكن أن يستفاد من هذه الثروات، على مستوى الصناعات الغذائية (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتذذبون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون [النحل: 67] أو على مستوى صناعة الملابس (وجعل لكم سرابيل تقىكم الحر وسرابيل تقىكم بأسكم كذلك يتنعمت عليكم لعلكم تسلمون) [النحل: 81]، أو على مستوى التعمير والإسكان (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتك ومن أصولها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين [النحل: 80]

ولأن الإنسان هو المقصود بتخمير كل هذه النعم، فقد خلقه الله عز وجل في الصورة التي تجعله مهيئاً لاستثمار هذه العناصر وتكييفها مع حاجياته، واستخدامها بالوجه الذي يحفظ حياته في الأرض، وغاية وجوده فيها. لأجل ذلك كان الإنسان مستخلفاً في الأرض دون سائر المخلوقات: (وإذ قال رب الملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)، وجعل له بذلك التفوق عليها، بتميزه بالعقل والإرادة والحرية، فكان كما قال خالقه تبارك وتعالى: (لقد حلقنا الإنسان في أحسن تقويم) [التين: 4]

إن هذه العناصر وغيرها، التي يسميها القرآن الكريم نعماً، تمثل الموارد الأساسية التي تحتاجها التنمية الإنسانية، لكن سردها هنا لا يكفي لبيان التصور القرآني للتنمية، وكيف حدد الله عز وجل للإنسان سبل الاستفادة من هذه الموارد، بالشكل الذي لا يضر الإنسان نفسه، ومحيطة الطبيعي، وبالشكل الذي يخدم غايات خلق الإنسان واستخلافه في الأرض. كل هذه المعطيات سنحاول تبيينها من خلال عرض المفاهيم المؤسسة لتنمية الإنسان في القرآن الكريم.

2.2. المفاهيم المؤسسة لتنمية الإنسان في القرآن

في البداية ننوه إلى ضرورة التمييز هنا بين المفاهيم الكلية التي حددت محورية الإنسان في التنمية، وبين المفاهيم الجزئية التي حددت للإنسان كيفية استثماره للموارد الطبيعية للتنمية التي ذكرنا بعضها آنفاً، وضمن هذه المفاهيم جميعها سناحول إبراز الأثر الذي يمكن أن تسهم به المرأة في هذا المجال.

1.2.2. المفاهيم الكلية: ضمن هذه المفاهيم سنركز على مفهومين يشكلان الأساس الذي تبني عليه محورية الإنسان في التنمية، وهما مفهوماً: الاستخلاف والتمكين في الأرض.

مفهوم الاستخلاف:

يشكل الاستخلاف بداية الوجود الإنساني على الأرض، وبموجبه زود الإنسان بما يكفل له القيام بهذه المهمة، وفي مقدمة ذلك العلم الذي لم يمنح لملائكته غيره، ومنها الملائكة: (وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِيُونِي بِاسْمَاءَ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَابِقِينَ، قَالُوا سِبِّحْنَاكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلِمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِيْهُمْ بِاسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَاهُمْ بِاسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقْلِ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبَدُّونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) [البقرة، 31-33].

إن الله عز وجل قدر بمشيئته أن يكون الإنسان مستخلفاً في الأرض وقدمه في ذلك على الملائكة، فكانت تلك بداية التقدير له، بوضعه محوراً لما سيجري على الأرض من أحداث جسام، كان على رأسها اصطفاء الرسل الذين سيكونون حلقة الوصل بين الله عز وجل: المستخلف، والإنسان: المستخلف. واصطفاء الرسل من جنس الإنسان، سمة أخرى من سمات هذا التقدير.

وذكر الاستخلاف في القرآن الكريم مقولنا بالأرض ثلث مرات من أصل ست هي عدد ورود المصطلح، يشير إلى سماتين لهذا المفهوم: الأولى أن الاستخلاف منوط بهذه الأرض التي جعلت مكانا للاستقرار الدنيوي للإنسان، بما فيها من مكونات طبيعية جعلت ملائمة لقيام حياة إنسانية فوقها. ومعنى هذا أن نجاح الإنسان في القيام بمهمة الاستخلاف متوقف على حسن تدبيره لما في الأرض وما على الأرض من عناصر للتنمية من مثل ما ذكرناه سابقا. والسمة الثانية، هي: وقتية الاستخلاف لأن ارتباطه بالأرض يعني أنه ينتهي بانتهاها، وهذا يعني أنبقاء الإنسان منوط ببقاء الأرض صالحة للحياة، ومن مهام الاستخلاف حفظها على هذا الشكل بتجنب كل ما قد يؤدي إلى تهديد الحياة فوقها. كما أن سمة الوقتية تنسجم مع دلالة لفظ الاستخلاف، فهو يعني النيابة عن الغير أو التصرف في ملك الغير، وهذا ما أكدته الآيات: قوله عز وجل: (فإن تَوَلُوا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخِلْفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) [هود، 57] ، فهو استخلاف مؤقت تتتعاقب عليه الأجيال، وقوله: (آمُّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ) [الحديد، 7] ، وهو استخلاف متوقف على الوفاء بشروط المستخلاف وفي مقدمتها الإيمان به.

ومن أبرز المفاهيم التي يستعملها القرآن الكريم نظيرا لمفهوم الاستخلاف مفهوم "العمارة": (وَإِلَيْهِ تُمُودُ أَحَادِيثُ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) [هود، 61]. فاستعمار الإنسان في الأرض يعني تفويضه لعماراتها بإصلاح حالها لتصير قابلة للانتفاع بها. وهذا يعني أن الإنسان هو الفاعل الأساس في تأهيل الأرض وتهيئتها للحياة. وصيغة "استعمركم" كصيغة "استخلفكم" تدل على الإنابة والتقويض، وهو تقويض مؤقت مرتبط بالزمن الأرضي الدنيوي، والنجاح في تكاليفه مشروط بالعبادة وإقامة الدين. فالعمارة إصلاح و"تخليق" شامل للحياة. وهذا شرط لازب للتنمية الإنسانية الفاعلة.

مفهوم قريب من هذا السياق. فلكي يقوم الإنسان بتکاليف الاستخلاف، مكنه الله تعالى من تسخير ما على الأرض. والتمكين تفعيل من المكان، وهو إقرار الشيء وتبنته في مكان، وهو يأتي في القرآن الكريم بصيغة الفعل المسند إلى الله عز وجل، فهو وحده من يمكن الإنسان لما يشاء، ومن يمكن للإنسان ما يشاء. والناظر في موارد هذا اللفظ، يميز بين صيغتين له: صيغة التمكين في الشيء، وصيغة تمكين الشيء، الأولى خاصة بالتمكين في الأرض، والثانية عامة تشمل تمكين الدين والقدرة والسلطة والمالⁱⁱ. وهذا يعني أن التمكين للإنسان يتم عبر مستويين:

الأول: حسي مادي يتم فيه تمكين الإنسان من التصرف في الأرض، وإقداره على جعلها موطنًا له ومستقرًا لمعشه، ولذلك جاء ذكر "المعايش" مع التمكين في الأرض: (وَلَقَدْ مَكَّنَنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) [الأعراف، 10]، أي ما يضمن الاستمرار في الحياة من طعام وشراب ولباس ونحوه. ويدخل في هذا المستوى تمكين المال والقدرة والأولاد، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَاكُمْ فيهم) [الأحقاف، 26].

والثاني معنوي، يتم فيه تمكين الدين والأمن للإنسان: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آتَيْنَا إِنْ كُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ دِيَنُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) [النور، 55]، وهذا مستوى من التمكين يحوز بموجبه الإنسان على أهم الأسس الداعمة للحياة الكريمة، وهي الدين بكل القيم الروحية والخلقية والاجتماعية التي ينطوي عليها، والأمن الذي يضمن له ممارسة سائر حقوقه الطبيعية.

وبوجود هذين المستويين من التمكين، يرتبط المادي بالروحي في تنمية الإنسان، ولا يصبح عمار الأرض وصلاحها مقتضرا على ضمان الرفاه المادي وتحصيل مستوى العيش الرغيد، بل أيضا، ضمان الأمن النفسي

والروحي. ولعل هذا ما يفسر قصور مفهوم التنمية البشرية المتبادل عن الإيفاء بالشروط الحقيقة لنمو المجتمعات ورقيتها وأمنها المادي والروحي.

ومن المفاهيم المرتبطة بتنمية الإنسان في القرآن: مفهوم "التكريم"، وهو في القرآن الكريم على مستويين: تكريم دنيوي وتكريم آخر، الأول مرتبط بالوجود الدنيوي للإنسان في الأرض، واستخلافه فيها، وتمكينه من عمارتها، وهو بذلك يعني: تشريف الإنسان وتحصيصه بالمقومات الذاتية التي تمكنه من القيام بتكاليفه ومسؤولياته: **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمْنَ خَلْقَنَا تَفْضِيلًا)** [الإسراء، 70]. والثاني: مرتبط بالوجود الآخر، حيث يكون الأكرم عند الله عز وجل، أي الأفضل منزلة، هو الأتقى: **(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَّاکُمْ)** [الحجرات، 13].

وقد جاء التقابل في القرآن الكريم بين التكريم والإهانة على لسان الإنسان الجاحد للنعمة الذي يظن أن إغداً النعم عليه تفضيل له وتشريف، فيفرح به ويطغى ويفسد، وأن إمساك الرزق عنه إهانة له، فيكفـر ويـجـحد. وهذا تصور خاطئ لمفهومي التكريم والإهانة، لأن التوسيع في النعم والإمساك في الرزق، إنما هو ابتلاء يمحض من خلاله الإنسان، والتـكـريم لا يكون بالنـعـمـ والـرـفـاهـ المـادـيـ، ولاـ الإـهـانـةـ بـإـمـسـاكـ الرـزـقـ وـتـضـيـيقـهـ، وهذاـ ماـ المـحتـ إـلـيـهـ آـيـةـ أـخـرىـ فـيـ سـيـاقـ آـخـرـ: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ كُرْمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)** [الحج، 10].

ما يمكن استنتاجه من هذه المفاهيم أن استخلاف الإنسان وتمكينه من عمارة الأرض وتكريمه، إنما هي وسائل يحقق بها الإنسان الغاية التي لأجلها خلق واستخلف في الأرض، وهي عبادة الله عز وجل، لضمان الحياة الحقيقة، أو الحيوان بالتعبير القرآني، أي الحياة الآخرة. فالناس كثيراً ما يقفون، إن ظنوا أنفسهم منصفين، يقفون عند معانـي الاستـخـالـفـ

والتمكين والتكرير، على أنها دليل على قيمة الإنسان عند الله عز وجل، ولكن قليلاً ما يقفون عند الغاية من جعل الإنسان في هذه المنزلة دون سائر المخلوقات، ولا عند تكاليف هذا التكرير والتمكين.

ومن مظاهر قصور مفهوم التنمية المتداول اليوم، أنه لا يغير اهتماماً لهذه الغاية، لأنها ببساطة ليست ضمن سماته الدلالية، ولن يست ضمن تصور من أنتجوا هذا المفهوم، فهو لاءً كان همهم الوحيد توفير الرفاه المادي في هذه الحياة الدنيا، ولم يلتقطوا إلى ما بعد هذه الحياة، لأنهم من الذين قالوا: (إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا وَمَا تَحْنُنُ يَمْبَعُوثِينَ [الأنعام : 29]، فكان من نتائج قولهم واعتقادهم أن زينت الدنيا لهم: (رُزِّقُنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) [البقرة : 212] ، أي حسنت صورتها في أذهانهم واستدرجو إلى الانغماس فيها، وفرحوا بها: (وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) [الرعد: 26]، ورضوا بها واطمأنوا، فعملوا وسعوا وأنتجوا وطوروا وتقديموا، وظنوا أنهم بذلك يحسنون صنعاً، لكنهم ليسوا كذلك بموجب العقد الرباني والعهد الإلهي: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا نُؤْفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبَخِّسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ، وَحَبْطَ مَا صنعوا فِيهَا وَبَاطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [هود: 15]، فهم مع نجاحهم في التنمية البشرية قد خسروا: (قُلْ هَلْ نَنْبَئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلُّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا [الكاف : 104].

والدليل الملموس على غياب هذه الغاية عند هؤلاء، أنهم حصروا مقاييس التنمية البشرية في ثلاثة أمور: توقع الحياة عند الميلاد، أي مدى طول عمر الإنسان، ومعدل أمية البالغين، ونصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي. هذه المقاييس أو المؤشرات تعبر عن ضيق أفق، وعن حصر للتنمية البشرية في ما هو مادي محض، ومن ثم فهي لا تعكس التصور الشمولي للتنمية البشرية، ولا تدل بدقة على ما جعلت مؤشراً عليه: فمتوسط عمر الإنسان لا يدل بالضرورة على حالته الصحية، ولا على مستوى التنمية لديه، فقد يحقق الإنسان من التقدم والرفاه في فترة وجيزة

ما لا يتحققه من يعمر. والأمية لا تعكس مستوى التعليم ومدى اكتساب المعرف ، والدخل الفردي رهين بمدى العدل في توزيع الثروات.

2.2. المفاهيم الجزئية المكملة للتنمية

إذا كانت هذه المفاهيم الكلية تشكل الأساس النظري العام لتنمية الإنسان ، فإن تتبع المفاهيم الجزئية الدالة على مجالات تطبيق هذه الأساس النظرية ، قد يطول ، لأن القرآن الكريم ركز في خطابه ، سواء منه العقدي أو التشريعي ، المكي أو المدنى ، العام أو الخاص ، ركز بحسب كل مجال وكل سياق على كل ما من شأنه أن يحقق للإنسان الجو الملائم لممارسة مسؤولياته الاستخلافية والإعمارية في الأرض . ومع ذلك يمكن أن نمثل لهذه المفاهيم بمفهوم واحد يدل بوضوح على تنوع المعطاءات المتنوعة للإنسان من لدن خالقه عز وجل ، كما يجيء بوضوح ارتباط التنمية بالعبادة ، هذا المفهوم هو :

1.2.2. مفهوم الرزق

والرزق في الاصطلاح القرآني مصطلح شامل لكل عطاء ينتفع به (المنتفع قد يكون الإنسان والحيوان أيضا) وهو للإنسان شامل للعطاء المادي: المأكل والمشرب والملابس والمركب ، والمعنوي: العلم والقوة والأولاد والصحة ...

مما يتبدادر إلى أذهان الناس أن الرزق محصور في ما يمنحك للإنسان من أكل ، لكننا بإحصاء كل موارد لفظ الرزق في القرآن الكريم ، نجد أن الرزق ذكر في القرآن مئة وثلاثة وعشرين مرة (123) ، وذكر معه لفظ "الأكل" تسعة مرات ، ولكنه لا يدل على المعنى المعروف في تداولنا عن الأكل ، من هذه الآيات قوله عز وجل في سورة طه : (كُلُوا مِن طَيَّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغُوا فِيهِ) [طه : 81] ، قوله في سورة البقرة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيَّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ [البقرة : 172] ، فمفهوم الأكل هنا لا يقصد به مجرد الأكل ، بل الانتفاع والتعمتع بسائر ما

يلازمه من شرب ولبس وسكن وركوب، لكنه خص الأكل بالذكر لأنه أظهر هذه الانتفاعات وأكبرها كما - قال القرطبي -

لكن القرآن الكريم قد يستعمل مع الرزق ألفاظاً أكثر دلالة على الأكل حين يكون المقصود بالرزق مجرد الأكل، وذلك كلفظ الطعام (قالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا تَبَائِكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا) يوسف : 37. (فَابْغُثُوا أَحَدَكُمْ يُورَقُكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَيَنْظُرْ أَيُّهَا أَرْكَيْ طَعَاماً فَلَيَأْتِكُمْ بِرْزَقٌ مِّنْهُ وَلَيَتَلَطَّفُ وَلَا يُشْعَرُنَّ بِكُمْ أَحَدًا [الكهف] : 19)، واللاحظ أن لفظ الطعام، وهو في القرآن كثير، أكثر دلالة على مفهوم الأكل الذي نستعمله اليوم، أما لفظ الأكل فهو في القرآن الكريم أوسع دلالة (حيث نجد في القرآن: أكل الأموال، وأكل النار...) وأحياناً يستعمل لفظ التمرات الدال على ثمار الأشجار أحياناً، وقد يدل على كل نفع يصدر عن الشيء: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَنَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ وَمِنَ الْتَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة] : 22)، (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ وَمِنَ التَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ [إبراهيم] : 32). وأحياناً يستعمل بعض الأطعمة: (وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلَوَى كُلُّوا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [البقرة] : 57).

إذا تبين أن الرزق في الاصطلاح القرآني شامل لكل ما ينتفع به الإنسان، ويقيم حياته، فإن القرآن الكريم وضع قواعد وضوابط لكيفية الاستفادة من هذا الرزق، بما يحقق التنمية المستدامة والمتوازنة للإنسان، والقاعدة الكبرى التي ينطلق منها هي:

1. أَنَ الرَّزْقَ مَصْدِرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، والقرآن الكريم عبر عن هذه الحقيقة بأساليب شتى (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيَّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيَّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ [يونس] : 31)، (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ

السماءات والأرض قُلَّ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّيْ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [سباء : 24]، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالقٌ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّى تُؤْفَكُونَ) [فاطر : 3]، (أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رَزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُثُورٍ وَنُفُورٍ [الملك : 21]، (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّبِعُ) [الذاريات : 58]. والتأكيد على المصدر الإلهي للرزق يشير إلى أن استفادة الناس من الرزق وتوزيعه بينهم يجب أن يخضع للمعايير التي وضعها الرازق، من ذلك :

* أنه يجب شكر الخالق سبحانه على نعمة الرزق، وهذا الشكر يتخد شكلين: الأول، الشكر باللسان واللهم بالحمد على كل نعمه، والثاني شكره بالجوارح، وذلك باتباع أوامره بخصوص التصرف في هذا الرزق، وهذا الشكر جزء أو نوع من العبادة. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيَّابَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ) [البقرة : 172]، فالشكر يذكر الإنسان بواجب العبودية لله عز وجل، (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَيْنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْتَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة : 22]، ولذلك بتعجب القرآن الكريم ممن يعبدون غير الله الرازق: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاءاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيغُونَ) [النحل : 73]، ويحكي لنا أيضاً عاقبة عدم الشكر أي كفران النعمة: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنَّمَعَ اللَّهَ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْحَوْفِ يَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) [النحل : 112].

* أنه يجب التمييز بين الحلال الطيب من الرزق وبين غيره (وَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) [المائدة : 88]، (فَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) [النحل : 114]، وأن مسألة تحديد الحلال من الحرام في الرزق موكولة إلى الخالق الرازق سبحانه: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَقْتَرُونَ) [يونس : 59].

2. الإقرار بتفاصل الناس في الرزق، وفقاً للسُّنَّة الإلهية في الكون التي تقضي باستحالة وجود التماشِي والتتشابه والمساواة المطلقة بين الناس في الرزق، بالمعنى العام للرزق: (وَاللَّهُ فَضَلَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) [النحل : 71].

3. عدم الإسراف وتحاوز الحد في الانتفاع بالرزق: (كُلُّوا مِمَّا رَزَقْتُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَبَرَّغُوا خُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ دُهُونٌ مُبَيِّنٌ) [الأనعام : 142]، (كُلُّوا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغُوا فِيهِ فَيَحْلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) [طه : 81]، (كُلُّوا وَاشْرُبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [البقرة : 60]. وهذا الضابط من شأنه أن يحفظ موارد الرزق - بأنواعها - من الضياع ويوقف شراهة الإنسان وشهوته في الاستهلاك، وذلك هو أساس مفهوم الاستدامة في التنمية الذي نتحدث عنه اليوم.

4. وجوب الإنفاق من الرزق: مما يخلق توازناً وعدلاً في توزيع الثروات: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْيَغُ فِيهِ وَلَا خَلْهُ وَلَا شَفَاعَةُ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة : 254]، (وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَجْتَنِي إِلَى أَجْلِ قَرِيبٍ فَأَصَدِّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) [المائدون : 10]، والإإنفاق هنا يستعمل بمعناه العام الشامل لكل أنواع الإنفاق الواجب والمستحب. وأيضاً هو الإنفاق على مستوى الأفراد والجماعات والأمم (هناك قمم تعقد اليوم تحت الأمم الغنية على مساعدة الأمم الفقيرة).

إن الرزق عطاء من الله عز وجل للإنسان عموماً (المؤمن وغير المؤمن)، والرزق المنوح للإنسان، بالمعايير التي وضعها الله عز وجل، جاء ليليبي حاجيات هذا المخلوق الضرورية التي ستمكنه من البناء والعمار المادي والمعنوي، أي من التنمية، ولكنها تنمية مسخرة لهدف أسمى هو الوصول إلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم. وحين يخرج الإنسان عن هذه المعايير فسيقع الخلل والاضطراب، وذلك ما حدث فعلاً في عالمنا، حيث ظهرت الأطماع في استغلال أرザق الآخرين، ظهر الاستعمار، ونتج عنه ما نتج

من البلاء، وكان منه أن افتقر نصف الكره الأرضية، وجمعت الثروات في أيد قليلة. كما نتج عن الإسراف في استغلال الرزق أن دمرت البيئة، والعالم اليوم يعيش أبغض الكوارث الطبيعية، وهي في الحقيقة إنسانية، لأن الإنسان هو الذي تسبب فيها بسوء تصرفه في الرزق، بطغيانه وفساده.

3. التصور القرآني لدور المرأة في التنمية

قد يكون إفراد دور المرأة في التنمية بالحديث، ضمن التصور القرآني، ضرب من الإنماض من قيمة المرأة وأثرها في هذا المجال، وذلك لأن القرآن الكريم لا يميز بين المرأة والرجل في مجال علاقتهما بالكون، وبالله عز وجل، فالمخاطب في هذا الباب هو الإنسان بنوعيه: الذكر والأئنة، وكلاهما مستخلف في الأرض، وكلاهما ممكناً له فيها، ومسخر له ما فيها وما في الكون.

لذلك فإن القاعدة الأولى التي يسطرها القرآن في هذا الموضوع: أن المرأة لا تختلف عن الرجل من حيث كونها محوراً للتنمية، ومن حيث الحق في الاستفادة من الموارد المختلفة للتنمية.

لكن هذا الأمر لا يعني - مع ذلك - من الإشارة إلى بعض الجوانب التي تقتضي إبراز خصوصية المرأة في هذا المجال، سواء على مستوى الحق في التنمية، حيث نجد أن المرأة تستحق أحياناً عناية أكثر من الرجل، بسبب ما تختص به من وظائف بيولوجية ونفسية وتربوية. أو على مستوى الإسهام في تطوير وسائل تدبير موارد التنمية المختلفة، بحكم موقعها المميز في الأسرة والمجتمع.

1.3 المرأة والحق في التنمية

أهم وظيفة - من الوظائف البيولوجية - تميز المرأة عن الرجل، هي وظيفة الحمل والوضع والرضاع، ولهذه الوظيفة ارتباط وثيق بالصحة الجسمية والنفسية للمرأة، وقد وصف القرآن الكريم حمل المرأة بأسلوب بلغ وتألّف تجمل معاناة الأم طيلة فترة الحمل: وهي لفظ "الوهن" ولفظ

”الكره“، يقول عز وجل: (وَوَصَّيْنَا إِلِّيْسَانَ بِوَالدِّيْهِ حَمَّلَتُهُ أُمَّهُ وَهُنَّ عَلَى وَهْنٍ وَفَصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَن اشْكُرْ لِي وَلَوَالدِّيْكَ إِلَيَّ الْمُصَبِّيْنِ) [لقمان 14]. والوهن هنا الضعف الجسماني على الخصوص، ومعنى كونه وهن على وهن: أي كلما كبر الجنين في بطنها ازدادت ضعفا إلى ضعفها. وأما لفظ الكره الذي جاء في سورة الأحقاف (حملته كرها ووضعته كرها) [الأحقاف 14] فهو يدل على المشقة عموماً والمشقة هنا وصف بها الحمل والوضع أيضاً، ومشقة الوضع أمر جلي تحس به الأم.

وإشارة القرآن الدقيقة إلى حال المرأة في الحمل والوضع لا يأتي عبثاً، فقد ربط بين هذه المشقة وهذا الكبد، وبين ما تستحقه المرأة من إحسان من أقرب الناس إليها: الأبناء. كما أشار في سياق آخر إلى حق المرأة الحامل حين الطلاق: (وَإِن كن أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفَقْنَاهُنَّ عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضْعُنَ حَمْلَهُنَّ، فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَأَتَوْهُنَ أَجْوَرُهُنَّ وَاتَّمْرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) [الطلاق: 6]. ولنا أن نقيس على إحسان الولد والزوج الفرد، إحسان المجتمع، والدولة، حيث يتبعين توفير كل الوسائل المساعدة للمرأة على تحمل مشقة الحمل، وأخطار الوضع: من رعاية صحية منتظمة، وإحسان وعطف نفسي واجتماعي.

2.3 المرأة وواجب التنمية

في مقابل وضعية المرأة في حال الحمل، وما تستحقه حينئذ من رعاية إضافية، وعناية خاصة، تضطلع المرأة، بحكم نفس الوظيفة الخاصة، برعاية الطفل، وأول مراتب هذه الرعاية تتجلّى في الرضاع، وهنا يصبح الحق ملتبساً بالواجب، إذ من حق المرأة أن تتناول الرعاية الخاصة بسبب مجهد الرضاع - سواء من حيث حصولها على التغذية المناسبة، أو الراحة من العمل، إن كانت عاملة - كما من واجبها تمكين طفلها من إتمام رضاعه حتى يستوفي حاجاته الغذائية الطبيعية - وهنا لن نحتاج إلى تذكير النساء بالأهمية الصحية للرضاع الطبيعي، والقيمة الغذائية لحليب الأم - وقد ألمح القرآن الكريم إلى أهمية هذا الواجب في

قوله عز وجل : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتبرأ الرضاعة) [البقرة 231]، ولما كانت هذه الآية واردة في سياق الحديث عن الطلاق، فقد جعل الله للأم المرضع المطلقة، الحق في النفقة طيلة فترة الرضاعة (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهم بالمعروف).

إن تركيزنا على هذه المستويات من انحراف المرأة في التنمية، سواء من جهة الحق أم من جهة الواجب، لا يعني قطعاً، تقليص دورها في التنمية في هذه المجالات، ولكنه التفات إلى الأدوار اللصيقة بطبع المرأة، والأدوار الأساسية ذات الأثر الكبير في المجتمع، فرعائية المرأة للطفل هو أكبر استثمار تنموي يمكن أن يقوم به مجتمع ما، لأنها بذلك تعد الإنسان للقيام بمهامه الاستخلافية والإعمارية - أو التنمية - على الوجه الأمثل. إنها بعبارة أخرى تسهم في تهيئة العنصر البشري ليقوم بمسؤولياته في هذه المجال، ولما كان هذا العنصر هو محور التنمية، فإنها بذلك تكون أشبه بالطاقة المحركة لقطب الرحى.

وأخيراً نستخلص من هذه الكلمة، إننا في حاجة إلى تمثل التصور القرآني للتنمية بشكل أوضح وأدق، وإذا كان المقام هنا لم يسمح بالغوص في كل المعاني القرآنية للتنمية ودور المرأة فيها، فحسبنا أننا المحننا إلى الأسس التي يبني عليها هذا التصور، وهو أنه تصور يجمع بين المادي والروحي في التنمية، تلبية لحاجات الإنسان الطينية والروحية، وأنه تصور يركز على الهدف الأسمى من التنمية، وهذا الهدف ليس هو الإنسان، بل عبادة الله عز وجل التي بها يتحقق الخير للإنسان، في الدنيا والآخرة، وأنه تصور يجعل للمرأة قدماً راسخاً في التنمية بحكم موقعها المميز في الأسرة والمجتمع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وسائل تعزيز دور المرأة العربية في التنمية رؤيه تحليلية مستقبلية

د. رقية طه جابر العلواني
كلية الآداب / جامعة البحرين

تمهيد

يشهد العالم مع مطلع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين مجموعة من التغييرات في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية والثقافية والبيئية والمعلوماتية وغيرها من الميادين التي باتت تتدخل فيما بينها تداخلاً يجعل العالم شبيهاً بقرية صغيرة واحدة، تنتقل فيها المعلومة من أقصاها إلى أقصاها بسرعة فائقة.

وغمي عن البيان، فإن لهذه التحولات والتغييرات التي ظهرت على الصعيد العالمي انعكاسات ايجابية وسلبية على مستقبل التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة في الدول النامية ومنها الدول العربية، الأمر الذي يستدعي تعزيز فرص الاستفادة من الايجابيات التي أفرزتها هذه التغييرات والتقليل على حد كبير من المخاطر.

أولاً: مقدمات منهجية

من المسلم به أن حدوث أية تنمية في العالم العربي الإسلامي مرهون بتحسين في وضع المرأة أولاً. الأمر الذي يقتضي توفير الفرص الاجتماعية والاقتصادية أمامها، وتمكنها من إعادة صياغة العمليات والأحداث التي تشكل حياتها والمشاركة فيها.

والنظرة المستقبلية لهذا الدور البارز الذي ستلعبه النساء في المجتمعات، لا يمكن التنبؤ به من خلال النظر إلى عامل واحد كمخرجات التعليم أو الإقبال على العمل أو المشاركة السياسية.... فلا يجب الحكم على نجاح المرأة وارتفاع مكانتها الاجتماعية من خلال بُعد واحد، فالأمر أكثر عمقاً من أن تتم مناقشته من خلال عامل واحد.

وفي إطار المراجعة والتحليل، ثمة مقدمات لابد من تأكيدها، تتلخص فيما يلي :

- إدراك أن دور المرأة وفق الرؤية الإسلامية المتكاملة لا يشكل رمزاً للضغط أو القهر أو العزلة أو التهميش، بل يعد من أبرز وسائل تمكين المرأة وتوسيع نطاق فاعالية أنشطتها في المجتمع، وفق رؤية إسلامية معتدلة تقدم لها نموذجاً معرفياً متكاملاً وإطاراً تنطلق منه مشاركتها على مدى العصور وفي مختلف البيئات والسياقات الفكرية والثقافية والاجتماعية. وهذا يستلزم وعي المرأة في مجتمعاتنا بالرجعية الإسلامية وخصوصيتها وإدراك مفاهيم الثابت والمتحير فيها.

- إدراك أهمية الانفتاح والتفاعل الحضاري مع قضايا المرأة في العالم الغربي والورث الثقافي لأمتنا، بناءً على وعي تام بطبيعة الخصوصيات الثقافية دون استلباب أو تبعية ومن دون تقليد أعمى أو جمود أو ضغوط.

- التأكيد على قيم العدل والحقوق المترنة بالواجبات والتكميلات وإبرازها خاصة في ظل انحسار الحديث عنها لصالح مفاهيم الحرية والمساواة التي طالما طرحت في قضايا المرأة دون وجود تيار مواز لقيم العدل والحق والواجب.

- إدراك أهمية البنية الجماعية في تناول وطرح قضايا المرأة لتوظيف الإبداعات الفردية والذاتية والمؤسسية في سياق النهوض بالمرأة وتمكينها.

- ضرورة تضافر جهود الجمعيات والمراكز التي تحمل هموم المرأة وقضاياها في عالمنا العربي الإسلامي بقطع النظر عن طبيعة منطلقاتها

وتوجهاتها في محاولة لإيجاد نوع من التعاون والشراكة في حل أزمات المرأة في العالم العربي الإسلامي. فقد أثبتت السنوات الأخيرة عم جدوى قيام أي طرف مع إقصاء الأطراف الأخرى. الأمر الذي يقتضي محاولة إيجاد أرضية مشتركة بين مختلف الأطياف والتيارات المتباعدة لقضية المرأة.

- نشر الوعي لدى المرأة في العالم العربي الإسلامي بالسياق الثقافي والتاريخي والحضاري لقيم الحرية والمساواة بالمفهوم الغربي. فالانطلاق الفعلي لهذه الفكرة جاء مع الثورة الفرنسية التي هدفت إلى التخلص من استبداد الملوك، وتزامنت مع كتابات مفكري التيار الإصلاحي الديني البروتستانتي في أوروبا والتي سعت لإزالة سلطان الكنيسة عن الحياة العامة والخاصة عندما أكدت على فكرة المجتمع المدني وكون الإنسان ذات حقوق طبيعية. وعليه يعتبر مفهوم حقوق الإنسان والمرأة تركيزاً للقيم والمبادئ التي انتهى إليها الفكر الغربي الرأسمالي في تطوره التاريخي.

- نشر الوعي بمنطق حقوق المرأة ومشاركتها في الرؤية الإسلامية. فهي حقوق بل ضرورات إنسانية ترتبط بمفاهيم التوحيد والاستخلاف وعمارة الأرض ومقاصد التشريع.

- نشر الوعي لدى المرأة المسلمة أن هذه الحقوق حين يكون مصدرها الدين، سيتحقق لها ضمان عدم الانتهاك منها أو مصادرتها من قبل أي أحد أو تعطيلها. ولذلك لا تستطيع المرأة التنازل عن حقوقها سياسية كانت أو اجتماعية أو ثقافية، فالامتناع عن ممارستها، سيؤدي إلى سلبية حضارية - خاصة في حق من تملك الأهلية والقدرة على ممارستها - حاربها الإسلام.

- بلوحة شخصية الطفل وتوجيهه سلوكه السياسي فيما بعد، وهو ما يجنب الأسرة والمجتمع والدولة الآثار السلبية للاستبداد الذي ينعكس على نفسية الطفل وينمي روح التسلط والعدائية لديه، هذا عدا عن أن أسلوب الشورى كإالية لاتخاذ القرار يعلم الطفل ممارسة هذا السلوك في كل

جوانب حياته العامة والخاصة، وبالتالي غياب استخدام العنف كوسيلة لحل النزاعات بمختلف أشكاله. كما أن الأسرة تلعب دوراً هاماً في تزويد الطفل بالقيم والمعارف التي تحدد وعيه السياسي وإدراكه للرموز السياسية وتبلور مشاعر العداء والتعاطف معها، وبالتالي بناء التوجهات وتحديد الهوية القائمة على حفظ الدين وتحقيق مقاصد الشريعة.

- لا بد من الاعتراف بأن قضية المرأة لم تأخذ حقها في حركة التجديد الإسلامي المعاصرة فكراً وممارسة، وهذا يتطلب منها أن تتوجه إلى واقع المجتمعات المسلمة لحل ومعالجة أزماتها بدلًا من الانشغال بالماضي والاحتماء به، وبذلك تلح الحاجة إلى فقه إسلامي معاصر يفقه الواقع ويتعامل مع إشكالياته، ويبصر المستقبل ويعده له بشكل يؤدي إلى تجريد قيم القرآن والسنة من قيد الزمان والمكان، وبالتالي تنزيلها على قضايا الناس في كل زمان ومكان، وهذا يتطلب نقد واقع المرأة المسلمة في سبيل محاولة إعادة بناء الذات.

- توحيد الجهد والطاقات على المستويات الوطنية أولاً على قاعدة استيعاب التعدد وعدم إنكار الآخر، والتوفيق على الجماعة المشتركة الخاصة بأوضاع المرأة في بلداننا في إطار الظروف السياسية الخاصة بكل بلد منها.

- الارتقاء بدرجة التنسيق بين المؤسسات النسوية على نفس الأسس والقواعد التي تعترف للمرأة المسلمة بحقها في المشاركة في كل عمليات التغيير القائمة في مجتمعاتنا.

- من الضروري أن تقدم الدول العربية الإسلامية حلولاً لمعالجة المشاكل التي تعاني منها مؤسسة الأسرة في العالم كله. فثمة إحصاءات تتحدث عن مديات معاناة المرأة في الغرب وأميركا التي ترفع شعار حقوق المرأة وتطالب العالم بمكافحة كافة أشكال العنف والتمييز ضد المرأة. وهذه المبادرات لا يمكن أن تقدمها تلك الدول إلا من خلال وعي المرأة بتلك الحقائق ومتابعة ما يستجد على الساحة الدولية.

- العمل على فتح مجالات جديدة أمام المرأة في مجال القطاعات غير الرسمية، وفي مجال المشروعات الصغيرة، وفي تقديم خدمات الرعاية الاجتماعية والصحية للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، والمعاقين، والمسنين .

- دعم المؤسسات الحكومية لمنظمات المجتمع المدني التي تديرها النساء وتعاونهما في تفعيل أنشطة وبرامج شبكات الأمان الاجتماعي لحماية الفئات والشرائح الاجتماعية محدودة الدخل، والإغاثة ضد الكوارث، وتوفير التأمين والضمان الاجتماعي، والتأمين ضد البطالة .

- اعتماد مبدأ الحوار بين المؤسسات النسوية في عالمنا الإسلامي، خصوصاً بعد المراحل المعقّدة والمتغيرات الكبيرة التي شهدتها بلداننا نتيجة للمتغيرات العالمية. فليكن الحوار بداية.. ولتكن الإستراتيجية الموحدة والعمل القاعدي المنظم في أوساط النساء هدفاً منشوداً من أجل المشاركة المنهجية في عملية التغيير والتقدم الاجتماعي .

- أهمية نشر الوعي الاجتماعي والسياسي في أوساط النساء من مختلف الخلفيات والمستويات، إذ أن زيادة فعالية المرأة المسلمة في العهد النبوى، كان في الأساس ناجماً عن قدرتها على الوعي. فالسياق الاجتماعي الذي توجد فيه المرأة يحكم وعيها السياسي ومشاركتها العامة، فقد تشجع التقاليد والعادات على تفعيل المشاركة السياسية أو تقييدها، كما تفاوتت الأعراف المرتبطة بالحركة الاجتماعية للمرأة بين مجتمع مكة ومجتمع المدينة الذي تميزت فيه المرأة الأنصارية بالفعالية الاجتماعية الأوسع.

وقد أدى حرص المرأة المسلمة على المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع المختلفة في العهد النبوى إلى تكريس عملية التغيير ودفعها قدماً، ولذلك يجب تغيير السياق الاجتماعي الذي يقييد حركة المرأة من منطلق إسلامي حتى يستقيم مع مقاصد الشعّر، وجهد المرأة في هذا الأمر لازماً حتى لو تحدث تقاليد وأعراف المجتمع، إذ يصبح هذا التغيير واجباً ليس فقط لتحسين وضع المرأة في المجتمع وإنما لتحقيق المنظومة الإسلامية بكل

جوانبها. وهذا يتطلب من الدولة والمجتمع في عصرنا الراهن توفير الظروف الملائمة لتحصل المرأة الوعي والثقافة السياسية من خلال المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والإعلامية المختلفة.

- لا يمكن اعتبار عهود التخلف والتراجع والوهن مقياساً لواقع المرأة المسلمة ونموذجاً ينبغي العمل لإعادته. كما أن الاستناد إلى مجموعة من التقاليد الاجتماعية التي لبست لباس الدين أو توظيف بعض الأحكام الشرعية في غير محلها، يعد من أخطر التحديات التي تواجه قضية المرأة إقليمياً ودولياً.

والدراسة تؤكد أن وضع مبادئ التمكين موضع التنفيذ لا يمكن أن يتم دون جهد منظم ومستمر للمنظمات النسائية والشعبية، وغيرها من الهيئات ذات التوجه المؤيد لهذا الفكر، لذلك لا ينبغي أن تترك الجهود على سن القوانين فحسب، بل لابد من توعية المجتمع والمرأة بصفة خاصة بالقضايا المطروحة، حيث يبدأ التغيير من القاعدة العريضة من النساء التي يجب أن تعني مشكلاتها وجوانب الضعف في حياتها وأهمية التغيير للأفضل.

إن عملية تعزيز دور المرأة في المجتمع وضمان مشاركتها العامة، يكون من خلال التركيز على المرأة نفسها بخلق الدافعية لديها للمشاركة والوصول إلى مراكز اتخاذ القرارات وسُلطتها، وإيجاد الاتجاهات الإيجابية نحو النموذج القوي للمرأة، وزيادة الثقة بقدراتها ومهاراتها. إلى جانب توفير الفرص المماثلة للرجل للحصول والسيطرة على المصادر التي تزيد من قدرتها وقوتها.

وتقدم هذه الدراسة تصوراً لبرنامج متكامل يمكن من خلاله تحقيق ذلك إلا أنه من المؤكد أن الطريق نحو تحقيق ذلك ليس سهلاً. كما أن الرحلة نحو الارتقاء بالمرأة في مجتمعاتنا وتفعيل دورها ومشاركتها التي أكدتها القرآن والممارسة النبوية، تحتاج شك إلى الكثير من الصبر والتوعية

بين أفراد المجتمع والأمة، وهي عملية تستدعي جهود كل المخلصين الوعيين من أبناء الأمة من مفكرين وداعية ومصلحين.....

إلا أن الفارق بين تفعيل دور المرأة في المجتمعات المسلمة وغيرها كبير جداً. فالشريعة الإسلامية هي التي كرست هذه الدور وأسست له في عشرات النصوص القرآنية والنبوية، أما في المجتمعات الغربية أو غير المسلمة فالامر مختلف. إذ أن استحداث الوثائق والنصوص التي يمكن أن تضمن للمرأة حقوقها استغرق وقتاً طويلاً. فبريطانيا - على سبيل المثال - التي لديها تاريخ طويل في حماية الحقوق والحريات الأساسية، يعود إلى عام 1215م الذي شهد إعلان وثيقة الماغنا كرتاً. ولكن بالرغم من هذا التقليد، فإن حقوق الإنسان الأساسية المتعلقة بمساواة المرأة قد استغرقت وقتاً أطول في بريطانيا من الوقت الذي استغرقه بالنسبة للرجل، ولم تستطع المرأة المتزوجة إلا في نهاية القرن التاسع عشر، على سبيل المثال، من اكتساب أية حقوق زيادة على ممتلكاتها الخاصة، ولم تحصل المرأة على أية فرصة للحصول على حق رعاية أطفالهن بعد الطلاق إلا في منتصف القرن العشرين¹.

ثانياً: وسائل النهوض والارتقاء بوضع المرأة العربية

لقد حظي موضوع مشاركة المرأة في التنمية المجتمعية باهتمام الكثير من الدارسين والباحثين الاجتماعيين خلال العقود الأخيرين من القرن الماضي، وذلك باعتباره من الموضوعات الشائكة والبالغة التعقيد، نظراً لكثرة وجهات النظر والآراء المتعددة بشأنه، ولهذا يظل هذا المجال بحاجة للدراسة والتعمق أوسع وأشمل.

كما أن الباحثين الاجتماعيين لم يتوصلاً بعد إلى بناء مفهوم محدد لمصطلح التنمية الشاملة، حيث أن هذا المفهوم يعتبر حديثاً في ظهوره، ويرتبط استعماله بعقد الخمسينيات من القرن العشرين، وكان يقصد به

¹- هيل، تاريخ الداعوى القضائية للناتج (1736)، المجلد 1، الفصل 58، الصفحة 629

التنمية الريفية، ولكن في السنوات الأخيرة، أصبحت كلمة "تنمية" تعني تنمية المجتمع ككل في بلد معين.. والتنمية الاجتماعية تعني بناء الإنسان في مجتمع معين من خلال تحريره من الخوف وال الحاجة ليكون قادرا على استخدام طاقاته وإمكاناته المادية والروحية، ويعمل حريته السياسية والاقتصادية والاجتماعية دون أية قيود، والتنمية تتوجه بالأساس نحو التغيير وتحرير الفرد ليتحقق له والمجتمع احتياجاته وتوقعاته. والإنسان في مفهوم التنمية هو الوسيلة والهدف معاً، وذلك باعتبار أن خطط التنمية يحققها الإنسان ونتائجها تعود عليه².

ومهما يكن الأمر، فإن عملية التنمية المجتمعية الشاملة، تتطلب استغلال الطاقات البشرية وتسخير كل الطاقات المادية والبشرية، ولعل أهم عملية استثمارية تقوم بها أيّة دولة نامية، هي تنمية مواردها البشرية.

والدراسة تقدم في هذا السياق مقترنات عملية وخطوات جادة للنهوض بوضع المرأة في المجتمعات المسلمة. وهي رؤية تنبثق من استحضار دور المرأة كما وضعه القرآن وأكّدته السنة النبوية القولية والعملية. ويمكن تقسيم هذه الخطوات إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: نشر الوعي من خلال السلوك العملي

يعيش العالم اليوم حالة من الضبابية فيما يتعلق بشؤون المرأة وأوضاعها في العالم العربي والإسلامي. وهو كما أكدت الدراسة ناجم في الغالب عن طبيعة الأوضاع التي تعيشها كثير من النساء في بلادنا. تلك الوضعية التي كرستها ممارسات مخالفه ومنافضة لأصول الشرعية الإسلامية ومقاصدها في التعامل مع المرأة، فمن انتشار للأمية بين صفوف النساء، إلى تعسف في إيقاع الطلاق من قبل عدد من الرجال، إلى عزل متعمد للمرأة عن مسرح الحياة ... إلى آخر ذلك من ممارسات فرضت على المرأة باسم الدين والشرع منها براء.

² - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، تقرير التنمية البشرية، 1990. 2 برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، تقرير التنمية البشرية، 1995.

لذا كان نشر الوعي عن طريق تصحيح تلك السلوكيات والتوعية المجتمعات بخطورتها من أهم الخطوط التي يجب اتخاذها. وقد أثبتت الشواهد التاريخية أن هذا من أنجع الوسائل في إبلاغ الفكر الأصيل وأقرب الوسائل والسبل وصولاً إلى الطرف الآخر وأكثرها تأثيراً.

تقول المستشارة الألمانية زيفريد هونكه³ في ذلك: "لقد سحر العربي الشعوب في البلدان المفتوحة بأصالته وملائحة وجهه ولطف حديثه. فشرفه وكرامته المتوارثة أحبراه على اتخاذه مثلاً أعلى يحتذوه بل ويتشوقون إلى مثل مكانته الاجتماعية بمعنى أن يصبحوا عرباً مثله. واستطاع العربي أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته لا بالتبشير وإيفاد البعثات وإنما بخلق الكريم وسلوكه الحميد فكسب بذلك لدينه عدداً وفيراً لم تكن أية دعاوة مهما بلغ شاؤها لتستطيع أن تكسب مثله"⁴.

والسيرة النبوية حافلة بالروايات والحوادث التي تعكس بجلاء هذه الوسيلة واستعمال النبي عليه الصلاة والسلام المستمر لها مع مخالفيه على تعدد مشاربهم واختلاف انتماماتهم وتغيير سلوكياتهم تجاهه واتجاه دعوته عليه الصلاة والسلام. لقد قدم النبي عليه الصلاة والسلام في مواقف عديدة نقلتها كتب السير، ترجمة صادقة حية للتعامل مع المرأة بالصدق والعدل والإحسان فأقمع العالم من خلال سلوكه بعدلة الإسلام وسماته إزاء المرأة واهتمامه بها.

عَنْ أُمٌّ عَطِيَّةَ قَالَتْ أَمْرَنَا تَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُخْرِجَ فِي الْعِيدَيْنِ الْعَوَاتِقَ وَدَوَاتِ الْخُدُورِ وَأَمْرَ الْحَيَّضَ أَنْ يَعْتَرِلَ مُصَلَّى الْمُسْلِمِينَ. وَعَنْ حَفْصَةَ بْنِتِ سَيِّرِينَ قَالَتْ كُنَّا نَمْتَعُ جَوَارِبَنَا أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْعِيدِ فَجَاءَتْ اُمْرَأٌ فَنَرَلَتْ قَصْرَ بَنِي خَلْفٍ فَأَتَيْتُهَا فَحَدَّثَتْ أَنَّ رَوْجَ أَخْتِهَا غَرَّاً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَنْتِي عَشْرَةَ غُرْوَةً فَكَانَتْ

³- زيفريد هونكه المستشارة الألمانية الدائمة الصيغ وهي زوجة الدكتور شولتسا الذي اشتهر بكتاباته المنصفة عن العرب وآدابهم وأثارهم. صدر المؤلفة العديد من الكتب في هذا المجال وكانت رسالتها للدكتوراه آخر الأدب العربي في الأدب الأوروبي ومن أشهر كتبها كتاب شمس العرب تسطع على الغرب.

⁴- زيفريد هونكه، مرجع سابق، ص 366-367.

أَخْتَهَا مَعَهُ فِي سِتٍّ غَرَوَاتٍ فَقَالَتْ فَكُنْ تَقُومُ عَلَى الْمَرْضِيِّ وَنَدَوَيِ الْكَلْمَى
فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَى إِحْدَانَا بَأْسٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا جِلْبَابٌ أَنَّ لَهَا تَخْرُجَ
فَقَالَ لِتُلْبِسُهَا صَاحِبَتْهَا مِنْ جِلْبَابِهَا فَلَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُؤْمِنِينَ .

رواہ البخاری

وهكذا كان السلوك العملي والقدوة الحسنة من أعظم وسائل التخاطب والتحاور مع الآخر وتوضيح صورة الإسلام والمسلمين لديهم، بالتزام الحق والعدل والإنصاف والمعاملة الحسنة معهم.⁵

وال تاريخ الإسلامي حافل بالنماذج التي كانت القدوة فيها من أهم وسائل الدعوة. فالالتزام الحق مع الناس ومعاشرتهم بالبر والقسط والعدل هو دعوة الإسلام في كل حين. والإسلام لم يقصد مطلقاً أن تقوم الحياة بين المسلم وغيره على العداء المستمر والقتال الدائم والغلظة والفاظة والظلم والتظالم بل جعل الأصل في الحياة السلم والعدل والإنصاف والبر والإصلاح. قال تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا)⁶. وقال تعالى في موضع آخر: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا النَّيْتِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِإِنْسَانَ عَدُوًا مُبِينًا)⁷. وأوضحت تلك الآيات المحكمة الواحدة تلو الأخرى أهمية السير على هذا المبدأ وتنفيذها في حياة المسلمين وجعله أصلاً.

وتأتي الدراسات النفسية الحديثة بعد قرون من الزمن لتبيّن أن قدراً كبيراً من التعلم يتم بطريقية الاقتداء، فيتعلم المرء من خلال مشاهدة سلوك شخص آخر وما يترتب عليه من نتائج، أكثر مما يتعلمه من أقواله. فالناس في مختلف الثقافات وخاصة الأطفال لا يعلمون ما يقوله الراشدون وإنما يعلمون ما يشاهدونه من سلوكهم وما يتمثل من نماذج واقعية. فالاقتداء يعد من أهم الأساليب التي تتم من خلالها تنشئة الأفراد. وهو

⁵- لتوضيح المزيد حول هذه النقطة، راجع: محى الدين عبد الحليم، القدوة الحسنة وفاعليتها في الإقناع بالثوابات الإسلامية، مجلة أفاق الثقافة والترااث، العدد الثامن عشر، ربيع الثاني 1418هـ/أغسطس 1997م، ص 117.

⁶- سورة البقرة: 83.

⁷- سورة الإسراء: 53.

الأمر الذي أرسّت دعائمه مواقف النبي عليه الصلاة والسلام في المجتمع⁸. ويؤكد علماء الاتصال في العصر الحديث أن الاتصال العملي غير اللغطي عامل هام في إيصال الرسالة. فالمستقبل يميل إلى تصديق الرسالة العملية غير اللغطية⁹.

وتحول ثمار ذلك الأسلوب الحواري الفذ الذي امتاز به المسلمون تقول المستشرقة زينب زينب هونكه:

" واستطاع العربي بإيمانه العميق أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته لا بالتبشير وإيقاد البعثات وإنما بخلقـهـ الكـريمـ وـسـلـوكـهـ الحـمـيدـ فـكـسبـ بـذـلـكـ لـدـيـنـهـ عـدـدـاـ وـفـيـرـاـ لـمـ يـكـنـ أـيـةـ دـعـاـةـ مـهـمـاـ بـلـغـ شـأـوـهـاـ لـتـسـتـطـعـ أـنـ تـكـسـبـ مـثـلـهـ"¹⁰.

المبحث الثاني: تفعيل دور الإعلام الخارجي

يعد هذا الدور من أهم الوسائل التي يمكن من خلالها بناء منابر لتعريف الآخرين على موقع المرأة في الثقافة الإسلامية في بلدان العالم المختلفة الأديان والملل، والتعريف بالإسلام وثقافته وعاداته الشعوب وتقاليدها لتصبح حلقة وصل ثقافية بين تلك البلدان والبلد الأصلي لها. وهي مهمة تحتاج إلى مزيد من الصبر على دراسة وفهم تعاليم الإسلام وثقافته من جهة، وتعاليم وثقافة الشعوب الأخرى المضيفة.

وهي وسيلة تمتد جذورها في عمق السيرة النبوية حين أرسل النبي صلى الله عليه وسلم سفارائه إلى مختلف الملوك والأمراء. ولعل أبرز سفارائه وأشهرهم عمرو بن العاص الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان للهجرة إلى جيفر وعبد ابني الجلندي في عُمان وهم من الأزد. والملك

⁸- شعبان جابر الله، التنشئة الاجتماعية، زين العابدين وآخرون (محرر). علم النفس الاجتماعي أساسه وتطبيقاته، مطبع زمزم، 1993م، ص 67-88.

⁹ - Lin. Nan. The Study of Human Communication, (New York: 1973), pp. 37-39.
¹⁰ - زينب زينب هونكه، مرجع سابق، ص 366-367.

منهما جيفر فدعاهما إلى الإسلام فأسلم الملك وأسلم أخوه عبد وأسلم معهما كثير من العرب أهل عُمان.

ولقد راعى النبي عليه الصلاة والسلام أن يكون سفراوه أصحاب امتيازات عالية من العلم واللباقة والمظهر والمحبر الحسن في سبيل نقل أروع صورة عن الإسلام ومبادئه لدى الدول المرسلين إليها.

بل إن النبي عليه الصلاة والسلام راعى في كل دولة أرسل إليها سفيره، الفروق الموجودة بين ثقافات الدول واهتماماتها. فراعى في سفارائه رواه المظہر خاصة عندما أرسلهم إلى كسرى الفرس وقيصر الروم ومقوقس مصر مراعاة لليل ملوك تلك الدول بالاهتمام بالظہر ومدى تأثيرهم بذلك. فكان يتخير صلی الله عليه وسلم من يرسله ليكون أقرب إلى النفوس وأقدر على التأثير فيهم وأحرى أن يستقبل بالحفاوة والقبول منهم¹¹.

وهذه قضية يمكننا الإلقاء منها في تطوير الوعي بوضعية المرأة المسلمة وما منحه الإسلام لها من حقوق وامتيازات ومكانة سامية، من خلال حوارنا مع الأمم والشعوب. فلا تكاد تخلو دولة في العالم من سفارات دول إسلامية يمكنها أن تكون قنوات ثقافية وجسور حضارية بين الشعوب المختلفة على أن تتبنى ذلك كواحد من مشاريعها الإستراتيجية.

سفارات الدول الغربية في كثير من الدول الإسلامية، تلعب دوراً هاماً في قضية المرأة والدفع بها في اتجاهات معينة.

المبحث الثالث: التركيز على الحوار مع الشعوب

قد يكون الأفراد والمؤسسات الشعبية أقرب إلى الاستجابة لنداء الحوار، وال الحوار معها أجرد بأن يعطي ثماراً حسنة وينتج تجاوباً فعالاً مجدياً.

¹¹ انظر في ذلك: محمود شيت خطاب، عمرو بن العاص القائد المسلم، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ربيع الأول 1417هـ، ج 2، ص 101 وما بعدها.

وقد ظهر فعالية تلك الوسيلة جلياً في مواقف النبي عليه الصلاة والسلام فقد حاور الجميع. حاور زعماء الكفار المعاندين الجاحدين الذين اتسمت مواقفهم بالاستخفاف بالدعوة والتسيفيه بصاحبها والسخرية اللاذعة منه، كما حاور أصحاب المواقف المعتدلة غير العنيفة في جحودها للدعوة. فكما يوجد الأنبياء والأولياء والصالحون الذين قال عنهم الله سبحانه وَجَعَلْنَا هُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَائِنُوا لَنَا عَابِدِينَ¹² ، يوجد في المقابل المستكبرون والجبارون والسفهاء والمفسدون في الأرض. وهؤلاء يدعوهם تجبرهم واستكبارهم وعلوهم في الأرض إلى إنكار الحق وتجحوده مهما كان بيناً واضحاً، وقد بين القرآن حقيقتهم فقال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنْتُهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)¹³.

فإذا سدت سنة الله في الحوار من أجل التفاهم والتعايش، انفتحت سنة الله في الدفع، دفع الباطل بالحق، ودفع الشر بالخير، ودفع الإفساد بالإصلاح، ودفع العداون بالجهاد.

لأنه لو لا هذا الدفع لعم الظلام وانتشر الفساد في البر والبحر والجو، وتعطلت مسيرة الحياة البشرية على وجه الأرض أو تعسرت. قال تعالى: (وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا لَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا لَّهُدِمَتْ صَوَامِعٌ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ عَزِيزٌ¹⁴).

ويمكن تفعيل هذه الوسيلة بشكل أفضل من خلال الجاليات المسلمة المواجهة في المجتمعات غير إسلامية. ولعل المرحلة التاريخية

12 - سورة الأنبياء: 73.

13 - سورة النمل: 14-13.

14 - سورة البقرة: 251.

15 - سورة الحج: 40.

الراهنة من أهم المراحل التي ينبغي أن تتوجه إليها أنظار الجاليات المسلمة.

وهي مرحلة ذات بعدين:

- البعد الأول يتمثل في دراسة وفهم واقع المرأة في الغربية في المجتمع، فقد تualaت صيحات الخطر من قبل علماء النفس والمجتمع منذرة باستفحال أوبئة الانحرافات الأخلاقية واللوثات الشاذة التي باتت تهدد كيان المجتمعات الغربية عموماً وكيان الأسرة ووضع المرأة فيها خاصة.

ومن ذلك ما كتبه الكاهن المشهور جيري فولول Jerry Fawell في كتابه اسمي يا أمريكا: "لدي إحصاءات مربعة عن حوادث الطلاق وتدمير الأسرة والإجهاض وجنوح الناشئة والغوضي الجنسية وتعاطي المخدرات وجرائم القتل إنني أشاهد حطام الإنسان والأرواح المهدورة بأكdas تفوق الإحصاءات إن أمريكا بحاجة سريعة إلى الإنقاذ الروحي والأخلاقي إذا كانت تريد أن لا تهلك في القرن العشرين".¹⁶

- أما البعد الثاني فيتمثل في إزالة الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين ووضعية المرأة المسلمة في الإسلام وما يثار حولها من شبّهات وأباطيل، والتي تأكّدت معالّمها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. تلك الصورة التي باتت تقض مضاجع المسلمين هناك ولا سبيل للخلاص منها إلا بالتغيير السلوكى الإيجابي الفعال من قبل المسلمين ومحاولة اختراق الفكر الغربي ثقافياً وتربيوياً ومحاجرة الشعوب ببيان الحال لا المقال.

بيد أن هذا الدور لا يمكن للجالية المسلمة أن تلعبه إلا من خلال العودة إلى هويتها الحضارية الإسلامية والاعتزاز بها وبدورها في تقديم الإسلام. على أن يكون نمط الحياة المعيشية التي يحيونها أنموذجاً يتحاورون من خلاله مع الآخر في عقر داره ومجتمعه.

¹⁶ - Jerry Fawell, Listen America,(New York: Bantam Book. Inc, 1981). وراجع كذلك: ماجد عرسان الكيلاني، رسالة المسلم في المجتمع الأمريكي، مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، مرجع سابق، ص 128.

ولا يقتصر الحوار على الممارسات الفردية بل لابد أن يمتد ليشمل توعية الجالية المسلمة بدورها كجامعة في المجتمعات، من خلال ممارسة ألوان العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية مع الآخر هناك.

ومما لا شك فيه أن هذا الأمر يتطلب خطة إستراتيجية لدراسة طبيعة المجتمعات التي يعيشون فيها وطبيعة التصورات المشوهة المفترأة على الإسلام مع جهل العامة بالحقيقة التاريخية والحضارية له.

ولعلّ أوضح دليل على فعالية هذه الوسيلة الشواهد التاريخية التي تؤكد دور التجار المسلمين في نشر الإسلام في دول جنوب شرق آسيا وأفريقيا أثناء رحلاتهم التجارية. فقد شقّ الإسلام طريقه عبر التجار المسلمين الذين حاوروا أهل البلاد بسلوكياتهم قبل أقوالهم.

يقول الرحالة جوزيف تومسون في تقرير له نشرته مجلة التايمز: ”إذا بلغنا غرباً أفريقياً والسودان الأوسط نجد الإسلام كجسم قوي تدب فيه روح الحياة والنشاط وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام كما كان في أيامه الأولى فترى الناس تدخل فيه أفواجاً أفواجاً وتقبل عليه بإقبال عجيب شبه أيامه السالفة ترى فيه أشعة نوره منبعثة من شوارع سيراليون وآخذة في إثارة بصائر القبائل المنحطة في وهاد الجهة الآكلة لحوم البشر عند منبع النيل. وقد كانت أعظم فتوحات الإسلام في أواسط السودان وغربه كانت على يد جماعة سليمي الطوية منخفضي الجناح وفي الأزمان الحاضرة كان القائم بأمره تاجراً ذا همة وإقدام.. وكان يجهد نفسه لنشر لواء ديانته.. ونتج عن ذلك أن أشرق شمس الإسلام في سماء هذه الجهة بأجمعها“¹⁷.

ذلك الدور الذي لم يقابله دور مماثل للجاليات المسلمة في الغرب. وهو أمر يحتاج إلى مزيد من الدراسة والتعمق لحصر أسباب ذلك ومعالجته.

¹⁷ - نقل عن أنور الجندي، الإسلام يزحف بقوته الذاتية في أفريقيا، مجلة حضارة الإسلام، العدد الرابع، السنة العاشرة، جمادى الآخرة 1389هـ /أيلول 1969م.

ولئن كانت الفترات الماضية لم تؤكِد بالقدر الكافي ضرورة هذه الخطوة وأهميتها، فإن المرحلة الراهنة أكبر شاهد على حتمية هذا الحل وضرورة الانصياع له. وهذه الخطوة ليست نظرية البتة وإنما هي ضرورة حيوية لا يمكن أن يتصور بدونها تقدماً حقيقياً في مجال الحوار العملي مع الآخر. وتتطلب هذه الخطوة من كافة العاملين في مجالات الحوار، محاولة إعادة تأهيل الخطاب الفكري لواجهة التحديات الراهنة المتزايدة.

وعلى هذا فكل ما يمكن أن يحقق المصلحة والفائدة، يصلح أن يكون مجالاً للحوار، فلا يقتصر الحوار على موضوع دون آخر. بل يشمل كل ما يتعلق بحياة المجتمع في حاضره ومستقبله، ويعطي شتى الموضوعات المرتبطة بمناحي الحياة المختلفة، التي تفرضها طبيعة العلاقات الثنائية والمصالح المتبادلة

المبحث الرابع : التنشئة الاجتماعية .Socialization

تعتبر التنشئة الاجتماعية العملية التي يقوم بها المجتمع من خلال وكالاته ووسائله المختلفة، التي من أهمها الأسرة والمؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام والاتصال وجماعة الأقران والمؤسسات الدينية في تشكيل اتجاهات وسلوك الأفراد وفقاً لثقافة المجتمع ومعاييره¹⁸.

فالأسرة تعد بلا منازع الجماعة الأولية التي تُكسب النشء الجديد خصائصه النفسية والاجتماعية. فالأسرة هي التي تزود الفرد بالرصيد الأول من القيم التي ترشده في سلوكه وتصرفاته. وتشير الدراسات الحديثة والبحوث التي أجريت بهذا الصدد أن أساليب التنشئة الاجتماعية التي يستخدمها الآباء والأمهات مع الأولاد إنما تعكس الاتجاهات الوالدية Parental Attitudes وهي عبارة عن مشاعرهم وتوجهاتهم في أساليب التعامل مع الأبناء.

¹⁸ - معتز سيد عبد الله، عبد الطيف محمد خليفه، علم النفس الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص 213.

وأغلب طاقات المجتمع الفردية أو الجماعية تنبع من التركيب الأسري للفرد، وكلما كانت التربية الأسرية مبنية على أسس سليمة وبناءة، كلما أنتجت من الكفاءات ما يرفد المجتمع بعوامل القوة والنجاح.

فالتعامل مع الطفل - ذكراً كان أو أنثى - بإيجابية ومحبة، واحترام فرديته - دون تمييز - يسهم في تفتح شخصيته، وتنمية قدراته الإبداعية، وهذا موكولٌ للأسرة التي تستطيع أن تهيئ لهم فرصة التعبير عن أفكارٍ جديدةٍ وإيجابية، وتتوفر لهم فرص القراءة والمناقشة وطرح الأسئلة.¹⁹

إلا أن الدراسات تشير إلى أن أكثر أساليب التنسيئة الاجتماعية انتشاراً في الأسرة العربية هي أساليب التسلط والتذبذب والحماية الزائد حسبما أشار تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003 الذي أضاف: "هذا الأسلوب يؤدي إلى زيادة السلبية وضعف مهارات اتخاذ القرار لا في السلوك فحسب وإنما في طريقة التفكير حيث يعود الطفل من الصغر على كبح التساؤل والاكتشاف والمبادرة".²⁰

إن تبني الأسرة للنهج القائم على احترام البنت وتقدير مشاعرها، والإصغاء إلى آرائها وترك الحرية لها للتعبير بحريةٍ عن أفكارها، يعد من أهم عوامل تعزيز الوعي بدورها ومشاركتها في المجتمع.

وقد ضرب النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك نموذجاً يحتذى به المربيون والآباء. فعن سهيل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً قال: فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده²¹.

¹⁹ - تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003 الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - الأردني. من الموقع الإلكتروني كمركز المعرفة للمجتمعات www.ckc-undp.org.jo. راجع كذلك: تعليم الإناث في العالم الإسلامي - دراسة في النبي التعليمية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسسكو - 1423هـ/2002م.

²⁰ - البخاري: الفتنة: 10 / 5620 ولفظ له.

فسلطة الوالدين لا تكون من النوع التسلطي القهري بل تكون كنوع من التوجيه والتربيّة والقيادة. فيتربى الأفراد فيها على احترام الذات والتفكير الإيجابي واحترام الغير النابع من احترام الإنسان لذاته. وهذا النوع من التنشئة هو الذي ينبغي أن تتجه إليه أنظار المربين وبخاصة الآباء والأمهات في مجتمعاتنا. ويمكن أن تسهم وسائل الإعلام والمؤسسات التعليمية في مرحلة مبكرة جداً بوعية الوالدين بأهمية ذلك ودوره في إرساء القيم والمثل المنشودة.

كما أوضحت تلك الدراسات أن فرض إرادة الوالدين دائمًا على أبنائهم – وخاصة الإناث – وسلطتهم عليهم بشكل مستمر واستخدام أساليب التهديد أو الضرب والحرمان تؤدي إلى التطرف وضعف الثقة بالذات وتحاشي المواقف والآخرين والعزلة عن المجتمع وعدم التفاعل الإيجابي مع المجتمع²¹.

فوجود نوع من العلاقة السلطوية بين الوالدين وبيناتهم في الأسرة الواحدة، يحدّ من درجة التواصل الضروري بين الأسرة والفتاة، وينذر روح الحوار لديها والميل إلى العزلة واللجوء إلى الصمت من باب غلق منافذ أية مواجهة بين الطرفين. فتنشأ الفتاة على الشعور بالتهميش والظلم مما يؤدي إلى تولد غضب مكبوت لديها.

وقد أظهرت الدراسات أن من أبرز المتغيرات الاجتماعية المرتبطة بالتطور بمختلف أشكاله وصوره، أسلوب التنشئة الذي يعايشه الطفل في محيط أسرته على وجه الخصوص.

كما أظهرت الدراسات خطورة تهميش دور الطفل كفرد في الأسرة وإقصاء رأيه والتقليل من شأنه، الأمر الذي سيؤدي به إلى ممارسة تلك الأشكال من السلوكيات والتصرفات مع الآخرين بناء على تلك التنشئة²².

²¹- حامد الفقي، أنماط الضبط الوالدي في المجتمع الكويتي، لويس كامل مليكة (محرر) قراءات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1994م، ج 6، ص 43-45.

²²- فؤاد البهبي السيد، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1981م.

فالأنبناء الذين ينشأون في بيئات وأسر لا تستمع إلى رأي الفتاة ولا تهتم بما يقول، لا يمكن أن يعتادوا في مراحل عمرية لاحقة إلى تقدير رأيها أو الاستماع إليها تحت أي ظرف.

ولا تزال التربية في بعض الأسر تفرق بين الجنسين الذكور-الإناث واعتبار المرأة أقل شأنًا من الرجل، وهذه النظرة المنغلقة فكريًا، تؤدي إلى الكثير من المشاكل النفسية والاجتماعية لدى الجنس الآخر، وتشكل عائقاً حقيقياً أمام مساعدة المرأة في عملية التنمية الاجتماعية الشاملة.

طريقة الاستبداد والتسلط التي تعتمد على القمع والقسوة، بحيث يتم توجيهه الطفل، وفرض الأمور عليه وقتل روح المبادرة والاستقلالية في ذاته، من شأنها أن تترك آثاراً سلبية خطيرة على شخصية الطفل قد تستمر إلى مدى بعيد، وربما تحولت إلى عقد نفسية تتحكم بسلوكه وتفكيره كالانغلاق والانزواء وغيرها. كما يمكن أن ينجم عن أمثال تلك الممارسات تعلم الطفل والراهق ممارسة القسوة والعنف التي مورست ضده ومن ثم ممارستها ضد الآخرين وخاصة ضد الطبقة المستضعفة في الأسرة المتمثلة في أخواته الفتيات غالباً.

من هنا ذهب علماء النفس الاجتماعيين إلى أهمية تحاشي الممارسات الخاطئة في تنشئة الأطفال خاصة في الأسرة. وتمثل تلك الممارسات في نظرهم في خلو الحياة الأسرية من أية ضوابط أو التشدد الشديد البعيد عن توضيح مواطن الخلل والزلل في سلوك الطفل. فإذا تجاوز الطفل مرحلة التفاعل الإيجابي مع أقرانه ورفض أساليب الحوار والمناقشة مع أخواته وانتقل إلى مرحلة العنف والعدوانية معهن، فلا بد للوالدين من معالجة الأمر بحزم ومعاقبته معنوياً على ذلك ومراقبة ذلك السلوك. وفي المقابل يمكن للوالدين تنمية حساسية الطفل نحو مساعدة الأخوات في المنزل والتعاطف معهن وتعزيز وسائل التعايش معهن ومع الآخرين بصفة عامة.

وقد ضرب النبي عليه الصلاة والسلام أنموذجاً في التربية الهدائة التي تبني شخصية المتعلم وتنمي روح الاستقلالية والثقة في نفسه. كما

ضرب أمثلة في معالجة الأخطاء الصادرة عن النشء بأسلوب هادئ يتسم بالإيجابية.

عن أنسٌ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ حُلْقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمْرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَخَرَجْتُ حَتَّى أُمِرَّ عَلَى صِبَّانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَابَضٌ يَقْفَاهُ مِنْ وَرَائِي فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ يَا أَنْيَسُ اذْهَبْ حَيْثُ أَمْرَتُكَ قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْسٌ وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُ هَلَا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا²³.

والمتأمل في هذا الحديث، يلحظ الأسلوب التربوي الفذ الذي خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم أنس، الأمر الذي أثمر تصحيح الخطأ والتجاوب معه.

فالتنشئة الحقيقية لتعزيز القيم المعنوية الهدافة لا بد أن تبدأ بالاعتناء بالأطفال. فهذا هو المدخل الأساسي الصحيح لكل جهد هادف لتنمية بشريّة حقيقة. ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار عامل الزمن وأثره في إذكاء وإنجاح هذه التنشئة، فعملية إكساب الطفل المفاهيم الصحيحة والقيم المثلية، عملية تحتاج إلى كثير من الوقت، لكنها هي المحصلة الفعلية الحقيقية للإنسان. فهذه التنشئة هي الخطوة الأولى في تربية الفرد على جميع القيم والمثل السليمة التي يمكن أن يتعرّض تعويده عليها في مرحلة النضج.

كما يجدر الإشارة إلى أهمية التنشئة السياسية في الأسرة التنشئة السياسية من خلال تعليم الأسرة وخاصة الوالدين كيفية غرس المبادئ الوطنية والمواطنة والولاء وحمايتهم من بعض الأفكار السياسية التي قد

- رواه أبو داود، باب الأدب، رقم 4143

تدفعهم إلى الانحراف السياسي وذلك من خلال التربية الديمقراطية الأسرية التي تعلمهم لغة الحوار والتسامح والمساواة.

المبحث الخامس: تفعيل دور المؤسسات التعليمية والتربوية

المؤسسات جمع مؤسسة والمؤسسة في اللغة: مشتقة من أصل أي أصل كل شيء وأأسست الدار أي بنيت حدودها ورفعت قواعدها. ويطلق لفظ المؤسسة على كل ما بني لغرض من الأغراض الربحية وغير الربحية وتدخل في هذا المعنى المؤسسات التي تخصص لأغراض علمية وتربوية وإعلامية²⁴.

وتعد المؤسسة التعليمية سواء كانت مدرسة أو جامعة مصنعاً لشخصيات الأفراد سواء كانوا معلمين أم طلبة.

في المدارس والمعاهد توضع البذور الأساسية لطريقة التفكير من حيث السطحية والعمق وكذا من حيث المنطقية والعملية، أو الذاتية والموضوعية. ومن خلال المدرسة يتم اكتساب المعارف والمعلومات وتكوين الاتجاهات نحو كثير من قضايا الحياة²⁵.

كما أن الجامعة هي المكان الذي يتاح فيه للعلماء والباحثين وال المتعلمين تداول العلم والمعرفة وإجراء البحوث والدراسات. وتنشأ المؤسسات التعليمية بهدف تزويد الناشئة بالمهارات العلمية والأساليب المنهجية عن طريق تدريب عقولهم على الملاحظة والتجريب اللازمين للوصول إلى الاستخدام الأمثل للقدرات العقلية التي زود الله سبحانه وتعالى الإنسان بها من هنا جاء تصدر الجامعات منذ القدم دور الريادة في تطور الإصلاح الاجتماعي.

²⁴ لسان العرب، مرجع سابق، مادة أنس.

²⁵ عبد الرحمن الطيريري، العقل العربي وإعادة التشكيل، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1992م، ص 62.

والمتتبع لتاريخ الجامعات في أوروبا على سبيل المثال، يلحظ أن التحولات وحركات الإصلاح الديني والفكري والاجتماعي انطلقت في الأساس من الجامعات بواسطة الأساتذة في شتى فروع المعرفة والعلم²⁶.

والمجتمع المدرسي يعتبر جزءاً من المجتمع الكبير باعتبار أن المدرسة مؤسسة اجتماعية تربوية موجهة بسياسة الدولة ولها دورها الهام في إعداد الأجيال من خلال المحتوى وما يتضمنه من أيديولوجية تقدم للتلמיד، التي تحدد دورها نوعية الأفكار والمفاهيم التي يكتسبها التلاميذ. ومن ثم فهي ذات تأثير هام على اتجاهاتهم ومعلوماتهم وطريقة تفكيرهم وتكوين مستقبلهم²⁷.

وقد يكون هناك ضعف أصاب الدور التربوي الذي تلعبه المدرسة بشكل عام في تنمية ثقافة الفرد، وغرس ثقافة الوعي بدور المرأة وأهمية مشاركتها²⁸. وهو ضعف لا ينبغي عزوه إلى عامل واحد بل هو مرتبط بأسباب عدة، إلا أنه من المؤكد أن التخطيط السليم العلمي الجاد لتعزيز هذا الوضع وتحسينه سيؤدي إلى نتائج إيجابية بإذن الله.

فمرحلة التعليم الأساسي التي تشكل مرحلة الطفولة ونهاية مرحلة الطفولة المتأخرة -بداية مرحلة المراهقة- كما يؤكد علماء النفس- من أنساب مراحل التطبيع الاجتماعي. حيث يبدأ النمو العقلي بالازدياد كما يزداد الطالب اهتماماً بالبحث عن الحقائق والقدرة على نمو المفاهيم ويتعلم المعايير والقيم ويزداد لديه حب الاستطلاع والنقد الموجه لذاته وغيره وقد يتحدى هذه أفكار الآخرين ممن هم أكبر منه في المرحلة العمرية. وهو أمر

²⁶- جمال محمد حسن الزنكي، *كيفية تحقق الهوية الإسلامية الملزمة للطالب الجامعي*، ندوة استراتيجية للفافة والتنمية دو ركليات الأداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية في دول مجلس التعاون الخليجي، كلية الأداب، جامعة الكويت، 27-29 مارس، 2000م.

²⁷- Spring. Joel. Education, The Worker Citizen, the Social Economic and Political Foundation of Education, New York, London, Long man, 1980, pp. 195-198.

²⁸- بتصرف عن: محمود محمد سفر، دراسة في البناء الحضاري، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ص .66

يمكن الإفاده منه وتوظيفه في عملية تعزيز وغرس ثقافة الاهتمام بدور المرأة في المجتمع.

من هنا ينبغي الاهتمام بمرحلة الطفولة المتأخرة على وجه الخصوص وببداية مرحلة المراهقة اهتماماً أكبر لأهميتها البالغة في غرس القيم والمفاهيم مع التركيز على ضرورة تهيئة الجو المدرسي المنفتح الذي يتطلب الاهتمام بالنوادي النفسية والاجتماعية للطلبة والطالبات من أجل نمو فكر ذاتي سليم يحاور ويتبادل وجهات النظر ويبدي الرأي فيما حوله من أزمات ومن ضعف في مشاركة المرأة، ففتاة اليوم هي امرأة الغد²⁹.

ومن النواحي الهامة في هذا السياق ضرورة تغيير ثقافة التلقين في أسلوب التعامل والتعليم المدرسي إلى أسلوب يحقق فيه الطالب ذاته. يقوم على حرية الرأي والحوار والمناقشة والنقد الإيجابي البناء بين الطلبة والعلميين والتربويين، ليصبح الجو المدرسي مناخاً إيجابياً فعالاً له دوره في إكساب التلاميذ ثقافة الانفتاحية والتقبل والاعتراف بالرأي الآخر واتساع الأفق. ففي مثل تلك الأجواء تنموا العلاقات الإنسانية والاحترام المتبادل والاتجاهات الفكرية السليمة حتى تتوطد في نفوس الأفراد وتتصبح سجية يتم التعامل بها في ميادين الحياة والمشاركة الاجتماعية في المختلفة³⁰.

فتشة حاجة ملحة وضرورة آنية إلى تغيير ثقافة التلقى والتلقين في المناخ المدرسي والانتقال إلى تبني ثقافة الحوار والنقاش في مختلف القضايا في جوًّ يسوده الاحترام والتقبل والنقد الإيجابي البناء.

فالأسلوب الواحد المفروض في التفكير والتلقى والاستظهار والتعبير والامتحان الذي يُمارس في المؤسسات التعليمية منذ مرحلة الابتدائي إلى المستوى الجامعي، لا يمكن أن يسوق إلى فكرة وجود رأي آخر ناهيك عن إمكانية التفكير في تقبليها أو مناقشتها.

²⁹ -Corisini, R. (Ed). Encyclopedia of Psychology. New York. John Wiley & Sons. Pp. 39.

أنظر كذلك: علم النفس الاجتماعي، مرجع سابق، ص 700.
30 -لطيفة إبراهيم خضر، دور التعليم في تعزيز الانتماء، عالم الكتب، مصر، 2000م، ص 232.

فالمؤسسات التعليمية ومناهجها وأدواتها ومناخها ينبغي أن تتضامن لتنمية حرية التفكير وحرية الاختيار وإبداء الرأي ورعاية القدرات العقلية عند النشء وتوفير فرص النمو الفكري له دون التمييز في ذلك بين الفتاة والصبي.

ومن وسائل تحقيق ذلك، طرح المشكلات على المتعلمين ودعوتهم إلى التفكير وإيجاد الحلول لها، التي تعد من أحدث وسائل التربية المعاصرة. ويتم ذلك عن طريق الحوار بين طرفين بما يعلم والمتعلم فمنهج الحوار يهيء المترافق ليصبح قادراً على التفكير والنقد والتحليل والإبداع. يقول في ذلك باولو فرايري صاحب كتاب تعليم المقهورين: "إن منهج طرح المشكلات يعتبر الحوار أساساً من أجل فهم العالم.. ويساعد منهج التعليم الحواري على الإبداع والفهم والتبصر بحقائق الوجود وبالتالي فإنه يحقق إنسانية الإنسان" ³¹.

وهو في غاية الأهمية في قضية المرأة التي ينبغي أن يستشعر الشباب ضرورة الحفاظ عليها وأنها ليست سلعة معرضة لكل طامع أو عابث. وهذه الثقافة لا يمكن أن تنشأ وتنتشر في المجتمع إلا من خلال إيقاظ الوازع الديني والوعي بأهمية الربط بين الدين وممارسات الحياة المختلفة.

وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم أسلوباً فذاً في تحقيق هذا الهدف مع الشباب. ففي الحديث الذي رواه أبو أمامة أن فتى من قريش أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إئذن لي في الزنا فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا له ما فدنا منه فربما فدناه فقال أتحبه لأمك قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال أفتح به لابنتك قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لبنياتهم قال أفتح به لأختك قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال أتحبه لعمتك قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لخالتكم قال أتحبه لخالتك قال

³¹- باولو فرايري، تعليم المقهورين، ترجمة: يوسف نور عوض، دار العلم، بيروت، 1980م، ص. 9.

لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فَدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ
قَالَ فَوْضُعَ يَدُهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ قَالَ
فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتْيَةُ يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ³².

ففي هذه الواقعـة لم يعالج النبي عليه الصلاة والسلام الإشكالية من خلال تقديم موعظـة مباشرة أو سلوك سبيل الرجر والنهي، بل لجأ إلى إيصال الشـاب للحلـ بنفسـه بأسلوب اتسم بالدرجـ والـحوارـ الـهـادـفـ إلى التـغيـيرـ الإيجـابـيـ بالإقنـاعـ.

ولا يقل دور المعلم أهمية ومحوريـة عن دور الأقطـابـ الأخرىـ في العملية التـربـويـةـ. فـالمـعـلـمـ وـالـرـبـيـ يـنـبـغـيـ أنـ يـكـوـنـ بـمـثـابـةـ نـمـوذـجـ المـلـأـعـلـىـ المـقـدـمـ فيـ المؤـسـسـةـ التـعـلـيمـيـةـ. فـلاـ يـنـبـغـيـ أنـ يـقـتـصـرـ دورـهـ عـلـىـ إـلـقاءـ المـعـلـومـاتـ وـتـلـقـيـنـ الـأـفـكـارـ وـالـمـفـاهـيمـ وـالـمـعـتـقـدـاتـ منـ وـجـهـةـ نـظـرـ وـاحـدـةـ تـقـوـمـ عـلـىـ الإـلـزـامـ دونـ أـنـ يـشـرـكـ المـتـعـلـمـ فيـ ذـلـكـ كـلـهـ وـلـوـ بـشـيـءـ منـ التـحـلـيلـ وـالـنـاقـشـةـ وـإـبـادـاءـ الرـأـيـ فـيـماـ يـتـلـقـاهـ³³.

ولا تخـفى خـطـورـةـ هـذـاـ النـوعـ مـنـ التـعـلـيمـ فيـ تقـليلـ روـحـ الإـبـادـاعـ فيـ نـفـوسـ النـشـءـ وـعـدـائـيـةـ الـجـدـيدـ وـعـدـمـ مـرـاجـعـ الـقـدـيمـ بـلـ وـالـمـحـافـظـةـ عـلـيـهـ بـمـاـ يـحـمـلـ منـ سـلـبـيـاتـ أوـ إـيجـابـيـاتـ. بـلـ إـنـ هـذـاـ النـهـجـ يـسـوقـ فيـ بـعـضـ الـأـهـيـانـ إـلـىـ وـصـفـ الـجـدـيدـ بـالـبـدـعـيـةـ وـالـمـجـدـدـ بـسـوـءـ النـيـةـ دـوـنـ نـظـرـ فـاحـصـةـ تـحـلـيلـيـةـ قدـ تـصـلـ إـنـ وـظـفـتـ إـيجـابـيـاـ إـلـىـ التـوـافـقـ الـكـامـلـ أـوـ الـجزـئـيـ أـوـ الرـفـضـ عـلـىـ بـيـنـةـ.. وـهـذـهـ أـمـرـ يـنـبـغـيـ الـاـهـتـمـامـ بـهـاـ مـنـ قـبـلـ الـمـعـلـمـينـ وـالـرـبـيـنـ.

ولا يـنـحـصـرـ دورـ المـعـلـمـ فيـ ذـلـكـ فـحـسبـ بـلـ يـمـتـدـ لـيـشـمـلـ المـارـسـاتـ التـربـويـةـ فيـ المؤـسـسـةـ التـعـلـيمـيـةـ، مـنـ خـالـلـ تـقـديـمـ نـمـاذـجـ تـطـبـيقـيـةـ تـسـهـمـ فـيـ إـرـسـاءـ هـذـهـ الدـعـائـمـ كـشـرـعيـةـ حـقـ الـمـعـلـمـيـنـ فـيـ التـصـوـيـتـ عـلـىـ بـعـضـ الـقـضاـيـاـ الـمـطـرـوـحةـ فـيـ الدـرـوـسـ، وـتـشـجـيـعـهـمـ عـلـىـ إـقـامـةـ نـدـوـاتـ حـوـارـ مـفـتوـحةـ لـنـاقـشـةـ

³² رواه أـحـمـدـ وـالـطـيـرـانـيـ فـيـ الـكـبـيرـ وـرـجـالـهـ رـجـالـ الصـحـيحـ.

³³ لـمـزـيدـ مـنـ التـفـاصـيلـ حـولـ ذـلـكـ: أـنـظـرـ: مـاجـ عـرـسـانـ الـكـيـلـانـيـ، أـهـدـافـ التـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ تـرـبـيـةـ الـفـردـ وـإـخـرـاجـ الـأـمـةـ وـتـنـمـيـةـ الـأـخـرـةـ الـإـنـسـانـيـةـ، الـمـعـهـدـ الـعـالـمـيـ لـلـفـكـرـ الـإـسـلـامـيـ، أـمـريـكاـ، الـطـبـعةـ الثـانـيـةـ، 1997/1417مـ، صـ182ـ.

بعض القضايا المتعلقة باهتماماتهم وحياتهم وواقعهم. فلا يبقى الفرد في المؤسسة التعليمية بمنأى عما يدور في مجتمعه وواقعه.

كما لا ينحصر دور المؤسسة في تلقين معلومات ومفاهيم أحادية الجانب بل يمتد ليشمل بعض ما يدور في المجتمع لتنمية معالجة ما يمكن أن يطفو على السطح من سلبيات أولاً بأول بأسلوب يقوم على الحوار ويتناه منهجاً للعلاج.

فالمدرسة بعناصرها المختلفة تلعب دوراً هاماً في ترسیخ فضيلة احترام المرأة وتعزيز دورها في البناء والتنمية عند المتعلمين.

وكلاً كانت الأساليب المتبعة في المؤسسة يسودها التقبل والتفاهم والتعايش تجاه المتعلمين، كلما ساهم ذلك في تنمية شخصية الفرد وتحقيقها وإيقاظ مفاهيم التنوع والتقبل للآخر.

ويمكن إدراج الفوائد التالية لنشر ثقافة الوعي بدور المرأة بين المتعلمين في مختلف المؤسسات التعليمية وممارسة ذلك في مختلف المراحل العمرية، ومن ذلك:

- تعزيز استراتيجيات بناء العلاقات الإيجابية مما يؤدي إلى شيوخ الاحترام المتبادل والتقبل ونبذ الصراع في المجتمع من خلال ممارسة ذلك في مؤسسة المدرسة.

- بناء وتعزيز ثقة المتعلمين بأنفسهم وتأكيد ذاتهم وتنمية استقلاليتهم، وتشجيعهم على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم.

- تدريب المتعلمين على تقبل الاختلاف مع الآخرين وأن ذلك لا يُعد تهديداً لهم.

- تدريب المتعلمين على تحقيق وتقرير مبدأ القيم المقبولة فهو مناخ ممتاز لتعديل السلوك.

- تنمية للروح الاجتماعية والتغلب على الخوف الاجتماعي خاصه بين الفتيات.

- التخلص من المشاعر العدائية أو القلق أو الخوف أو الصراعات النفسية والإحباطات في مراحل مبكرة قبل النزول إلى واقع الحياة العملية أو الدراسة الجامعية. وهذه فرصة يجب أن تنتهز لعلاج تلك المشكلات ودعم النمو الانفعالي واستنطاق المشاعر والتنفيس عنها ومن ثم معالجتها في مراحل مبكرة.

المبحث السادس: المنهج الدراسية

تقوم المقررات الدراسية بدور بالغ الأهمية في تنمية وتنشئة الأفراد إذا ما تضمنت أهدافاً بعينها وقيماً بذاتها تعكس وتؤكد أهمية ترسیخ مبدأ مشاركة المرأة ودورها في التنمية. الأمر الذي يتطلب مناهج تؤسس لهذا الفكر وتعززه باعتباره نسقاً قيمياً من خلال تضمن المقررات الدراسية قيمة بعيتها كقيمة المساواة بمفهومها القرآني الأصيل، الحرية بضوابطها الشرعية المعروفة، التعاون، المشاركة.....

فالمناهج الدراسية بما تحويه من معارف ومعلومات وأمثلة وتمارين ونصوص أدبية تمثل حجرأ أساسياً في الكيفية التي ينمو بها عقل المتعلم.

ويمكن الإفادة من ذلك عملياً من خلال طرح الموضوعات المختلفة من خلال وجهات نظر وأراء متعددة لا تعتمد الأحادية في طرحها أو صياغتها. كما يمكن للمقررات الدراسية أن يتسع مداها الإيجابي من خلال أسلوب المعلم أثناء طرحه وتناوله للمسائل المختلفة بأسلوب يدعى للمتعلم حرية الفهم والإدراك والوعي ومن ثم ترشيد عملية التوصل الفكري السليم إلى الصواب ومناقشة ذلك كله بحرية واحترام لرأي المتعلم واستقلاليته.

كما يمكن أن تتضمن بعض المقررات الدراسية خاصة ما يتعلق بالمقررات الدينية والاجتماعية تساؤلات حول دور المرأة والمشاكل الاجتماعية السائدة والأمراض الأسرية المنتشرة الناجمة في كثير من الأحيان عن عدم الوعي

بدور المرأة وتهميشهما، بشكل يستثير قدرة المتعلم العقلية على المناقشة والراجعة وإدراك مواطن الصواب من الخلل في القضايا المختلفة.

إلا أنه ينبغي تأكيد أهمية عدم اعتبار المقرر المدرسي المصدر الوحيد لعمر الطالب، الأمر الذي يجعله سجيناً في هذا الكتاب ملتزماً بحروفيته، دون القدرة على الرابط بين ما يتعلمه وبين الواقع المأزوم الذي يحياه، خاصة فيما يتعلق بالمرأة ووضعها في المجتمعات المختلفة. فهناك العديد من الممارسات غير الصحيحة المنافية للشرع، ينبغي الاهتمام بالوقوف عندها ودفعه المتعلم إلى استكشاف أسبابها للمساهمة في إيقافها. لأن التقليين عند الصغر أفعى في النفس وأدوم من الطرق على ذلك في الكبر.

فالطفل لا يستطيع أن يحاكم الحقيقة، وإنما يقدر على تقبيلها، وبخاصة إذا قدمت له شكل قصة أو قطعة أدبية أو حادثة تاريخية مشوقة. فهذه الأمور هي التي تشكل الأفكار مستقبلاً وتجعلها ثوابت سلوكية تتتحكم في الناشئة، ويصعب عليهم التخلص منها. فهي تتحول إلى مبادئ وتحشد لنفسها من أسباب القوة كي تقهقر كل ما سواها مهما كان صحيحاً.³⁴

ويمكن إضافة مقررات دراسية في مراحل التعليم المختلفة خاصة الأساسي يتم التركيز فيها على إكساب المتعلمين قيم المشاركة واحترام المرأة ومهارات النهوض بواقعها... على أن تتضمن تلك المقررات نصوصاً من القرآن والسنة ونماذج من التاريخ الإسلامي ترتكز هذه القيم وتؤصلها في نفوس النشء. ويمكن أن يكون ذلك من خلال نصوص تحفظ أو موضوعات قراءة نقدية أو تعبير أو قصة... على أن يتولى المعلم دوره في تناول هذه المقررات وشرحها كمعلومات معرفية بطريقة مشوقة مؤكداً أهميتها في الواقع وصلتها بحياة المجتمع مع إجراء مقارنات مستمرة بين واقع المرأة في عصر الرسالة والعصور الراشدة وبين واقع المرأة في كثير من المجتمعات اليوم.

³⁴ يونس عمرو وغانم مزعل ، العربي في أدب الأطفال العربي، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة الخليل، 1988 م.

فمن خلال المادة المقررة يمكن بث المفاهيم والقيم المؤكدة لدور المرأة وأهمية مشاركتها في البناء وضرورة هذه المشاركة، وخطورة استبعادها وتهميشهما.

ولعل من نافلة القول الإشارة إلى ضرورة تطوير طرق التدريس والوسائل والتقنيات التعليمية، وعدم التركيز على التدريس التقليدي الذي أظهر عدم فاعليته في ظل التقدم العلمي الذي نعيشه، وضرورة تغيير الأساليب القائمة على الحفظ والاستظهار في معظم القرارات إلى أساليب تقوم على حلّ القضايا بشكل يتم فيه تدريب التلاميذ على إعمال الذهن والاختيار بين البدائل وإعطاء الفرصة للنشء لتحديد وجهات نظرهم وإبدائهما وفق منهج علمي مدروس.

كما تلعب الأنشطة المدرسية دورا هاما في تعزيز هذه الثقافة، لما تسهم به في ترجمة المفاهيم المجردة من خلال التدريب والممارسات المختلفة إلى سلوكيات معاشرة.

من هنا تأتي أهمية تعزيز الأنشطة المدرسية لتحقيق دورا إيجابيا في ترجمة القيم والمفاهيم التي يحث عليها العلم والمنهج الدراسي وتنمية قدرة الطالب على التفكير العلمي وأهمية العمل الجماعي المشترك، ليتم اكتساب معنى الجماعية والتوازن والتعايش وحرية الرأي واحترام رأي الآخرين... وهذه كلها من أهم القيم الإيجابية التي ينبغي تأسيسها.

ويمكن حصر بعض الآثار الإيجابية المتربعة على تفعيل تلك الوسائل مجتمعة فيما يلي :

- تعويد المتعلمين على الإيجابية
- إشباع حاجات التلاميذ العلمية.
- استثارة قدرات التلاميذ العقلية وتنميتها
- تنمية سلوكيات التلاميذ في التعامل مع المرأة – أختنا كانت أو أما أو زوجة في المستقبل أو ابنة – والتعود على احترام آرائهم وتقديرهن.

تنمية روح المشاركة

النأي بالتللاميد عن روح التطرف وإقصاء المرأة وتهميشه دورها والتقليل من شأنها ورأيها.³⁵

من هنا فإن للمؤسسة التعليمية دورها المحوري في تأكيد قيم مشاركة المرأة والنهضة بها مفهوماً وقيمة في وجدان وأذهان المتعلمين، وبلورته سلوكاً وممارسة من خلال المواقف التعليمية المختلفة.

ولنا أن نتساءل إذا ما كانت أساليب تعليم الفتيات نفسها تعكس وتكرس التمييز المجتمعي الأوسع إن كان حول أنواع النشاطات الاقتصادية المتاحة للمرأة أو حول الدور المحدود بالوظائف الأسرية. وهنا أؤكد إنني لا أخص المناهج الدراسية وإنما العملية التربوية بمجملها و التي إلى أن تصبح عملية تحول اجتماعي حقيقي مرتبطة بالعملية التنموية الشاملة سيبقى هنالك نساء كثيرات لا نستطيع أن نقول أن تعليمهن قد أدي إلى التمكين. إن عملية تمكين المرأة تتطلب عملية تحول شامل ليس في مؤسسات محدودة فقط، وإنما أساساً في تلك المؤسسات التي لا زالت تساند وتكرس البنية الأبوية. وبالرغم من العديد من السياسات والتوجهات العامة تتوجه حالياً نحو الإصلاح، فهي لم تتحدد بنية العوائق وأثرها في حياة المرأة.

ومن الوسائل المعاصرة كذلك في هذا الميدان، استحداث كراسى وبعثات دراسية تمنح للجامعات الغربية ليتم من خلالها تلقي دارسيها وطلابها تعليمهم في جامعات الدول الإسلامية خاصة فيما يتعلق بوضع المرأة ودورها التنموي في الإسلام، لنشر الوعي في الغرب حول ذلك وإزالة الضبابية الفكرية حوله.

³⁵ - انظر في ذلك: عبد الرحمن الطريري، العقل العربي وإعادة التشكيل، كتاب الامة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1992م، ص 63.

المبحث السابع : المؤسسات الإعلامية

تقوم وسائل الإعلام بدور فعال في التنشئة والتربية الاجتماعية. حيث تسهم في إكسابهم معلومات ومعارف وحقائق وأخبار ووقائع وإعلانات... حول موضوعات معينة كما تساعد على تكوين اتجاهات وقيم وأراء الأفراد بما يؤدي إلى تكوين رأي عام حول هذه الموضوعات.

وسائل الإعلام تعد من أهم وأخطر القنوات التي تسهم مساهمة فعالة في تشكيل العقل وطبيعة توجهه نحو قضية معينة فيمكن من خلال الصحفة والإذاعة والتلفزيون والقنوات الفضائية والانترنت... التأثير على عقلية الفرد وطريقة تفكيره.

وقد أدركت بعض المجتمعات أهمية الإعلام فقادت بتوظيفه بشكل سليم لخدمة أهدافها ومصالحها على المدى القريب والبعيد، وتقدم قضاياها من خلال العرض المطروح بمختلف الأساليب.

إن وسائل الإعلام متعددة ومتعددة وكل وسيلة إعلامية خصائص ومميزات تنفرد بها عن الأخرى.

وتحدث هذه الوسائل تأثير على الفرد يؤدي إلى تغيرات تحصل على المجالات السلوكية والانفعالية والمعرفية وال المجالات النفسية العميقة وعند الحديث عن الإعلام والمرأة.

ومن خلال المتابعت واللحظة العامة لما تقدمه وسائل الإعلام الرئيسية والسموعة والمقرؤة من أخبار وبرامج وأنشطة إعلامية يتضح جانب القصور وإغفال دورها وحقوقها في المجالات التالية :

- الصحافة

الصحافة والكلمة المطبوعة كانت ولا زالت من الوسائل الإعلامية الرئيسية والمهمة في نشر الأفكار والأراء والعلومات والتأثير على جمهور القرار تؤثر بشكل كبير وبخاصة بين أوساط النخب والقيادات.

وفي نظرة عامة للصحف اليومية الرسمية سنجد أنها بالنسبة للقضايا المتعلقة بالمرأة والأسرة يتم تناولها في إطار محدود ومساحات محدودة تتوجه في الغالب نحو موضوعات عامة عن صحة الأسرة والمجتمع والاهتمامات التقليدية للمرأة وقضايا تربية الأبناء والرعاية الصحية وموضوعات متعددة في مجالات العلاقات الزوجية وأخبار القيادات النسائية والنشاطات الرسمية للمنظمات والجمعيات.

وعند الوقوف الجاد أمام ما تنشره الصحف اليومية يلاحظ غياب تناول قضايا مهمة وحساسة ذات أبعاد قانونية وثقافية وتنموية وسياسية ونستعرض أهم القضايا التي تتجاهلها الصحف اليومية :

- عمل المرأة خارج المنزل .
 - إبراز مشاكل المرأة العاملة .
 - محو الأمية وتعليم المرأة .
 - نشر الوعي السياسي لدى المرأة وحثها على المشاركة في الحياة السياسية .
 - تخطيط ميزانية الأسرة وتنظيم الأسرة .
 - الزواج المبكر .
 - اهتمام أهمية إسهام المرأة في التنمية .
 - رصد واقع المرأة في الريف والحضر بإيجابياته وسلبياته .
 - المرأة ومسؤولياتها الاجتماعية .
 - تصحيح صورة المرأة في الإعلام .
- ويمكن القول بأن :

- الصحف اليومية تكتفي بمعالجة الموضوعات الخاصة بالمرأة معالجة سطحية باعتمادها على التقريرية والتسجيلية والاهتمام بالمواد الإخبارية المتعلقة بقضايا المرأة والأسرة.

- شحه مواد الرأي والأعمدة الصحفية وعدم الاهتمام بشكل عام بطرح الرأي ووجهات النظر حول حقوق المرأة وعدم إتاحة المجال للقارئات للتعبير عن آرائهم وقضاياهم .
- عدم الاهتمام الكافي بالمرأة من القيادات الصحفية ويتبين ذلك من المساحة المخصصة للمرأة في هذه الصحف .
- إغفال احتياجات المرأة العاملة وربة البيت والمشاكل الناجمة عن العمالة الوافدة في المجتمعات خاصة الخليجية .

- التلفزيون والفضائيات

بعد التلفزيون والفضائيات اليوم الوسيلة الإعلامية الأكثر فعالية على المتلقي وهي وسيلة اتصالية أكثر جذباً للجمهور وتؤثر في تشكيل الرأي العام. وأصبحت اليوم تدخل ضمن البرامج اليومية للأسرة ويتم تكيف وقت الفراغ بالنسبة لكثير من الناس حسب البرامج المفضلة.

والرسالة الإعلامية التلفزيونية لا يقتصر تأثيرها على مشاعر المشاهدين ومخاطبته عواطفهم وإيجاد حالة من المشاركة الوجدانية لدى المستقبل وإنما امتد إلى الحديث داخل الأسرة وخارج البيت . وعليه فإنه من الأهمية بمكان أن ينطأ بالتلفزيون دور كبير للتوعية بقضايا المرأة من خلال سياسة إعلامية جديدة تسعى إلى خدمة قضايا المرأة وتطوير النظرة إلى دورها وأهمية مشاركتها في التنمية بشكل عام.

ويجمع الباحثون في مجال الاتصال والإعلام على الدور الخطير الذي يلعبه الإعلام في التأثير على المتلقي ”علاوة على ما تتميز به وسائل الإعلام من طبيعة مزدوجة تساعد على نشر وترويج الأفكار والقيم المتناقضة في آن واحد فهي قد تساعد على تغيير القيم والعادات والمفاهيم التقليدية فتسهم في ذلك بخلق أشكال جديدة من الوعي أو تعمل على تثبيت القيم والرؤى التقليدية فتسهم عندئذ في تزييف وعي الأفراد وذواتهم وأدوارهم الحقيقية.

ومما لا شك فيه أن الإعلام له دور مهم في تشكيل الوعي الثقافي والقيمي في المجتمع ويعود ذلك للإمكانيات المتاحة أمام وسائل الإعلام لتوصيل الرسالة الإعلامية للرأي العام من مختلف الفئات الاجتماعية.

ويكمن أهمية الإعلام في إبراز قضية المرأة والدفع بها إلى الأمام بأن يلعب الإعلام دوراً بارزاً في إبراز دور المرأة والمفاهيم المتعلقة بحقوقها في التعليم والمشاركة الاجتماعية والسياسية وشغل المناصب العامة واختيار الزوج ورعاية الأمية وغيرها من خلال الوسائل الإعلامية المتعددة باعتبارها وسائل ثقافية تربوية ترفيهية لها تأثير كبير في اتجاهات الرأي العام وذلك إذا ما وضعت لها سياسات واضحة تتبنى قضايا المرأة تستند إلى بلورة وعي عام لدى المجتمع من خلال الآتي :

- على وسائل الإعلام في مجتمعاتنا الإسلامية التأكيد على وظيفة المرأة الأساسية في حماية الأسرة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وإفساح المجال لها للمشاركة في الحياة الاجتماعية والتعریف بقضاياها وأنشطتها.

- تعديل الاتجاهات نحو التبني الإيجابي لمجموعة من القيم التي تدعم المفاهيم المرتبطة بقضايا المرأة وحقوقها الأساسية في التعليم والعمل والمشاركة في ميادين الحياة المختلفة... الخ .

- تناول المشكلات والظواهر السلبية ذات العلاقة بالمرأة وتحليل أسبابها وتقديم البديل الإيجابية وتبني مفاهيم جديدة .

- ترسیخ القيم الإيجابية ، فالإعلام يمكن أن يلعب دوراً مؤثراً في خلق مناخ عام مؤيد ومتفهم لقضايا المرأة وأهمية إدماجها في صنع القرار ³⁶ .

ومما يلاحظ على الفضائيات اليوم النقاط التالية :

³⁶ - عبد الرحمن عبد الوهاب " دور الإعلام في تعزيز حقوق الطفل " مجلة الصحة النفسية – العدد 12 سبتمبر 1996م .

- استخدام المرأة في الإعلان والسلع وخدمات مختلفة لإبراز مفاتنها دون أدنى إشارة لإمكانياتها وقدراتها العلمية والثقافية.
- الابتعاد عن الخوض في القضايا والمواضيع التي تعكس تطوير المرأة في الأنشطة الحقوقية والسياسية والأسرية والاجتماعية.
- الاهتمام المبالغ ببعض المهن النسائية وترك الأخرى كالاهتمام بالفنانات والمبدعات والسياسيات دون الاهتمام بالقطاعات الأخرى.

فمن المهم تغيير الصورة السلبية التي رسمتها البرامج والمسلسلات التلفزيونية في الذهن الجمعي بالتركيز على دورها الإيجابي في الحياة والنهوض بوضعها وتعزيز مكانتها على مستوى الأسرة والمجتمع وتوضيح الدور الإنتاجي للمرأة وقدرتها على الإسهام في عملية التنمية والعمل على إدارة حوار حول قضايا المرأة ودمجها ضمن الثقافة الدرامية الأخرى .

جاء في صحيفة الوطن البحرينية في عددها رقم 328 بتاريخ 3 نوفمبر 2006م تحت عنوان: هل نقاضي المسلسلات الخليجية على إساءتها لصورة المرأة الخليجية؟: ”هل نحن فقط عارضات أزياء وسلبيات اللسان ونائحات وتأفهات ومغفلات فشكر الله سعي مؤلفي ومخرجي هذه المسلسلات التي حذفت بكرامة المرأة الخليجية في قعر هاوية الانحطاط والابتذال....ليتق الله إعلامنا الخليجي في المرأة ويتوقف عن إهانتها في هذه الأدوار الهابطة والتي يقرأ منها الآخرون الصورة القبيحة لمجتمعاتنا...“³⁷.

ويعد علماء النفس مشاهدة مثل هذه اللقطات على شاشات التلفزيون أحد الأسباب الرئيسية لانتشار ظاهرة التطرف عالمياً ويدل على صحة ذلك أن الدول والمجتمعات التي لم تكن تعرف هذا النوع من الأفلام، كانت في منأى عن الجريمة بالشكل الذي آلت إليه في الوقت الحاضر. وبؤكد هذه الظاهرة الخطيرة بعض النقاد المسرحيين مثل حزاب الرئيس يقول:

³⁷ - نجاة المضحكي، هل نقاضي المسلسلات الخليجية على إساءتها لصورة المرأة الخليجية، جريدة الوطن، العدد 328، تاريخ 3 نوفمبر / 2006م، ص 16.

«دائماً ما يتهم الرجل بالتحيز إذا ما حاول معالجة قضايا المرأة، الأمر الذي يقلل من جرأته ويفرض عليه قيوداً تضيق من مساحة الحرية في النقد، لكن المرأة لن تتهم بذلك طالما أنها تتحدث عن نفسها، غير أن الكاتبات للأسف لم يتعاملن مع هذه الميزة بواقعية تخدم قضائاهن وغدون ينسجن قصصاً فيها الكثير من الخيال والقليل جداً من الفكر والواقع.. جرأة الكاتبات الخليجيات وصلت بهن إلى طرح مسائل حساسة لم يجرؤ الغرب إلى الآن على إثارتها... حتى في أمريكا وهي بلد الحرية يعتبرون إثارة قضايا مثل هذه إساءة إلى الذوق العام»³⁸.

تلك المشاهدات المتكررة لصورة المرأة المعاصرة المتحركة على شاشات التلفزة وغيرها، إذ تصرّ الكثير من مسلسلات الدراما في السنوات الخمس الأخيرة على نعت المرأة المعاصرة بالباحثة عن الحرية بمعناها الزائف الذي يسوق في نهاية المسلسل إما إلى الخيانة الزوجية أو إقامة علاقة غير شرعية قبل الزواج، ترسم خيوط شخصياتها بعيداً من الواقع وتبالغ في إثارة قضايا عادية لا تخاطب من خلالها سوى عقول المراهقين.

وقد أبرزت نتائج دراسة ميدانية أجرتها الدكتورة الإعلامية عواطف عبد الرحمن في عدد من أهم الصحف والمجلات في مصر، وأشارت إلى ارتفاع نسبة الصفحات المخصصة للإعلان التي تنظر إلى المرأة كأنثى فقط مع انتشار المواضيع التي تتناول الأزياء والتجميل والتركيز حول الدور الاجتماعي للمرأة في الإنجاب وتربية الأولاد مع غياب دورها في التغيير والمشاركة الاجتماعية والسياسية وإن وجدت فهي إخبارية دون تحليل أو رصد³⁹.

وتبعاً لصورة المرأة العربية يشير كتاب المرأة والإعلام العربي الصادر عن مركز زايد للتنسيق والمتابعة إلى تأكيد ملامح هذه الصورة في إعلام الدول

- الدراما الخليجية في رمضان... جرأة بعيدة من الواقع. الرياض - وليد الأحمد الحياة - ٤٠٢ لـ٤٠٥/ المرأة في الصحف والمجلات المصرية ، عواطف عبد الرحمن ، سلسلة دراسات عن المرأة في التنمية - اصدار الأمم المتحدة - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا.

العربية التي لخصها بدور الأنثى والزوجة والأم دون التركيز على دورها كمواطنة وعاملة وأن الحافز الأول للمرأة العربية العاملة هو رغبتها في الحفاظ على مكاسبها لأنشى شرقية تبرز صورة ولائها أساساً للعائلة وليس ⁴⁰ المجتمع أو الوطن.

ومن المعروف دور الإعلام في تكوين الرأي العام Public Opinion وتطوير موقعه في دول العالم. فقد حظي هذا الجانب باهتمام المتخصصين في العديد من المجالات كعلم النفس والاجتماع والسياسة والإعلام.

ويرجع تزايد الاهتمام بالرأي العام في دول العالم أجمع لما يمثله من أهمية في العديد من المجالات. فالرأي العام يشكل العنصر الأساسي لنجاح أي فكرة تدعو إليها الهيئات أو المؤسسات ⁴¹. ولا يخفى دوره المحوري في التعرف على درجة شيوع بعض الآراء والتصورات الصحيحة أو الخاطئة التي توجه سلوك الأفراد والجماعات واستجاباتهم للمواقف والقضايا المختلفة.

وقد أجمعت البحوث والدراسات التي حاولت الكشف عن أثر وسائل الإعلام المسموعة والمسموحة والمقرؤة في عملية التنشئة الاجتماعية، على الدور الهام الذي تقوم به هذه الوسائل بوجه عام في تكوين وتعديل الآراء والاتجاهات والسلوك لأفراد المجتمع ⁴².

ولم يعد لأي مجتمع يربد الرقي والنماء تجاهل الدور الذي تلبّيه وسائل الإعلام خاصة في عصر المعلوماتية فهي أداة فعالة في السلوك الاجتماعي والثقافي.

وسائل الإعلام - إذا ما أحسن استخدامها - يمكن أن تسهم في تعزيز الوعي بدور المرأة وأهمية إشراكها في التنمية والبناء تنفيذاً لتعاليم

⁴⁰ - كتاب المرأة والإعلام العربي، مركز زايد، الإمارات، 2001.

⁴¹ - محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1972، ص 24. وأنظر كذلك: إسماعيل علي سعد، الرأي العام بين القوة والأيديولوجية، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص 150.

ألفريد سوفي، الرأي العام، منشورات عويدات، بيروت، 1966.

⁴² - شاهيناز طلعت، وسائل الإعلام والتنمية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص 85.

الدين الحنيف، ونشر ذلك من خلال قيامها بالوظائف الأساسية لها مثل: إكساب الأفراد المعلومات، الإقناع والترفيه. وهي وظائف تتفاعل فيما بينها لخلق جوًّا عام يتجه نحو الأفراد لتوجيه الخطاب إليهم.

كما لا يخفى أن الإعلام قد تجاوز هذه الوظائف الأساسية ليصبح عاماً مؤثراً مهماً في التنمية بل وأداة رئيسية لكسب الرأي العام. فقد لعب هذا النوع من الدعاية دوراً محورياً في تغيير مواقف الأفراد والجماعات وحتى الدول لمن يقوم بها من الأطراف ولرفع الروح المعنوية لديها وكسب تعاطف الناس مع قضية معينة⁴³. ويجمع الباحثون في هذا الصدد على ضرورة تعلم آليات الإقناع السلمي بواسطة الدعاية التي باتت بدليلاً حتى للحرب⁴⁴.

من هنا يمكن للإعلام في البلاد الإسلامية المختلفة إحداث الأثر المنشود من خلال التوجيه عبر الوسائل المسنوعة والمريئة وبناء ثقافة شعبية تقوم على احترام المرأة ككيان بشري مهم في المجتمع، خاصة في الوقت الراهن الذي اختلطت فيه الأفكار وشوشت المناهج واختلطت الأصوات.

كما يمكن الإفادة مما يعتمد الإعلام الحديث من وسائل لإنجاحه مثل مسألة طرح الفكرة مرات بعد مرات ومتتابعتها بأشكال جديدة ومناسبات وظروف مختلفة للوصول إلى الغرض المطلوب⁴⁵. فيمكن طرح فكرة مشاركة المرأة بأساليب متنوعة فتارة على شكل قصة وتارة بشكل حوار مفتوح وهكذا .. إلى أن يترسخ الوعي بدورها.

وهو أمر سبق إليه القرآن الكريم قبل ذلك بكثير. فقد جاءت حوارات الأنبياء مع أقوامهم وخاصة حوار موسى عليه السلام مع فرعون مرات ومرات في القرآن الكريم.

⁴³- إسماعيل علي سعد، مرجع سابق، ص 152.

⁴⁴- قصف العقول الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي، فيليب تايلور، ترجمة: سامي خشبة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، أبريل 2000م، 233.

⁴⁵- زهير الأعرجي، دراسات في الإعلام، بيروت، الطبعة الثانية، 1982م، ص 52-53.

ويمكن الإفادة من التطور الهائل الحاصل في الإعلام ووسائله، الذي أصبح يتيح لل المسلمين فرصة تاريخية لتقديم وعرض الإسلام ومبادئه وتاريخ إنجازاته الحضارية وفعالياته في صنع الحضارة الإنسانية التي ساهمت المرأة المسلمة في نهضتها وبناءها.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن الحوار المؤثر في الغير لا يشترط فيه أن يكون أحادي الطرح يتم التركيز فيه على عرض موقف الإسلام الإيجابي من المرأة ومشاركتها. بل يمكن أن يتم التأثير من خلال عرض متنوع الوسائل والأساليب، يشير إلى واقع المرأة في مجتمعاتنا وما تعانيه أحياناً من مشاكل ناجمة عن ممارسات البعض ومن لم يدرك عظمة تعاليم الشرع وأدابه الحضارية.

فتارة تطرح على المتلقى الجوانب الحضارية في أحكام الشرع في التعامل مع المرأة ومشاركتها، وتارة تاريخ مساهمات النساء في بناء الحضارة الإنسانية،.. وتارة تحاور بشكل مباشر شخصيات عالمية من المستشرقين وعلماء الغرب ومن يتبرون شبهات حول دور المرأة ومسؤولية الشرع عن ذلك الدور.

ولتأثير وسائل الإعلام مستويات عدة تبدأ من مجرد الاهتمام إلى حدوث تدعيم داخلي للاتجاهات إلى تغيير فعلي في تلك الاتجاهات ثم في النهاية إقدام الفرد على سلوك علني.

من هنا فإن دور وسائل الإعلام ومؤسساته مستقبلاً يمكن أن يتمركز في أمرتين أساسين:

الأول: الخطاب الموجه للغير بطريقة غير مباشرة في سبيل تقديم صورة الإسلام الحقة ومبادئه السمحنة في التعامل مع المرأة عبر التاريخ مع توخي الحذر في الواقع في فتح الدفاع والانسياق إلى تقديم مواقف دفاعية تضع الإسلام والمسلمين موضع الاتهام المتواصل.

الثاني: الخطاب الموجه للذات في سبيل الترقى بوضع المرأة وتفعيل دورها في المجتمع.

كما ينبغي الاهتمام بالصحف والمجلات ودورهما في ذلك خاصة فيما يتعلق بتنمية قيم المشاركة والمساواة بمفهومها القرآني المتميز، لدى الأطفال والراهقين والشباب. حيث يرى المتخصصون في مجال صناعة هذه الفئة العمرية أن الصحيفة لا تقل في رسالتها عن الأسرة بالنسبة لهم. وتلعب دوراً هاماً في تشييفهم وتشكيل شخصياتهم⁴⁶.

إن تأسيس أو إعادة تأسيس وتفعيل هذا النهج في الأمة يتطلب تغييراً في مناهج الفكر وفي الأنماط السلوكية للأفراد. فيصبح الإعلام أداة فعالة في محاربة سلوكيات يسعى المجتمع للتغييرها ووقفها كما يسهم بشكل بارز في إرساء قيم وبناء سلوكيات يراد سيادتها في المجتمع. وبهذا يكون الإعلام قد لعب دوره في تشكيل رأي عام يتبنى قضايا المرأة منهجاً وسلوكاً تعبيوياً.

فوسائل الإعلام أداة فعالة وأساسية في إرساء هذا الوعي كما لا يخفي أثرها في تنمية قدرات الأفراد على ممارسة هذا السلوك وجعله نهجاً عاماً في طرح المجتمع لمختلف مشاكله واهتماماته وقضياته المتعلقة بالمرأة والطفل والأسرة بشكل خاص.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق دور الإعلام السلبي الغالب في تقديم قضية المرأة إذ تركز معظم البرامج النسائية على موضوعات الأزياء والملوحة والتجميل وفنون الماكياج وتستحوذ المرأة على الاهتمام بجمالها باعتبارها عدتها في الحياة وبالتالي كأدلة لجذب الرجل وعلى كيفية إعداد الطعام فحسب.

وإذا مررنا على الأعمال الدرامية نجد فيها المرأة تصور على أنها شخصية تتسم بضيق الأفق وتفتقـر إلى العقلية العلمية لحل المشكلات بل تلـجـأ دائمـاً

⁴⁶- معتر سيد عبد الله و عبد اللطيف خليفة، مرجع سابق، ص 226.

إلى الغيبات والشعودة في حل المشاكل وغالباً ما تلجأ المرأة للرجل ويصورها بأنها بلا هوية أو شخصية مستقلة.

أما إذا نظرنا إلى الشخصيات الرئيسية في الدراما العربية، فنادراً ما تتناول الأعمال الدرامية مساهمات المرأة في الإنتاج أو التنمية أو الدفاع عن الأسرة وعن القيم أو إسهامهن في حركات التحرر والثورات ضد الاستعمار.

والغريب أن عصر الفضائيات والعولمة الإعلامية والتقنيات الحديثة، لم ينتج عنه رسالة إيجابية ناجحة الأثر، فلا نكاد نجد برامج لنشروعي الحقوق أو حملات من أجل محو الأمية، و مكافحة مشاكل تعليم الفتيات في المدارس، ودفع المرأة بالعملية الإنتاجية والتصنيع ..⁴⁷

تقول الكاتبة الأمريكية بنلوب ليتسن في سياق الحديث عن ظاهرة العنف الواقعي والعنف الرئيسي على الشاشة: "منذ جيلين فقط كان من النادر أن يشهد الطفل شخصاً يصاب بحجر ضخم على رأسه، أو يردي قتيلاً برصاصة، أو تدهمه سيارة، أو انفجار تنتشر معه أشلاء الضحايا، أما الآن فإن الأطفال، مثلهم مثل الكبار، يشاهدون هذه الحوادث يومياً وعلى مدار الساعة وعندما يعتاد الطفل ذو الأربع سنوات على هذه المشاهد فإنه في الواقع تصبح شيئاً عادياً بالنسبة له ويفقد الإحساس بها كأعمال غير إنسانية".⁴⁸

بيد أن عملية تفعيل دور وسائل الإعلام في نشر هذه القيم، لابد أن يسبق بخطوات من أبرزها: إدخال بعض مناهج الثقافة الإسلامية والحضارة دور المرأة فيها عبر التاريخ في كليات وأقسام الإعلام في الجامعات المختلفة .⁴⁹

47 - سعاد القدسى، المرأة بين الخطاب الإعلامى والسياسى والدينى.

48 - الأطفال أولاً، نقلًا عن: محمد خضر عبد المختار، الاغتراب والتطور نحو العنف، دار غرب للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م، 76.

49 - السيد عبد الرؤوف، الإعلام والتأسيس لفكرة وحدة إسلامي، بحوث مؤتمر التقارب بين المذاهب الإسلامية وأثره في تحقيق وحدة الأمة، البحرين، ص 8.

كما ينبغي أن يتوجه الاهتمام لإدخال دراسات علوم الاتصال الحديثة وتقنياتها في مناهج الكليات ذات التخصص الشرعي لتخرير إعلاميين مدركين لحيوية دور المرأة في الثقافة الإسلامية وأهمية نشرها ودعاة مزودين بعلوم وتقنيات العصر التي بات تعلمها من الفروض الأساسية التي لا تعذر بجهلها كواذر الأمة⁵⁰.

كما ينبغي الاهتمام بما يعرف بسوسيولوجيا الإعلام الذي يتناول دور أجهزة الإعلام والتغير الاجتماعي ، والوظيفة الاجتماعية لأجهزة الإعلام ، والإعلام و الوعي والضبط الاجتماعي ...

المبحث الثامن: تفعيل دور المؤسسات الدينية والمساجد

ركزت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أهمية إقامة شعائر ثابتة في الإسلام تقام في مناسبات زمانية معينة ومن ذلك الخطب المنبرية كخطب الجمعة والعيددين. وقد شهدت تلك المنابر الدعوية في مراحل تاريخية مختلفة ، دوراً بارزاً في طرح مفاهيم الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته كما عالجت مختلف المحن والخطوب الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عصفت بالأمة. فكان المسجد بحق جامعة تربوية ومؤسسة تعليمية راشدة، وبقيت خطبة الجمعة من أهم فعاليات المسجد.

بيد أن هذه الوسيلة تحولت بمرور الزمن إلى نوع من الرتابة الفكرية فلم تعد تخرج مواضيع الخطب عن أمور مكررة ومواضيع محددة ربما غابت عن الساحة الواقعية منذ أمد بعيد.

وواقع الأمر أن الخطابة فنٌ وعلم له أصوله وقواعد ومتطلباته التي من أهمها الثقافة الواسعة والاطلاع العريض على مستجدات الواقع ومتغيرات الحياة ، وفهم عميق لشرائح الناس ومستوياته الفكرية والاجتماعية لتأتي الخطبة ملامسة لذلك كله في إيقاع تربوي هادف.

⁵⁰- للمزيد حول أعداد الإعلاميين المسلمين راجع مقالات في الدعوة والأعلام الإسلامي، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، رجب 1411هـ، ص 42.

وتأسيس ثقافة الحوار- الذي نحن بصدده- يحتاج إلى تجنيد كافة الطاقات وفق خطة مدرورة لتعزيز قيمة الحوار وتأسيس أدب الاختلاف ونشر الوعي بين الناس عامتهم وخاصتهم من خلال خطب متسلسلة تصب في اتجاه نشر ثقافة الحوار والوعي بدور الأمة في توجيهه زمامه.

ويمكن التوصل بالطرق المقترحة التالية لتوظيف الخطب في نشر ثقافة الحوار:

أولاً: تأليف كتاب إرشادي خاص بالخطباء يقوم بتأليفه نخبة من مفكري الأمة وعلمائها من مختلف التخصصات الاسلامية والتربوية والاجتماعية والنفسية.. يتبينون في كل فترة زمنية معينة- شهرية، فصلية، سنوية- قضية كبرى يتم انتخابها من خلال دراسات ميدانية موثقة تؤكد أهميتها ومحوريتها في المجتمع.

ويمكن تبني قضية المرأة... وما يندرج تحتها من أبجديات كثيرة يمكن أن تشكل أبجديات موضوعات تأخذ حيز عام كامل. على أن يتضمن ذلك الكتاب خطة منهجية متسلسلة يمكن من خلالها توطيد ثقافة الوعي بدور المرأة وأهميتها ومكانتها في العصر النبوي ومقارنة ذلك بواقع المجتمعات اليوم.

ثانياً: دعوة المصلين إلى المساهمة بآرائهم من خلال استفتاء يتم توزيعه بعد كل خطبة حول موضوع المرأة والأسرة والمشاكل التي يواجهونها ليتم معالجتها من خلال الخطب اللاحقة. وهذه الخطوة تحمل جانباً تنظيراً وأخر تطبيقي مما يؤكد أهميتها ودورها.

ثالثاً: ضرورة احتواء الخطبة على ربط واقعي ومعالجة موضوعاتها لما يثار في الواقع مع ربط ذلك كله بالسيرة النبوية والمسيرة التاريخية للأمة مما يستدعي إطلاعاً واسعاً للخطباء وتمرينا مسبقاً ودورات تأهيلية متواصلة لتفعيل دور السيرة النبوية في الدعوة والتعليم.

رابعاً: القيام بحملات توعية كل شهر على مستوى العالم الإسلامي قاطبة والعالم العربي بشكل خاص، وذلك من خلال التعاون المشترك الفعال عن طريق رابطة العالم الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامي واتحاد الجامعات والمجامع الفقهية وغير ذلك من منظمات ومؤسسات تضم مختلف دول العالم الإسلامي. ويخصص لكل حملة توعوية موضوع يصب في تكريس وبناء ثقافة الشراكة دور المرأة في عملية البناء والتنمية التي جاء بها القرآن وأكدها السنة النبوية.

ويتم في هذه الحملة تكريس مختلف الجهود لنشر كل ما يتعلق بهذه المسألة بمختلف الأساليب الدعوية عن طريق خطب الجمعة ودروس وحلق العلم في المساجد. ويمكن تقديم لوحات بشكل مشوق يتم تعليقها كجدران في مختلف المدارس والجامعات وبعض الشوارع والمرافق العامة تضم أحاديث نبوية تكرّس هذه المبادئ. كما ينبغي أن تتضامن جهود وسائل الإعلام من خلال الدعاية المكثفة المسبقة والمصاحبة لشعار كل حملة شهرية.

وتحت مسوّسات أخرى لا ينبغي إغفال دورها في عملية إنجاح تنمية دور المرأة، ومنها على سبيل المثال: هيئة الأمم المتحدة، والتنظيمات التابعة لها.. وفي مقدمتها منظمة اليونسكو، التي تتمتع بما يؤهلها لدور مميز في تنظيم الحوار الحضاري بين الشعوب حول هذه القضايا وإزالة اللبس الحاصل حول موقع المرأة في الإسلام. ويمكن تحقيق ذلك من خلال إقامة ندوات ومؤتمرات دولية وإقليمية من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، ومجلس التعاون لدول الخليج العربية، منظمة الدول الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، ومنظمة دول جنوب شرق آسيا ومنظمة الوحدة الإفريقية...

- تأكيد وبيان أهمية مشاركة المرأة في العمل وأنها تؤدي إلى زيادة تقديرها لذاتها وإمكانياتها ، وبالتالي يؤدي ذلك إلى نضج شخصية الأطفال أيضاً، كما أن اشتغال المرأة يؤدي إلى اكتسابها خبرات وتجارب قيمة تجعلها

أكثر استجابة في عملية تحكيم العقل والتبصر عند دراسة الأمور المتعلقة بأسرتها، وقد أثبتت البحوث الاجتماعية أيضاً، أن العمل له تأثير إيجابي في اتجاه المرأة نحو تنظيم الأسرة، وذلك من أجل النهوض بالمستوى المعيشي وتوفير مستوى أفضل للأطفال.

ويعتبر دور المرأة كأم من أهم الأدوار التي تؤديها، حيث ما زالت المرأة العربية تربى أطفالها. وإذا كانت المرأة هي مسؤولة بالدرجة الأولى عن تربية الناشئة، بحكم ارتباطها العضوي وال النفسي بهم، فإن الأمر يتطلب زيادة الاهتمام بالمرأة من أجل الحفاظ على المجتمع وصحته النفسية، فالصحة النفسية تتحقق بالأساس بسلامة أفراد المجتمع جميعاً صحياً ونفسياً. ومن هنا يتجلّى دور المرأة في التأثير الهام والفاعل في التنمية المجتمعية، وإن مكانتها ينبغي أن تلقى الاهتمام الكبير من المجتمع.

الخاتمة ونتائج الدراسة

استهدفت هذه الدراسة تأسيس نظرية متكاملة عن دور المرأة المسلمة في التنمية من خلال وضع إستراتيجية عملية لتعزيز دور المرأة التنمي في الحاضر والمستقبل.

ويمكن تلخيص أهم نتائج هذه الدراسة في النقاط التالية :

- دور المرأة العربية في التنمية دور بارز متميز، كرسته النصوص القرآنية الواضحة في كتاب الله وأكّدته الممارسة النبوية العملية المتواصلة في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام.
- مشاركة المرأة عبر التاريخ كانت مرتهنة بقدرة المجتمع على تطبيق وفهم موقع المرأة في الإسلام والدور الذي أنيط بها، وكلما اقترب المجتمع من الفهم الصحيح لتعاليم الدين، كلما حظيت فيه المرأة بمكانة أكبر. في حين أن تخلف المجتمع عن فهم الدين وموقفه من المرأة، سبب مباشر لتأخر وضعها في المجتمع.

- تأكيد الإسلام لأهمية دور المرأة وإسهامها الفعال في بناء المجتمع وتطويره والنهوض بالأمة وبناءها الحضاري المنشود.
- أهمية إجراء العديد من الدراسات الخاصة بدور المرأة التنموي في صدر الإسلام، فهو رد يحمل أدلة عميقة سابقة تاريخياً من كافة الآراء التي حجرت على المرأة أن تشارك في بناء وتنمية مجتمعها وت Siddid خطأ أمتها.
- ضرورة تعامل كافة مؤسسات المجتمع المدني لتصحيح الفكرة السائدة حول مشاركة المرأة في الحياة العامة، والعمل المتناسق على إيجاد أرضية صلبة من الوعي والثقافة العامة.
- ضرورة الإفادة من مختلف الوسائل والإمكانيات في سبيل نشر ثقافة الوعي بموقع المرأة وتفعيل دورها في مسيرة التنمية الفكرية والثقافية والاجتماعية، ومن أبرز الوسائل: وسيلة القدوة والسلوك العملي. وتفعيل دور الوسائل المعاصرة كدور السفارات المنتشرة في دول العالم، ودور المؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية إضافة إلى محاولة تفعيل دور المؤسسات الدينية والمساجد.

دور المرأة العربية في التنمية المستدامة

التنمية السياسية نموذجاً

حالة المغرب

ذة. بشينة قروري

باحثة في علم السياسة والقانون الدستوري
جامعة محمد الخامس-الرباط

مقدمة

أصبح مفهوم التنمية المستدامة مفهوماً راسخاً في برامج الإنماء التي تشرف عليها الأمم المتحدة منذ 1987 مع صدور الوثيقة الشهيرة المسماة "مستقبلنا جمِيعاً" ويسُس مفهوم التنمية المستدامة لنظرور جديد للتنمية يتم بمقتضاه تشجيع المجتمعات والدول على المضي قدماً في عملية التنمية الاقتصادية اعتماداً على مواردها الطبيعية وإمكانياتها الذاتية وتطور هذا المفهوم في وقت لاحق بحيث أصبح يعني استخدام الموارد المتتجدة والقابلة للتتجدد لدفع النمو الاقتصادي، مع المحافظة على التنوع البيولوجي والالتزام بالمحافظة على نظافة الهواء والماء والأرض بطريقة تلبي احتياجات الحاضر مع عدم الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على الوفاء باحتياجاتها⁵¹.

وقد أصبحت الاستراتيجيات التنموية للأمم المتحدة تعتمد على هذا المفهوم الذي أدرج في ما يسمى بأهداف الألفية الثمانية وفي التعاوه الذي التزمت فيه جميع البلدان المائة والتسعين والثمانون الأعضاء في الأمم

⁵¹ -أنتوني غدنز: علم الاجتماع- المنظمة العربية للترجمة/مؤسسة ترجمان-ترجمة وتقديم فايز الصياغ-توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية.ص:640

المتحدة خلال مؤتمر قمة الألفية عام 2000 لإنهاء الفاقة البشرية عام 2015.

وقد شاركت المرأة في تطوير صيغة هذا المفهوم وتحمل مسؤولية النهوض بالعديد من البرامج التنموية في مختلف أصقاع العالم ومنها العالم العربي، لكن مفهوم التنمية المستدامة تعترضه إشكالية التفاوت في درجة وصول النساء إلى الفرص ومرانز القرار.

وإذا كانت مؤشرات تعليم الإناث والخصوصية والعمر المتوقع عند الولادة والدخل الفردي تدل على نوع من التقدم في العالم العربي فإن هناك مؤشرات متدنية بشكل كبير في مجالين بالنسبة للمرأة هما: المشاركة الاقتصادية والتمكين السياسي.

وتهتم هذه الورقة بدراسة وتحليل مفهوم جديد أصبح يمثل مطلباً ملحاً لتحقيق التنمية الاقتصادية وهو مفهوم التنمية السياسية.

إن جدلية الاقتصاد والسياسة كانت دائماً حاضرة في قلب النقاشات الفكرية الكبرى، وموضع المرأة حاضر في هذه الجدلية بشكل عضوي، ويمكن القول بأن المشاركة السياسية للمرأة العربية عنوان بارز على مدى نضج المجتمعات العربية ومؤشر بارز على مدى نجاح برامج التنمية المستدامة، بل إن منطلقتنا في هذه الدراسة هو أن التنمية السياسية شرط لازم لتحقيق أي تنمية اقتصادية مستدامة.

وستركز ورقة البحث على المشاركة السياسية للمرأة العربية - الحالة المغربية، باعتبارها حالة تستحق الدراسة والتأمل من حيث النجاح الذي حققته المرأة المغربية في المجال العام، لكنها أيضاً حالة تستحق الدراسة من حيث مناطق الفراغ والعتمة التي لازالت تعرقل التواجد الفعال للمرأة المغربية في برامج التنمية السياسية والتأثير في القرار السياسي بما يخدم قضية المرأة والأسرة ويحرر جزءاً كبيراً من طاقات المجتمع المعطلة.

كما تكتسب دراسة دور المرأة في التنمية السياسية أهمية كبيرة باعتبار مسألة إدماج المرأة في عملية التنمية السياسية وتحسين وضعها يعتبر عنصرا حاسما في أي استراتيجية تسعى إلى إشاعة الديمقراطية وتجذير الحريات واعتماد مشاركة الجميع في الحياة السياسية، مثلما هي أيضا تعبر أمرا أساسيا و مدخل ل لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

والبيوم، يمثل السعي لدعم و تعزيز مشاركة المرأة في صنع القرار والتمكين لها داخل المؤسسات محورا مهما من محاور الاهتمام العالمي بقضايا المرأة و العمل على ضمان مشاركتها الفاعلة في قضايا المجتمع، ويندرج هذا الاهتمام في سياق تزايد الاقتناع بالعلاقة الوثيقة بين تنمية المرأة و بين النجاح في تحقيق التنمية البشرية، على اعتبار أن الإنسان - رجالا كان أو امرأة - هو الدعامة الرئيسية للتنمية، هذا علاوة على أن الاهتمام بدور المرأة في التنمية باعتبارها نصف الموارد البشرية، هو المدخل الصحيح لنجاح جميع البرامج والمشاريع التنموية ذات الطبيعة المجتمعية.

في مفهوم التنمية السياسية

يعد تحديد تعريف دقيق لمفهوم التنمية السياسية أمرا صعبا نظرا لتنوع التعريف وتمايزها في أحيان كثيرة،

يعرض لوسيان باي مفهوما مبسطا للمشاركة السياسية وهو يشير إلى أنها تعني "مشاركة أعداد كبيرة من الأفراد والجماعات في الحياة السياسية". وتعني حسب صموئيل هنتنغتون ذلك النشاط الذي يقوم به المواطنون العاديون بقصد التأثير في عملية صنع القرار الحكومي.

فالمشاركة السياسية هي مدخل التنمية سياسية التي ترافق الديمقراطية وفق تعريف بانكام لها، في حين يعتبرها لوسيان باي مقدمة للتنمية الاقتصادية، وهي تحديث سياسي وتنمية إدارية وقانونية وتعبئة ومشاركة جماهيرية مثلما هي بناء للديمقراطية، وفي نفس السياق يربط

صموئيل هنتنغتون التنمية السياسية بزيادة المشاركة السياسية، من خلال استيعاب الفئات الجديدة وتعدد قنوات وآليات المشاركة السياسية.

وبالتالي فالمشاركة السياسية للمرأة تعني تعزيز دورها في إطار النظام السياسي بضمان مساهمتها في عملية صنع السياسات العامة والقرارات السياسية أو التأثير فيها و اختيار القادة السياسيين، إنها تعني أوسع مشاركة هادفة من جانب المرأة سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة في عملية صنع القرارات السياسية وتسيير الشأن العام.

مؤشرات عن المرأة العربية و التنمية السياسية

بناء على آخر إحصاء قام به اتحاد البرلمانات العالمية inter-parliamentary Union في يناير 2007، فإن متوسط تمثيلية النساء في المؤسسات التشريعية هو ما يقارب 17.5 %، أما المرأة العربية فنسبة تمثيلها في البرلمان هي 4,6 %، والمرأة الأفريقية 12 % وفي أوروبا والأمريكتين 16 %. وبنظرة سريعة على تاريخ حصول المرأة العربية على حق التصويت والترشح ومقارنته بتاريخ دخولها البرلمان يتبيّن لنا أن مسألة التمثيل السياسي للمرأة إذا كان مرتهنا بإرادة الناخبين فستكون نتيجته فرصة محدودة أو معدومة لدخول المرأة الهيئات التشريعية، فمثلاً أعطت المرأة اللبنانيّة حق التصويت والترشح عام 1952 بينما لم يتم تسجيل دخول أول امرأة البرلمان إلا في عام 1992، أما في المغرب فقد أعطت حقها في التصويت والترشح عام 1963، ولم تتمكن من دخول البرلمان إلا في عام 1992، عندما استطاعت سيدتين فقط من مجموع 325 برلمانياً أن تصبحا عضوين داخل مجلس النواب.

لذا كان لابد من الأخذ بأ آلية تظهر قدرة المرأة السياسية وتهدف إلى خلق توازن بين الرجل والمرأة في التمثيل السياسي وتبوأ مراكز صنع القرار، فكان التجاء العديد من الدول العربية لتبني إجراء الكوطا أي الأخذ بتخصيص عدد من المقاعد في الهيئات التشريعية للنساء كتمييز إيجابي يهدف إلى إشراك المرأة في المناصب السياسية وموقع اتخاذ

القرار، وهو إجراء مرحلي مؤقت له وظيفة بيداغوجية إلى أن يعتاد المجتمع على إعطاء المرأة فرصة لإثبات قدرتها و ممارسة حقها في المشاركة السياسية.

نظام الكوطا: المزايا والعيوب، و العلاقة بنمط الاقتراع

تعد الكوطا نوعا من التدخل الإيجابي لمساعدة النساء على تجاوز العقبات الثقافية والاجتماعية لدخول المجال السياسي إلى جانب الرجل، ويعتبر نظام الكوطا إجراء تفضيلي للنساء من الآليات التي تضمن حضورا فعاليا للنساء في المؤسسات التمثيلية، ويتم إقراره ضمن القوانين الانتخابية، أو بالإرادة المنفردة للأحزاب السياسية.

إن نظام الكوطا مثله مثل أي نظام له مزاياه و عيوبه، وله مؤيدوه ومعارضوه. ومن مزايا هذا النظام أنه يوفر فرصة لتمكين المرأة من الحضور في المؤسسات واستدراك التفاوت الحاصل بينها وبين الرجل من جراء تاريخ طويل من الظلم لحق بالمرأة وأثر على حضورها المؤسسي، و بالتالي فإن نظام الكوطا يساهم في التخفيف من وطأة الشعور بعدم المساواة الذي تعانيه المرأة ويسهم في إعادة الثقة لنصف المجتمع بمؤهلاته وقدراته في مجال تدبير الشأن العام وفي رسم السياسات العامة و اتخاذ القرارات السياسية⁵².

أما بالنسبة لعيوب هذا النظام –كما يراها معارضوه- فتتمثل في اعتباره نظاما يتنافى مع مبدأ الديموقратية ويتعارض مع الحق في تكافؤ الفرص بين جميع المواطنين دون تمييز على أساس الجنس، كما يسهم في

⁵² تنص اتفاقية القضاء على التمييز العنصري في المادة 1 على أنه " لا يعتبر من قبل التمييز أية تدابير خاصة يكون الغرض منها تأمين التقدم الكافي لبعض الجماعات أو الأفراد المحتاجين" وتنص المادة 4 على أنه " لا يعتبر اتخاذ الدول تدابير مؤقتة تستهدف التعديل بالمساواة الفعلية بين الرجل و المرأة تمييزا بالمعنى الذي تأخذ به هذه الاتفاقية ولكن يجب أن لا يستتبع على أي نحو الإبقاء على معايير غير متكافئة، ويجب **وقف** هذه التدابير متى تحققت أهداف التكافؤ في الفروض و المعاملة . وتنص المادة 25 من العهد الدولي الخاص بحقوق المدنية و السياسية على أن "لكل مواطن الحق في أن ينتخب و يُنتخب في انتخابات نزيهة تجري دوريا بالاقتراع العام، و تناح له فرصة تقاد الوظائف العامة". وتنص الدستير الوطنية للعديد من الدول على مساواة المرأة بالرجل وبأنهم مواطنون متساوون في الحقوق و الواجبات. غير أن حصول المرأة على حقوقها في التصويت و الترشيح لا يعني بالضرورة حصولها على فرص تمثيل في الهيئات التشريعية المنتخبة يعادل نسبتهن في المجتمع.

تكريس الانطباع بعدم كفاءة المرأة وعدم قدرتها على منافسة الرجل على قاعدة المساواة في الفرص.

و بغض النظر عن عيوب هذا النظام ، يبرز نمط الاقتراع كأحد الأسباب المهمة التي لها تأثير مباشر على حجم حضور المرأة داخل المؤسسات ، فحتى في حالة عدم اعتماد الكوطا الخاصة بالنساء يمكن أن يلعب نمط الاقتراع دورا إيجابيا في تسهيل فرص حصول المرأة على تمثيلية مناسبة أو العكس.

فمن خلال تحليل علاقة نمط الاقتراع بتمثيلية المرأة في العديد من الدول التي تتبنى نمط الاقتراع اللائحي بالتمثيل النسبي ، بينت الدراسات أن نمط الاقتراع اللائحي بالتمثيل النسبي من الأنظمة الانتخابية التي تشجع تمثيلية النساء و الأقليات شريطة أن يتتوفر على دوائر كبيرة الحجم (7 مقاعد فأكثر) ، إضافة إلى عتبة تمثيل منخفضة أو إزالة العتبة نهائيا.

التجربة المغربية

حصل المغرب على استقلاله عام 1956 ، ورغم أن الحركة النسائية في المغرب بدأت منذ الخمسينات إلا أن نشاطها آنذاك كان يصب في مقاومة الاحتلال والاستعمار الفرنسي والمطالبة بالاستقلال. تبلورت الحركة النسائية في الثمانينات و برزت بشكل اكبر في التسعينات و رفعت مطالبها لتحسين وضعية المرأة. ومع التحول الديمقراطي طرح موضوع المرأة و الديمقراطية على أساس أن الديمقراطية إذا لم تسفر عن مؤسسات تمثل الأمة بكل فئاتها فهي ديمقراطية مبتورة.

وللإشارة فقد تم تنظيم ثمان انتخابات تشريعية وذلك في الأعوام 1963، 1970، 1977، 1984، 1992، 1997، 2002، 2007 غابت المرأة كلية عن نتائج انتخابات 1963، 1970، 1977، 1984 رغم ترشح 8 امرأة في الانتخابات التشريعية لسنة 1977 لم تفز أي منهن.

وكان أول ظهور للمرأة في البرلمان المغربي مباشرة بعد انتخابات 1992⁵³، وفي عام 1997 ترشحت للبرلمان 69 امرأة فازت .منهن سيدتان.⁵⁴

وهكذا نلاحظ بأن حضور المرأة في المؤسسات التمثيلية عرف ضعفاً واضحاً إذ لم تلجم المؤسسة التشريعية إلا سنة 1993 بامرأتين فقط، ليستمر هذا الوضع إلى غاية سنة 2002، حيث تميزت بتشكيل القطاعات النسائية للأحزاب السياسية لجنة التنسيق النسائية التي عملت كلوبي ضغط على أحزابها لتبني إجراءات تنظيمية تخول تمثيلية مشرفة للمرأة في الانتخابات التشريعية، وذلك عن طريق إجراء لقاءات متعددة مع القيادات السياسية للأحزاب .

وفي هذا الصدد حاول المشرع المغربي ، وبتوافق بين مختلف الفرقاء السياسيين تخصيص نسبة من مقاعد مجلس النواب للنساء وذلك عبر تبني إقرار لائحة وطنية خاصة بالنساء في القانون التنظيمي رقم 06/02 القاضي بتغيير و تتميم القانون التنظيمي رقم 31.97 المتعلق بانتخاب مجلس النواب . غير أن المجلس الدستوري في قراره رقم 475 الصادر يوم 25 يونيو 2002 اعتبر مقتضى المادة المعنية يتعارض مع الدستور المغربي الذي يقضي بالمساواة بين الجنسين.

وبفعل الظرفية الوطنية والدولية المواتية التزمت الأحزاب السياسية على إقرار نظام الكوتا في إطار توافق وطني ذو طبيعة أدبية وأخلاقية غير ملزمة يقضى بتخصيص اللائحة الوطنية للنساء دون النص عليه في القانون ، والتزمت جميع الأحزاب بهذا المقتضى، حيث بلغ عدد النساء اللاتي رشحتهن الأحزاب على القوائم الوطنية 697 امرأة، بالإضافة إلى إدراج 47 امرأة على القوائم المحلية.

بحيث تم اعتماد نمطين للترشيح : أولاً عن طريق اللوائح المحلية في 91 دائرة تضم 295 مقعداً بمعدل 3-5 مقاعد للدائرة، أو عن طريق لائحة وطنية تضم 30 مقعداً. ووحد القانون بطاقة التصويت التي تضم قوائم

⁵³ - حيث فازت كل من السيدة بديعة الصقلي عن حزب الاتحاد الاشتراكي والسيدة لطيفة بناني سميرس عن حزب الاستقلال

⁵⁴ - يتعلق الأمر بكل من السيدة لطيفة بناني سميرس عن حزب الاستقلال، و بديعة الصقلي عن حزب الاتحاد الاشتراكي

الأحزاب ورمز كل حزب لتمكين الناخب وخاصة الأمي على التعرف على الحزب الذي يصوت لصالحه، بحيث يقوم الناخب بوضع علامتين إحداهما على خانة المرشح المحلي والأخرى على خانة المرشح الوطني.

وهو ما مكن من ولوح ثلاثون امرأة للبرلمان المغربي عبر اللائحة الوطنية وخمس نساء عبر اللوائح المحلية.

فارتقت نسبية تمثيل النساء من 0,6 % إلى 10,8 % لتصبح مرتبة المغرب 69 بعد أن كانت 121 على الصعيد الدولي، وهكذا أصبح المغرب يتصدر الدول العربية من حيث تمثيل المرأة في السلطة التشريعية، وهو ما يعتبر من أبرز مؤشرات التنمية السياسية للمرأة في المغرب.

مما دفع بالعديد من المراقبين على الاعتراف بأن ما حققه المغرب يعتبر بمثابة قفزة نوعية مكنت المرأة المغربية من تجاوز العديد من العوائق التي تحول دون تكافؤ الفرص بين الرجل والمرأة في ولوح المؤسسات العمومية، وسمح ببروز العديد من الطاقات النسائية التي أبانت عن مقدرة عالية في العمل البرلماني، كما تميزت هذه المرحلة بتعيينأربع نساء كوزيرات خلال الفترة الأخيرة من حكم الملك الراحل الحسن الثاني، وإن تقلص العدد فيما بعد إلى اثنتين. وتم تعيين امرأتين في المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان. وزيادة نسبة النساء في القضاء حيث وصلت تسع منهن إلى منصب رئيس محكمة، هذا بالإضافة إلى تعيين أول امرأة في أكاديمية المملكة الغربية و التي تضم عدد من المفكرين، وتعيين مستشارية خاصة لدى الملك محمد السادس، وهكذا أصبحت المرأة المغربية متواجدة بجميع أسلاك الوظيفة العمومية وعلى كافة مستويات المسؤولية⁵⁵، بالإضافة إلى التواجد المحترم للعديد من النساء بالقطاع الخاص وإدارتهن لمقاولاتهن الخاصة.

وقد ساهمت المؤشرات الاجتماعية الثقيلة المرتبطة بالمرأة في زيادة الاقتناع بضرورة الربط بين ورش التنمية السياسية للمرأة والتنمية الاقتصادية، بحيث تفييد كافة المؤشرات والإحصائيات المتعلقة بالمرأة

⁵⁵- كتابات عامتـ-مدیرات مرکزیات-مدیرات مؤسسات عمومية-أسلاک الشرطة-بنیسات أقسام ومصالح

تدني وضعيتها على المستوي التعليمي والاجتماعي والاقتصادي ، فالأهمية وسط النساء في المغرب تبلغ 67٪ منها 80٪ في الأرياف ، ونسبة الفقر بين النساء تصل 52,4٪ في المدينة و 50٪ في الأرياف ، كما أن نسبة البطالة بين النساء تبلغ 24,2٪ . هذه الوضعية دفعت الهيئات النسائية والمؤسسات السياسية إلى العمل على تحسين وضع المرأة والمطالبة بإدماجها في مخططات التنمية ، غير أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه من وجهة نظرنا دون التمكين للمرأة داخل أجهزة صناعة القرار ، خصوصا في مجتمعاتنا العربية التي لا زالت العقلية الذكورية والنظرة الدونية للمرأة تحتل حيزا هاما في الثقافة المجتمعية .

وهكذا لاحظنا بأن انتخابات 7 شتنبر 2007 جرت في إطار نفس القوانين السابقة المتعلقة بنظام الكوطا واعتماد نمط الاقتراع بواسطة اللائحة بالتمثيل النسبي وهو ما مكن من لوج 30 امرأة إلى البرلمان عبر بوابة اللوائح الوطنية بينما لم تستطع إلا أربع نساء حجز مقاعدهن عبر اللوائح المحلية ، وهو ما اعتبر بمثابة تراجع عن النسبة المحققة في الانتخابات التشريعية لسنة 2002 في الوقت الذي كان من المنتظر رفع نسبة النساء في البرلمان عبر الترشح بكثافة في اللوائح المحلية خاصة بعد الأداء الجيد لعدد من البرلمانيات في الولاية التشريعية السابقة ، غير أن المفاجأة هي حصول 7 نساء على مقاعد وزارة داخل الحكومة الغربية وهو أعلى رقم تحققه النساء في مجال لوج السلطة التنفيذية .

لكن تجربة الكوطا في دورتها الثانية ، وإن كانت ناجحة من حيث الشكل غير أنها كشفت على مجموعة من الاختلالات التي تحتاج إلى مراجعات نقدية .

على سبيل الختم: من أجل تطوير نظام الكوطا

إن تجربة الكوطا في الانتخابات التشريعية الأخيرة لـ 7 شتنبر 2007 كشفت على مجموعة من الاختلالات حول كيفية تعاطي الأحزاب مع هذا المكتسب ، ويمكن أن نسرد في هذا الإطار مجموعة من الملاحظات ، من أهمها :

- احتدام الصراع بين النساء على المراتب الأولى في اللائحة الوطنية وبالمقابل سجلنا تجاهلاً كبيراً لأغلب المناضلات الحزبيات للترشح في اللوائح المحلية التي تضعف فيها نسبة النجاح وتطلب مجهودات كبيرة مما قد يعطي الانطباع لدى المتتبع بأن هناك رغبة لدى النساء في ولوح البرلمان عن طريق الحلول السهلة بدون بذل المجهود الضروري.

- حضور اعتبارات لاعقلانية وغير سياسية في ترشيح بعض رؤوس اللوائح الوطنية وبروز ظواهر الزبونية والعلاقات العائلية والمالي السياسي على حساب اعتبارات الكفاءة والنضالية وهو ما يضعف مشروع التنمية السياسية الذي يطمح إليه الجميع.

إن بروز هذه الاختلالات تدعونا إلى فتح نقاش عميق لتقدير تجربة الكوطا والعمل على تطويرها وهنا لا بأس أن نستحضر التجربة الأسكندنافية الرائدة في هذا المجال، والتي تضع أمامنا نموذجاً لم يعتمد الكوطا في القوانين الانتخابية أو الدستور ليصنع التغيير، وإنما راهن على تغيير الثقافة الحزبية وترسيخ الاقتناع داخل الحزب السياسي بحقيقة التمكين للمرأة، وهو ما ساهم في بروز أحزاب قوية بدورها وقدرة على تدبير الشأن العام.

وأخيراً وليس آخراً، فإن مسألة التمثيل السياسي للمرأة خاصة في الدول الرائدة في هذا المجال بدأت بنضال وتحفيز على مستوى العائلة والمدرسة والجامعة والمجتمع والإعلام، ثم وصلت إلى الأحزاب ثم البرلمان، فتحولت إلى نموذج يستحق الدراسة والاستفادة منه.

كما أن قضية التمثيل السياسي للمرأة لا ينبغي احتزالتها في مجال الهياكل الرسمية المعنية بصناعة وتنفيذ السياسات العامة، ولكن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار قدرة المرأة على صياغة المعنى الواسع للسياسة وقدرتها على إنتاج القيم السياسية وتوزيعها من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تبدأ من العائلة، مروراً بالمدرسة وجمعيات المجتمع المدني والأحزاب السياسية. فالسلطة هي إحدى تعبيرات وتجسيدات مفهوم السياسة، ولكنها ليست التجسيد الوحيد والأهم.

المحور الثاني

دور المرأة العربية في تطوير وتنمية البيئة

مفهوم النظام البيئي المتكامل

د. أحمد عثمان الخولي

أستاذ التخطيط العمراني

كلية الهندسة، جامعة المنوفية، جمهورية مصر العربية

لا يمكن أن تستمر أعمال التنمية الاقتصادية على كوكب الأرض بذات المعدلات والأساليب المتتبعة حالياً، ذلك أن العملية التنمية الحالية لا تأخذ في الاعتبار عنصرين هامين هما: التنمية الأيكولوجية والتي تنتج الثروة الحيوانية وتتوفر الظروف المناخية الازمة لاستدامة الحياة على كوكب الأرض، والتنمية المجتمعية والتي تنتج مجتمعات وأسر متعلمة ومتغيرة ومسئولة عن المواطن والمدينة ذاتها وفي غياب اعتبار هذين العنصرين فإن المجتمعات البشرية تصبح عرضه للدمار لذلك فإن التنمية المستدامة هي برنامج عمل للإصلاح الاقتصادي على المستويين المحلي والعالمي، وهو برنامج ناقص التعريف للآن، لذلك فإن التحدي الماثل أمامنا هو في تأسيس هذا البرنامج واختباره ونشر نتائجه وأساليب تنفيذه حتى لا يتم تدمير الأنظمة الأيكولوجية والمجتمعية كالمدن والقرى والمجاورة والأسر.

1. البيئة: مفاهيم أساسية

البيئة هي المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية وما من مواد وما يحيط بها من هواء وماء وترية وما يقيمه الإنسان من منشآت⁵⁶ وهي

⁵⁶ جمهورية مصر العربية، قانون رقم 4 لسنة 1994 في شأن حماية البيئة، القاهرة: المطبع الاميري.

مصدر الموارد ومتلقي النفايات وهي الحيز الذي يعيش فيه الإنسان
ويمارس نشاطه⁵⁷ ويكون الحيز من:

- أ- الكائنات الحية من نبات وحيوان.
- ب- المواد في صورها العديدة (سائلة، صلبة، غازية) كالأرض والمياه والهواء والتي تعيش الكائنات الحية فيها.
- ت- الظروف والقوى مثل ضوء الشمس، والرياح... الخ.
- ث- التفاعلات الفيزيقية والكيميائية والحيوية، والتي تربط بين مكونات المجموعات الثلاث السابق ذكرها.

والنظام البيئي يشمل على عناصر في المجموعات فعلى سبيل المثال مجموعة الكائنات الحية ينتظم بينها تقسيم العمل حيث يقوم النبات على تخليل المواد العضوية المحررة بالطاقة من الماء وثاني أكسيد الكربون في إطار البناء الضوئي، أما الحيوانات أكل العشب فتنفذ على النبات وبذلك ينتقل المركب العضوي المحمل بالطاقة من المنتج الأول إلى المستهلك الأول وبذلك تبدأ أولى حلقات سلسلة الغذاء، ويعود أجسام النبات والحيوان تفتت هذه المخلفات حتى تعود إلى عناصر مخصبة للتربيه لتمتصها جذور النبات لبدء الدورة مرة أخرى وإذا ما تعرض النظام البيئي لطوارئ يحدث اضطراب في صور عديدة مثل الجفاف، الفيضان... الخ. بحيث يستعيد النظام البيئي عافيته واتزانه ولكن إذا تدخل الإنسان في هذا النظام تدخل غير مخطط قد يحدث اضطراب تتجاوز قدرة النظام البيئي على استعادة توازنه ومن هنا تبرز المشاكل البيئية.⁵⁸

⁵⁷ محمد عبد الفتاح القصاص (دكتور) الإنسان والبيئة والتنمية القاهرة : دار المعارف ، 2000
⁵⁸ () مرجع سبق ذكره

والسؤال المطروح هو كيف يمكن تحسين البيئة؟ والإجابة على هذا السؤال تتلخص في الآتي:

- أ- بناء قواعد معلومات
- ب- قدرات فنية لتحليل المعلومات وتحويلها إلى معرفة لدعم القرار
- ت- تحسين أعمال التخطيط واتخاذ القرار
- ث- تطوير طرق وأساليب تنفيذ المخططات
- ج- العمل على تبني نظم الإدارة البيئية لإيجاد أكفاءاً للعمل للاستخدام الأمثل للموارد، وهو ما سنتطرق إليه في ورقة العمل المقدمة.

2. تحسين المعلومات من أجل كفاءة وفاعلية الإدارة البيئية

كيف يمكن تحديد الأولويات وترتيب القضايا البيئية من حيث الأهمية؟ وما هي الأساليب المتتبعة لإشراك أصحاب المصلحة في أعمال الإدارة البيئية؛ إذ أن جميع مؤتمرات الأمم المتحدة التي عقدت في العقد الأخير من القرن الماضي والتي تناولت قضايا التنمية والبيئة مثل قمة ريو وقمة إسطنبول أوصت بضرورة قيام جميع الأطراف المعنية بإعداد توصيف بيئي ليضم مختلف المعلومات البيئية والتمويلية، ويحدد الفئات ذات الصلة على كافة المستويات القطاعية، ويتناول التوصيف البيئي تحديد وترتيب القضايا البيئية ذات الأولوية من خلال موافقة جميع ممثلي أصحاب المصلحة، وأخيراً وليس آخر، فإن المنظور البيئي يتناول الأطر المؤسسية لتحديد الأطراف والمسؤوليات.

السؤال المطروح هو كيف نعد المعلومات الأساسية لاتخاذ القرار؟ إن عملية إعداد المنظور البيئي هي عملية تعنى بجمع وترتيب المعلومات المتوفرة في كافة صورها الورقية وال الرقمية مرتكزاً على العوامل البيئية والتنموية، ويركز على الجوانب المؤسسية من خلال تناول المصالح التي تهم كل طرف من الأطراف، ويستتبع ذلك مراجعة المنظور البيئي لتأسيس إطار عام لإدارة البيئة من خلال دراسة العلاقة المتبادلة للموضوعات وللفئات المعنية؛ والمنظور البيئي عمل يستوجب توسيع المناقشات

والمحاورات وذلك للوصول إلى اتفاق عام على قائمة القضايا والهموم البيئية.

إن النجاح في إعداد منظور بيئي سيعمل على تمهيد الطريق لتأسيس قاعدة بيانات موحدة تساعد الفئات المعنية على تفهم القضايا البيئية التي تتحدى المجتمع وبالتالي تيسر إشراكهم في أعمال الإدارة البيئية.

وللإجابة عن السؤال المطروح ببداية هذا الجزء، قبل أن نتناول كيف نشرك الفئات المختلفة ذات الصلة، فإننا ولا بد أن نعرف من هم هؤلاء الفئات بالإجابة على الأسئلة التالية :

أ- ما هي الفئات التي تتأثر مصالحها بسبب تدهور البيئة؟ وأي الفئات التي ستدفع ثمن إصلاح البيئة؟ وأي الفئات التي ستستفيد من أعمال الإصلاح البيئي؟

ب- ما هي الفئات التي تمتلك المعلومات ولديها الخبرات الازمة للإصلاح البيئي من خلال إدارة جيدة وتدخل مخطط؟

ت- ما هي الفئات التي تملك وتسسيطر على أدوات التنفيذ والتي ستؤثر على العلاقة بين المجتمع والبيئة؟

بناءً على التعرف على الفئات ذات الصلة وأصحاب المصالح فإننا ننتقل إلى تحديد الأولويات وذلك من خلال استخدام مصفوفة تمثل أعمدتها القضايا البيئية والتنموية المختلفة وتمثل صفوفها المعايير المستخدمة للمفاضلة وتشمل :

أ- ما هي تأثير المشكلة على الصحة العامة؟

ب- ما هو حجم الخسارة الناتجة عن المشكلة؟

ت- ما هي إمكانية تعبئة الموارد المحلية؟

ث- ما هي إمكانية بناء القدرات المحلية؟

ج- ما أثر المشكلة على القراء؟

ح- ما هي الآثار طويلة المدى والقصيرة المدى؟

خ- هل يمكن تأجيل تناول المشكلة أم النتائج لا يمكن تفاديهما؟

- هل هناك فرص متوافرة لحل المشكلة؟
- ما هو مدى القبول السياسي والاجتماعي للحلول؟
- هل الاستجابة المحلية تحل المشكلة؟

ويمكن للقارئ أن يستنتج أن القضايا البيئية متشابهة ومعقدة، وذلك لأن عناصر النظام البيئي مرتبطة ببعضها البعض، ولذلك فإن التدخل المخطط للإصلاح البيئي يمكن أن يؤدي إلى تخفيف آثار التلوث في قضية أخرى بطريق غير مباشر

3. تحسين أساليب الإدارة البيئية

الخطوة الثانية في الإدارة البيئية بعد التعرف على الوضع الراهن ومناقشته من خلال التوصيف البيئي وتحديد الأولويات، والوصول إلى اتفاق عام للهدف فإن اقتراح البادئ هو توصيف الأنشطة الواجب القيام بها بغرض تحقيق الهدف الذي اجتمعت عليه الفئات ذات الصلة، لذلك فإن على الإدارة البيئية أن تقدم توصيف للعلاقات المسيبة والتي تشرح أسباب ظهور التلوث وفي ذلك فإن الإدارة البيئية يجب أن تحدد ما هي التغيرات التي يمكن التحكم فيها وما هي المتغيرات التي يصعب أو يستحيل التحكم فيها؛ وبناءً على هذا التحليل ومناقشة ممثلي أصحاب المصالح ورؤيتهم تبدأ الإدارة البيئية في اقتراح البادئ، ثم تبدأ في تحليل وتقويم البادئ موضحاً تأثير هذه البادئ على الفئات المختلفة المكونة للمجتمع بالأساليب المختلفة مثل تحليل التكلفة/ العائد مثلاً والمعايير المستخدمة في التقييم عديدة منها الآثار الاجتماعية المتوقعة أو المكاسب التمويلية والاقتصادية... الخ، ثم تطرح الإطار المؤسسي اللازم لنجاح الأنشطة المقترحة ومعها المخرجات والآثار المتوقعة وذلك أولى خطوات تأسيس مقياس/مؤشر ووضع الأهداف الواجب تحقيقها وهنا تنتقل الإدارة البيئية إلى الخطوة الثالثة وهي إدارة التنفيذ والمتابعة.

وقد أثبتت التجارب العالمية العديدة الجيدة أن ربط تنظيم الإدارة البيئية بما هو متاح من الموارد والبادئ هو الطريق لوضع خطط واقعية يمكن

تنفيذها وتحقيق المستهدف منها، والواقعية في التخطيط تؤدي إلى التعرف على المعوقات والتحسب لها؛ وتصميم أنشطة في حدود الموارد المتاحة سواء كانت مالية أو اقتصادية أو فنية أو إدارية أو فيزيقية.

أن وجود اتفاق عام على القضايا والهدف والأنشطة هو ضمان لنجاح الإدارة البيئية ذلك أن الاتفاق العام يعني أن الخطة بنيت على أساس تشاركي، وأن أهدافها تعبر عن طموحات المجتمع وفئاته المختلفة، والوصول إلى اتفاق عام يشمل العديد من الجوانب الفنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية بما في ذلك عنصر اختلافصالح، والوصول إلى اتفاق عام أمر ليس بالهين خاصة أنصالح عادة تتضارب وعنصر الوقت حاسم وفعال لذلك فإن الوصول إلى اتفاق يرضي جميع الأطراف يلزم استخدام أسلوب مباحثات مبني على أسس حيث يركز الحاضرون على القضايا وليس الموقف وينبغي على الإدارة البيئية اقتراح البديل والاستناد إلى معايير وأسس لإقناع الأطراف بقبول وجهات النظر المعاكسة دون تشنج؛ إن الوصول إلى اتفاق عام سياسي يهدف إلى تحقيق المكن وذلك بالاعتراف بوجود مصالح متضاربة ولا يحاول أن يفرض الاتفاق بالقوة؛ وبالتالي فهو عمل يرسخ شعور بالالتزام، ويشعر الفئات ذات الصلة المشاركة في العملية التخطيطية بملكية لهم للخطة ويساعدهم على القيام بالمهام التنفيذية وأعمال المتابعة.

إن الحفاظ على البيئة لا يعني إهار كفاءة آليات السوق أو العدالة الاجتماعية كما يظن البعض؛ لذلك فإن تحقيق تنمية مستدامة يوجب التنسيق بين المخططات المختلفة بعضها البعض؛ إن التنسيق بين المخططات المختلفة يهدف إلى تعميق فهم مدى العلاقة بين القضايا المختلفة؛ لذلك يتبعه وضع إطار عمل يقوم بالتركيز على الروابط المتداخلة بين الاستراتيجيات المختلفة للقضايا والهموم، كما يتم فيه التركيز على عمليات التنسيق بين المؤسسات المختلفة فالاتجاه الحديث في إدارة البيئة والتخطيط لها يصب نحو الترابط والتكامل وليس الشمولية بغض الاستفادة القصوى من الإمكانيات المتوفرة.

4. تطوير أساليب تنفيذ المخططات

أوصى بيان ريو على تحسين تنفيذ المخططات البيئية عن طريق توظيف إمكانات التنفيذ بصورة أكفاءً حيث يضاف إلى القوانين المنظمة للأنشطة تعديل الحوافز الاقتصادية، ورفع الوعي الجماهيري بقضايا البيئة؛ وتسويق حزم استثمارية؛ واشتراك الفئات المستفيدة في التنفيذ؛ وإجراء عمليات الرصد والمتابعة والمراقبة البيئية بصورة تشاركيه؛ وتفعيل تدخلات تساند أكثر من طرف؛ والموافقة على خطط عمل في إطار استراتيجي مدعوم سياسيا، وأخيراً تقييم نتائج التنفيذ.

وقد أوضحت الدراسات العديدة أن تنفيذ الخطة هي نقطة الضعف وبسببها تفشل المخططات في تحقيق المستهدف، ولكن اشتراك الفئات المستفيدة تيسر الأمور ويمكن تعبئة الموارد والإمكانات المختلفة وإشراك أصحاب المصالح مشاركة فعالة لتتوفر الموارد الالزمة للتنفيذ مثل المعرفة المحلية، والموارد البشرية والأموال وغيرها وذلك من خلال القوانين والتنظيم والإدارة، والحوافز الاقتصادية والتمويلية؛ واستثمارات رؤوس الأموال؛ وحملات التوعية والتعليم والتدريب؛ وتأسيس نظام لجمع المعلومات وتحليلها ونشرها.

تعتبر خطط العمل ناجحة عندما يكون هناك موافقة مفصلة لتوارد تعاون وتنسيق بين الإدارات بالمنطقة المختصة بالأعمال المطلوبة، كما تستلزم موافقة المؤسسات والأطراف المعنية والفئات المستفيدة وفقاً للأولويات وللأهمية ووفقاً لجدول زمني محدد، وتتضمن المafاقعات على نوعية العمال وعناصر العمل منها تحصيص الموارد البشرية والموارد المالية الالزمة وأعمال التشغيل والصيانة، والموقع الجغرافي، وسبل التنفيذ، ونظم للمراقبة والمتابعة وملاحظة التزام الأطراف إلى جانب متابعة النتائج التي تتحققها الخطة، وبذلك يتأسس نظام فعال يؤمن نجاح المخطط في تحقيق أهدافه.

تعتبر العملية التخطيطية سلسلة من التدخلات المطلوبة لتطوير وضع مستقبلـي أفضل؛ وتصبح التدخلات أكثر فاعلية عندما تتم في صورة تفـيد أكثر من طرف، أي يتم ربطها بتدخلات أخرى مختلفة بحيث يقوم

مشاركون في المجتمع بتنفيذها بهدف زيادة التأثير العام، فعلى سبيل المثال بدلاً من تنفيذ استثمارات متشابهة على حدة يمكن جمعها في حزمة واحدة محققاً مبدأ السعة الاقتصادية ليقدر لها نجاحاً كبيراً وتكون جزءاً من تدخلات يوافق عليها جميع من تكون مشاركتهم مطلوبة.

يعطى إشراك الفئات ذات الصلة وأصحاب المصالح في أعمال التخطيط والإدارة البيئية التأكيد على استمرارية الدعم السياسي لتنفيذ الأنشطة المتعلقة بالإصلاح البيئي، والحصول على دعم مؤسسي ودعم الإداريين ومديري المؤسسات وهو أمر في غاية الأهمية وييسر أعمال التخطيط والتنفيذ، فهو يسهم في إمكانية تعبئة الموارد التقنية والمالية.

5. تأسيس أعمال الإدارة البيئية

أن بناء وتعزيز القدرات أولى خطوات تأسيس أعمال الإدارة والتخطيط البيئي، إن نجاح واستمرارية استخدام أسلوب الإدارة والتخطيط البيئي لن يتم إلا في حالة بناء إمكانات وقدرات المسؤولين لاستخدام هذا المنهاج، لذلك فإن دمج البعد البيئي في كافة السياسات والأنشطة التنمية لن يتأتى إلا بعد أن يتم استخدام هذا المنهاج في المؤسسات ويصبح عملاً روتينياً يومياً لها، فممارسة منهاج وأسلوب الإدارة والتخطيط البيئي يصبح طقوساً يؤديها الشركاء بغية استدامة التنمية وذلك معناه أن يحدث إصلاحات قانونية وإدارية وتعديلات في الميزانية والتدريب لإكساب مهارات جديدة، وتنمية الوعي العام، وتوفّر معلومات لتطبيق وممارسة منهاج التخطيط والإدارة البيئية، ويجب أن يتفهم جميع المشاركون أن منهاج التخطيط والإدارة البيئية يجب أن يكون أسلوبها المستمر في تناول القضايا وليس شيئاً يبدأ وينتهي سريعاً إذ أنه يعتمد على العمل الجماعي التشاركي لكافة الأطراف المعنية.

إن مشاركة أصحاب المصلحة والمستفيدون في أعمال التخطيط خطوة في اتجاه بناء إطار تنسيقي يسّرّلهم تمكينهم وإعطائهم السلطة حتى يعرفوا القضايا ويعدوا الأنشطة، ويقوموا بتنفيذ ما اتفقا عليه وذلك من خلال التشريعات الالازمة للمشاركة بصورة فعالة وفاعلة وبشكل مستدام، ويمكن

تأسيس عملية بناء قدرات المشاركة من خلال تبادل المعلومات بصورة دورية، والتوثيق، وتقديم البرامج الخاصة ببناء القدرات الخاصة للجمعيات الأهلية؛ والتدريب؛ والمساعدة والدعم الفني، والاهتمام بالقضايا التي تهم فئات المجتمع؛ وباحظ القارئ أن فكرة إنشاء مؤسسات جديدة فكرة غير واردة والبديل كما هو واضح هو إحداث تحول مؤسسي كما بینا في البداية من خلال بناء وتعزيز القدرات، ذلك أن تأسيس مؤسسات جديدة أمر يفتقد إلى الكفاءة الاقتصادية و يؤدى إلى الاذدواجية وخلق طبقة بيروقراطية جديدة من شأنها تعطيل أعمال التنمية.

لذلك أصبح تطوير المؤسسات البديل الأكثر قبولاً، ويتم تأسيس عمليات تنسيق بين القطاعات والموضوعة، تلفة من خلال عمليات بناء القدرات التي تهدف على تقوية وتعزيز المؤسسة من داخلها والتأكيد على ضرورة دعم العلاقات بين المؤسسة والمؤسسات الأخرى وما يتضمن ذلك من إجراءات وسلوكيات، خاصة في مجال تبادل المعلومات والتنسيق بين الأنظمة وأساليب العمل، إن تأسيس أعمال التنسيق بين المؤسسات أمر ضروري وهام لضمان نجاح استخدام منهاج الإدارة والتخطيط البيئي.

تعد أعمال المراقبة والمتابعة من الأعمال الضرورية لقياس نتائج الأنشطة المنفذة حسب الخطة الموضوعة، فالمتابعة والتقويم يقومان بالرد على عدة تساؤلات مثل: هل المعلومات والبيانات موثوق بها ويعتمد عليها؟ ما هو مدى مشاركة الفئات المستفيدة؟ وهل المشاركة فعالة أم لا؟ هل يتم تنفيذ خطط العمل بطريقة تشاركيه وتنسيقيه؟ في الواقع أن البداية تكون مع إعداد التوصيف البيئي للمنظمة ومنها يتم إعداد الاستراتيجيات والخطط والمؤشرات التي يمكن أن تقدم بعض المؤشرات المفيدة عن حالة التنفيذ وتحسين البيئة التدخلات والأنشطة المنفذة، ومن الضرورة تأسيس إطار للمراقبة والمتابعة ذلك أن المعلومات التي تفرزها أعمال المراقبة والمتابعة هامة لوضع إرشادات لتخذلي القرار وواضعي السياسات و وهامة لإحاطة الشركاء حتى يمكنهم تعديل نظم التخطيط البيئي؛ وبذلك فإن المؤشرات تعنى بالنتائج الأخيرة كما تعنى بالإجراءات التنفيذية المتبعة.

موقع المرأة من الاهتمام بالبيئة

د. أنيسة كحل العيون

باحثة في قضايا البيئة

تقديم:

البيئة –هذا الهم الإنساني المشترك– لم تحظ باهتمام دولي ملحوظ إلا ابتداء من عقد السبعينات، وزاد هذا الاهتمام سنوات التسعينات من القرن الماضي في إطار دبلوماسية البيئة.

و هنا نتساءل: ماهي البيئة؟

البيئة هي مجموعة من العناصر في وقت محدد– المادية والمعنوية والبيولوجية والعوامل الاجتماعية المؤثرة في الإنسان بصفة مباشرة وغير مباشرة، حانية أو آجلة على الأعضاء الحية ونشاط الإنسان. كما أن البيئة تتميز عن الإيكولوجيا ، وهذه الأخيرة هي عبارة عن دراسة العلاقة الموجودة بين الكائنات الحية فيما بينها وبين محیطها.

نتساءل ثانية: لماذا البيئة؟

لأن الأخطار المُحدقة بالبيئة هي في تزايد كبير كالتلوي المتزايد نتيجة عملية التصنيع، زيادة الكثافة السكانية، اجتثاث الغابات، الاستغلال المفرط للطاقة، تآكل طبقة الأوزون، تغيير المناخ، الأمطار الحمضية les pluies acides، آثار الدفء أو البيت الزجاجي les effets de serre، النفايات الخطيرة، الأخطار النووية، الاستنزاف غير المرشد للثروات الطبيعية والاعتداء عليها...

إذا، كيف للإنسان – وبالذات المرأة – أن يعيش في هذا
المحيط البيئي المتدهور؟

وكيف يمكن للمرأة أن تكسب الحق في بيئة سليمة وآمنة، كون
المرأة الأكثر عرضة لأضرار البيئة؟

٢- تكريس حق المرأة في بيئة سليمة :

البيئة هي مجال، والإنسان هو فاعل في هذا المجال، ويبقى
التشريع الدولي هو الآلية لضمان وتكريس حق الإنسان في هذا المجال.

من خلال التشريع الدولي: القانوني والمؤسسي

عرف هذا التشريع وطنياً ودولياً، وعلى المستويين القانوني
والمؤسسي اهتماماً متزايداً لتوفير المبادئ العامة وذلك من خلال نصوص
أساسية تحاول التوفيق بين البيئة والتنمية، وتوفير حق الإنسان في بيئة
سليمة وآمنة.

① الموايثيق الدولية:

إلى جانب ميثاق منظمة الأمم المتحدة سنة 1945، أكد الإعلان
ال العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948 على الحقوق الأساسية للإنسان، ثم
جاء بعد ذلك الملحقان لسنة 1966 المتعلقان بالحقوق السياسية والمدنية
ثم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للإنسان. كما أشار الإعلان الصادر
عن مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة الإنسانية بستوكهولم عام 1972 إلى أن
للإنسان حق أساسي في الحرية والمساواة وظروف معيشية ملائمة في بيئة
تسمح بالحياة الكريمة والرفاهية مؤكداً بذلك على كون البيئة السليمة
والتنمية هي دعائم أساسية لحقوق الإنسان. وأكثر من هذا، اقترح تقرير
"برندتلاند" المقدم من طرف اللجنة العالمية للبيئة والتنمية سنة 1987 أن
يكون من ضمن الحقوق الأساسية للإنسان الحق في بيئة ملائمة للصحة
والرفاه البشري le bien-être.

للحقوق الواردة في الملحقين لسنة 1966. إلا أننا حينما نقول الحق في البيئة، فهذا الحق متعدد الجوانب إن لم نقل حقوق الإنسان في البيئة.

فهي إما حقوق فردية تتجلّى في تأمين حياة خالية من المخاطر البيئية وبشروط ملائمة للكرامة والرفاه البشري، كالحق في الغذاء، الحق في السكن، الحق في الوقاية، الحق في الصحة....

وإما حقوق جماعية تبرز في توفير الأمن الغذائي في ظروف قاسية إما طبيعية كالتصرّح والجفاف، والكوارث الطبيعية والأوبئة (Malaria, Iboula, Sida, ...)، أو من فعل الإنسان كالهجرة وتعاطي المخدرات وانعدام الديمقراطية والحروب الأهلية والعرقية التي تفتّك بشعوب العالم الثالث أو دول الجنوب.

وإما حقوق على مستوى الشعوب والدول كالحق في التنمية وذلك بتقسيم دولي عادل للعمل، وتوزيع منصف للثروات الطبيعية، اكتساب المؤهلات العلمية والتكنولوجية والإعلامية وذلك بانتقالها من دول الشمال إلى دول الجنوب حتى تعم الفائدة البشرية جمّعاً.

ثم هناك حق على مستوى الكون ألا وهو الحق في الإرث المشترك للإنسانية le Patrimoine Commun d'Humanité، إذ كيف يُعقل لدول الشمال المتقدمة صناعياً أن تستغل الفضاء وأعماق وأعالي البحار بفضل تكنولوجيتها المتقدمة، في حين تبقى دول الجنوب حبيسة طاقتها البدائية؟

لتكريس هذه الحقوق، جاء القانون الدولي للبيئة الذي هو "جموعة من القواعد القانونية الدولية التي تتخذ موضوعاً لها حماية البيئة" يتطعم بالعرف المتجسد في دبلوماسية البيئة.

ما يمكن استخلاصه من مواد هذه المواثيق ومبادئها أنها عُنيت بالإنسان بصفة عامة في علاقته بالبيئة، وتبقى المرأة عنصراً من هذا

الإنسان. أما موقعها من هذه العلاقة، فلن نستشفه إلا من خلال تحركات بعض الهيئات أكانت وطنية أو عالمية.

② الهيئات العالمية:

من الهيئات الدولية التابعة للأمم المتحدة التي عُنيت بقضايا المرأة في علاقاتها بالتنمية عموماً والبيئة خصوصاً هناك:

– لجنة وضعية المرأة التابعة للأمم المتحدة

La Commission de la Condition de la Femme

– صندوق الأمم المتحدة للتنمية من أجل المرأة

– le Fonds des Nations Unies pour le Développement de la Femme (UNIFEM)

– المعهد الدولي للبحث والتكوين لارتقاء بالمرأة

– L’Institut International de Recherche et de Formation pour la Promotion de la Femme (INSTRAW).

ثم هناك:

– برنامج الأمم المتحدة للتنمية PNUD

– برنامج الأمم المتحدة للبيئة PNUE

فقد اهتمت هذه الهيئات بضرورة تنمية قابلة للعيش بيئياً وإيكولوجياً، وأكدت على أن النمو الاقتصادي والاجتماعي لن يتم إلا بالموازاة مع الحد من التدهور المستمر للبيئة. فالاحفاظ وحماية وتتجديد الموارد الطبيعية والتنوع في المواد الأساسية للعيش سيضمن الأمن الغذائي والبيئي. ولكن هذا لن يتم إلا بإدراج قضايا البيئة في البرامج والسياسات الوطنية التي تطمح التوصل إلى تنمية مستدامة. وهنا تُطرح مسؤولية الدول.

③ الأنظمة والحكومات

حينما تُطرح مسؤولية الدولة كمجتمع سياسي ومدني، وKenya نظام وشعب، تطرح هذه المسؤولية بالذات في قضية ارتباط المرأة بالبيئة لما لا تُقدم الحكومات الدعم الكافي واللازم أو اللائق لمساهمة المرأة في تدبير الموارد الطبيعية وبالتالي حماية البيئة. هذه المساهمة التي قلما يتم الاعتراف بها، نظراً لأن المرأة هي الأكثر عرضة للأضرار المترتبة عن الأخطار التي تمس البيئة، ونظراً كذلك لأن المرأة هي الأكثر ارتباطاً بقطاعات أساسية وهي:

– قطاع الصحة: إذ أن ندرة أو تلوث المياه خاصة إبان الصراع أو الكارثة الطبيعية وغياب وسائل التطهير، وكذلك تلوث الهواء والفضاء، كلها تؤدي بالخصوص صحة المرأة والطفل.

– قطاع التربية والتعليم: تشكل المرأة العنصر البشري الأكثر عدداً في هذا القطاع، وبالتالي فهي تلعب دوراً مهماً في تعبئة وتحسيس النساء بقضايا البيئة والأخطار التي تُحدق بها.

– المجال القروي: في هذا الفضاء، تقوم المرأة بأنشطة زراعية وفلاحية تربطها بالأرض لتوفير القوت اليومي وضمان العيش خاصة في غياب الزوج أو الأب. كما تربطها بالغابة لتوفير الحطب والوقود وعلف البهائم. كما أن المرأة في هذا المجال تقوم بأنشطة اقتصادية وتجارية مرتبطة بمحاصيل زراعية وفلاحية محلية عائلياً home produce كتربية الأرانب وتربية النحل لإنتاج العسل... وكذلك محاصيل الصيد كتمليح وتصبير السمك. كذلك تمارس المرأة القروية أنشطة منزليّة يدوية مرتبطة بالماشية كغزل الصوف والنسيج، والطهي وتصبير الغذاء، ثم أخرى مرتبطة بالأرض كالفخار وأخرى بالنباتات كصناعة السلال والقفف... لذلك على الدول مسؤولية إدماج النساء والفتيات في كل المعطيات المتعلقة بالتنمية قصد توفيرهن وزيادة حصولهن على فرص العيش اللائق في بيئه سليمة.

ومسؤولية الدولة هي على ثلاثة مستويات:

- السلطة التشريعية: ما يلاحظ وبالذات في البرلمانات العربية، أن هناك إشارات ناذرة أو مُحتشمة تهم قضايا البيئة ولا تتم إلا من موقع أزمة كالجفاف أو الفيضانات أو آفة الجراد أو الزلازل... فما هي مبادرة المرأة العربية كبرلمانية للاهتمام بقضايا البيئة؟

- السلطة القضائية: هناك غياب سلطة الضرر لتحديد المسؤولية في إلحاق الضرر بالبيئة وإلحاق الضرر بالأشخاص لما تستغل موارد المياه متلا دلوافع مصلحية واقتصادية بدل إيقائهما موارد لعيش الأسر خاصة في المناطق القروية. فهل هناك من نساء لتفعيل العدالة من أجل البيئة؟

- السلطة التنفيذية: إذا ما أخذنا بنموذج المغرب، نجد أن البيئة لم تحظ بوزارة إلا سنوات التسعينات من القرن الماضي. وما يمكن ملاحظته، أن هناك تراجع في الاهتمام بالبيئة لما أصبحت مع الحكومة الحالية لسنة 2007 تابعة للطاقة والمعادن، فهناك وزارة الطاقة والمعادن والماء والبيئة، وهناك كتابة الدولة المكلفة بالماء والبيئة. فهل ستغير الوزيرة الغربية -السيدة أمينة بنخضرة- اهتماماً للمرأة في علاقتها بالبيئة كونها امرأة على رئاسة هذه الوزارة؟

على المستوى الوطني المغربي، لما نجد الماء يتقدم البيئة في ترتيب الوزارة، فإن التطرق إلى الماء قد تم من "موقع أزمة" لما يُعتبر مسألة وطنية تحت وطأة الجفاف من الناحية الطبيعية؛ أما من الناحية الاقتصادية والصناعية فهناك تهديد بندرة الماء نظراً للتلوث والاستغلال المفرط له. ومن الناحية السياسية، فالماء هو أداة لاستغلال النفوذ.

نفس الشيء حتى على المستوى الجهوي عالمياً لما يُشكل الماء "مصدر الصراع" بحيث تلوح كل من إسرائيل وتركيا ورقة الماء كمصدر للصراع مستقبلاً بدل النفط في بلدان الخليج والشرق الأوسط معالأردن وفلسطين وسوريا والعراق. أما إثيوبيا فهي تعمل نفس الشيء مع كل من مصر والسودان حول منابع النيل. فهل تستطيع المرأة، خاصة في إطار

جمعيات المجتمع المدني وداخل قبة البرلمان ومراكز القرار، تحريك
الأنظمة العربية لمواجهة هذه المعضلة؟

مع ذكر هذه السلط الثلاث، لابد من الإشارة إلى السلطة الرابعة ألا
وهي :

- سلطة الإعلام: على عكس التصريحات الأخاذة عن القلق البيئي
والإيكولوجي على المستوى الرسمي بحيث أن الجهد حول القضايا
البيئية ضئيلة، فإن تناول الإعلام لهذه القضايا من خلال الإخبار
والتحسيس قد ازداد اهتماماً في الواقع المعاصر. إلا أنه، وللأسف، نجد
حضوراً خافتاً إن لم نقل منعدماً للمرأة للتبدّي اهتمامها بالبيئة إعلامياً في
بلدان الجنوب عموماً والبلدان العربية خصوصاً.

ولا يُعتبر للإعلام موقع لوحده داخل المجتمع وطنياً ودولياً، بل
هناك كذلك على هذين المستويين قنوات تتخلّل بالمجتمع، ألا وهي
المنظمات غير-الحكومية.

٤ المنظمات غير-الحكومية:

- على المستوى الدولي، تصدّت المنظمات غير-الحكومية المهمة
بالبيئة، ومن أبرزها "السلام الأخضر Green Peace" للقضايا التي تهم
البشرية جمّعاً في علاقاتها بالتقنيولوجيا المتقدمة والطاقة المتجددة وما
ينتج عنها من الكوارث النفطية والنووية والإشعاعية، وتلوث واستغلال
أعالي وأعماق البحار، واستنزاف طبقة الأوزون وغير ذلك. ولم تحظ المرأة
بأي موقع متميز من الاهتمام داخل هذا الإطار إلا من خلال العضوية ضمن
عناصر هذه المنظمات.

أما على المستوى الإفريقي، فأبرز هيئة جديرة بالذكر هي "حركة
الحزام الأخضر" في كينيا والتي تم تأسيسها بمبادرة من الحائزة على
جائزة نوبل للسلام سنة 2004، السيدة ونقاراي ماتاي. و"حركة الحزام
الأخضر" هي منظمة غير-حكومية ترتكز على حماية البيئة وتنمية القدرات

والكفاءات وتعزيز التنمية الاجتماعية، وتطلع إلى خلق مجتمع يعمل باستمرار على تحسين بيئته. ومن خلال زرع الأشجار كنقطة بداية، ارتكزت مهمة الحركة على قيم التطور وشغف الحماية والاندفاع إلى تحسين الذات والشفافية والمسؤولية. ثم تفرع عملها ليشمل التربية وسلامة الطعام ومساهمة النساء في التغيير. وقد نشأت الحركة من داعي حاجيات النساء القرويات التي تمثلت في كسب الحطب والمياه النظيفة ونظام الأكل المُتوازن والملجأ والدخل. وهي تعمل على تحقيق تطلعاتها من خلال برامج أساسية تتناول زرع الأشجار والتربية والتنقيف البيئي، والدعوة والتواصل وأوراش العمل التدريبية الإفريقية، وبناء قدرات النساء للتغيير، وتعريف مجتمعات بلدان أخرى "بالحزام الأخضر" من خلال تنظيم الزيارات. كما تعمل الحركة على حماية البيئة من خلال زرع الأشجار وبالتالي الحد من انجراف التربة والحفاظ على التنوع البيولوجي والعنصر الجمالي للطبيعة.

وعممت الحركة إنشاء السدود الرملية لحبس المياه في فترات الوفرة واستعمالها في وقت الجفاف. ونفذت مشاريع تربوية لتوعية الشعب بضرورة حماية البيئة والتصويت في الانتخابات للمشاركة في بلورة السياسات واتخاذ القرارات بشأن البيئة. وقد حققت "حركة الحزام الأخضر" -التي تشكل النساء الكينيات دعائمهـ خالٌ أكثر من ثلاثين سنة إنجازات كثيرة، منها: تحفيز المجتمع الكيني للعمل على إعادة التشجير، ونشر المعرفة عن البيئة وتشجيع العمل في سبيلها، ومشاركة الخبرات والوسائل على صعيد عالمي، وبناء القدرات وتكوين الكفاءات وجلب الدخل من خلال نشاطات محلية ووطنية تتماشى مع التنمية المستدامة.

هذا الهدف، أي التنمية المستدامة، جاء العرف الدولي ليكرسه عبر محطات دبلوماسية، والتي لا تهمنا في هذا الإطار إلا في علاقتها بالمرأة.

II- دور العرف في الاهتمام بالمرأة والبيئة

نشط دور العرف من خلال دبلوماسية منظمة الأمم المتحدة سنوات التسعينات من القرن الماضي عبر عدة مؤتمرات لتهتم بعده قضايا إنسانية وأمنية ومنها قضية المرأة عموماً وقضية المرأة في علاقتها بالبيئة خصوصاً.

① الاهتمام بالمرأة عموماً :

قامت عدة منظمات غير-حكومية وجمعيات من خلال حملات جماعية للضغط على الحكومات حتى تتبني مواقف ومشاريع تهم المرأة في المحاور التالية: الصحة، التربية والتعليم، التشغيل، المساواة، الفقر، التنمية، السلم، الديمغرافية، ... والمساهمة في مسلسل بناء الوطن. وجاءت هذه المحاور ضمن محطات دبلوماسية أهمها:

- المؤتمر الأول حول المرأة - مكسيكو سنة 1975.
- عقد الأمم المتحدة من أجل المرأة - 1976-1985.
- المؤتمر الثاني حول المرأة - كبنهاكن سنة 1980.
- المؤتمر الثالث حول المرأة - نيروبي سنة 1985.
- استراتيجيات نيروبي لسنة 2000.
- القمة العالمية حول الطفولة - نيويورك سنة 1990.
- قمة ريو حول البيئة والتنمية - سنة 1992.
- قمة القاهرة حول السكان والتنمية - سنة 1994.
- قمة كبنهاكن للتنمية الاجتماعية - سنة 1995.
- قمة بيكون حول المرأة - سنة 1995.

② الاهتمام بالمرأة في علاقاتها بالبيئة :

إذا تعهدت حكومات الدول من خلال كل المحطات الدبلوماسية التي عُنيت بالمرأة وخاصة قمة نيروبي سنة 1985 بالارتقاء بمساهمة المرأة خاصة الاقتصادية، فهذا لا يستثنى مشاركتها الفعلية والفعالة في بناء التنمية المستدامة التي هي في صالح الفرد أكان امرأة أو رجلا.

*** قمة ريو حول البيئة والتنمية – سنة 1992 .**

أكدت هذه القمة الدور الريادي للمرأة في التنمية المستدامة وفي الحفاظ على البيئة. وبما أن النساء يشكلن عددا هاما من بين المنتجين الفلاحيين في العالم خاصة في جنوبه، كما أنهن في عدة بلدان يشكلن المسؤوليات الرئيسية لتوفير وضمان احتياجات الماء والوقود لعائلاتهن، فإنهن وبالتالي عنصر حيوي في كل المجهودات لحماية وللحفاظ على البيئة. وهكذا دعا كل من البرنامج من أجل التنمية المستدامة، و”المُفكرة21” المنبثقان عن هذه القمة إلى إدماج المرأة في تدبير وتسخير حماية الموارد الطبيعية خاصة في المناطق القروية.

*** المؤتمر الدولي حول السكان والتنمية بالقاهرة سنة 1994**

حدد البرنامج المنبثق عنه أهدافاً للحصول عليها في 20 سنة من خلال ثلاثة ميادين متداخلة منها إسهام النساء والفتيات في التنمية المستدامة وذلك بإعطائهن خيارات وفرص أوسع نطاقاً ونوعاً.

*** قمة بيكون سنة 1995**

وقد تطرقت هذه القمة لـ12 مجالات اهتمام في علاقاتها بالمرأة، وجاءت قضية البيئة في الرتبة 11 حين أشارت هذه القمة في هذه القضية إلى عدم الاعتراف اللائق وغياب الدعم لمساهمة المرأة في تدبير الموارد الطبيعية والحفاظ على البيئة.

وهذه النقط 12 هي : الفقر، التعليم، الصحة، العنف، الصراعات المسلحة، البنية الاقتصادية، تقاسم السلطة، الآليات المؤسساتية، الحقوق

الأساسية، الإعلام، البيئة، الفتيات. وهكذا أكدت قمة بيكون حول المرأة في علاقتها بالبيئة على أن تؤخذ المعرفة والممارسات التقليدية للنساء القرويات بالاعتبار، وتُدمج في برامج تدبير البيئة.

كما دعا برنامج العمل المُنبثق عن هذه القمة إلى الاعتراف بمساهمة المرأة في إنتاج المواد المعينية *la production vivrière*. ودعا كذلك إلى إعطاء أرقام لقيمة هذا العمل الذي يتم بدون مقابل قصد إدراجه في الحسابات المحلية والميزانيات الوطنية بما يتلاءم وجهود النساء في هذا النطاق.

بالموازاة مع هذه القمة، ساعدت عدة منظمات غير-حكومية منظمة الأمم المتحدة على إعادة صياغة بعض محاور برنامج العمل خاصة فيما يتعلق بالمرأة في علاقتها بالبيئة والتنمية؛ إذ أن المرأة تلعب دوراً مهماً في بلورة كيفيات الاستهلاك والإنتاج البيئي والإيكولوجي وكذلك تدبير الموارد الطبيعية. من جهة أخرى، ينبع عن العلاقة بين الفقر وتدحره وتدمير البيئة آثار سلبية على صحة ونوعية الحياة والرفاه البشري خاصة لدى الفتيات والنساء. وهنا لازالت المرأة مقصية في كل عملية أو مسلسل بلورة واتخاذ القرارات في الميدان.

نفس الميدان الذي تُلح الحاجة فيه إلى تزويد المرأة بالمعلومات والتكتوين الضروريين حتى تواجه كل الصعاب خاصة إبان الكارثة. وهذا لن يكتمل طبعاً إلا بتمثيلية وبعدد كبير للنساء في مركز بلورة واتخاذ القرارات. أما السياسة المتعلقة بالبيئة، فيجب إخضاعها لتصورات تأخذ المرأة بعين الاعتبار. وهكذا يُقر برنامج العمل المؤتمر بيكون حول المرأة بأنه إذا كانت للنساء إمكانية الاستهلاك دون تلویث أو تدمير البيئة، وإذا كانت لهن كمنتجات فرصة الحصول على التقنيات والتكنولوجيا، فإن الآثار المنفعية على البيئة ستكون مهمة على الجميع. لهذا فإن المناقشات والدراسات حسب موقع المرأة هي ضرورية ومهمة في إطار البيئة.

إذا كان هذا على مستوى المبدأ والمؤسسة والعرف من أجل تمتيع المرأة بحقها في بيئة سلية وآمنة، ماذا عملت المرأة بنفسها لتكريس هذا الحق.

III- مبادرة المرأة في تفعيل الاهتمام بالبيئة

أراد الإنسان بفكرة تسخير البيئة لمصالحه، لكن هذا التسخير أدى إلى استنزاف الموارد الطبيعية، وأصبح بالتالي الإنسان ضعيفاً أمام تدهور وتدمير البيئة، والإنسان الأضعف في هذا الوضع هو المرأة. لذلك وجدت نفسها -أمام ضغوطات البيئة- مُلزمة بأن تتحرك هي بدورها على مستويات التحسيس والتوصيق والعمل action. وهنا لا بأس من ذكر بعض النماذج النسائية في الاهتمام بالبيئة.

١ التحسيس :

الفتاة البريطانية تيلي سميت البالغة من العمر 10 سنوات، أنقذت حياة نحو 100 سائح من موجات تسونامي التي اجتاحت جنوب-شرق آسيا في 26 ديسمبر سنة 2004. فقد حذرتهم من كثافة علاقتها من المياه في طريقها إلى شاطئ ميحاو في التايلاند بعدما تعلمت في المدرسة حقائق هذه الظاهرة. فقد أدركت الفتاة خطر تسونامي لما بدأت المياه تتحرك في شكل غريب، فكانت هناك فراغ، وانحصر المد في شكل مفاجئ. وجاء هذا الإدراك نتيجة توعية الفتاة تيلي التي نفذت قبل أسابيع مشروعًا مدرسيا حول الموجات العمالقة الناتجة عن الزلازل تحت مياه المحيطات.

العبرة هنا أن الأنشطة المدرسية التطبيقية تساعد كثيراً في تربية جيل واع، سريع البديهة، وقدر على التصرف العملي في الظروف الصعبة. وهنا يجب أن يتزلف مع حملات وطنية للتوعية بالكوارث الطبيعية، كالزلازل والفيضانات والسيول، وتعليم المواطنين، واللامبيذ والطلاب خصوصاً طرق التصرف في مواجهتها. ونحن نعلم أن المرأة لها

القسط الوافر في قطاع التعليم عبر العالم، لذا فهي مدعوة للعب دور مهم في التحسيس والتوعية بالقضايا البيئية.

② التوثيق:

في علاقة المرأة بالبيئة، لا بد من التذكير بأهمية الكتابة النسائية حول قضايا البيئة، وهنا لا بأس من الإشارة إلى مؤلف لي (الدكتورة أنيسة اكحل العيون) تحت عنوان: "البيئة بين التدهور والحماية" والذي يُعتبر وثيقة قانونية أحرزت على تنويه من وزارة البيئة بالغرب.

③ العمل:

تعتبر الكينية ونقاري ماتاي أول امرأة إفريقية تفوز بجائزة نوبل للسلام لسنة 2004. فللمرة الأولى توضع الشؤون البيئية في جدول جائزة نوبل للسلام، بحيث وسّعت مفهوم السلام التقليدي الذي حدده ألفريد نوبل سنة 1895 ليشمل الشؤون البيئية المتعلقة بالأرض. وبررت لجنة نوبل اختيارها بأن السلام "يعتمد على تأمين بيئه سليمة ونظيفة وعلى حمايتها"، وأن السيدة ماتاي معروفة بنضالها الدؤوب من أجل محاربة الفساد وحماية الديمقراطية وتحسين وضع القراء والمرأة في كينيا، وهي تتقدم المعركة من أجل التشجيع على التنمية المستدامة على الصعيد الاقتصادي والثقافي والاجتماعي".

فقد أسست السيدة ماتاي عام 1977 "حركة الحزام الأخضر" النسائية التي زرعت أكثر من 30 مليون شجرة في كينيا مُتخذة الشجرة شعاراً للسلام ووسيلة لحل الخلافات العرقية وإرساء للأطراف المتنازعة.

وتنفذ الحركة أهم مشروع للتشجير في إفريقيا يعمل على تشجيع التنوع البيولوجي وإيجاد فرص عمل للنساء. وقد أرادت ماتاي من هذا المشروع أن تُظهر كيف يمكن لبيئة يتم تدبيرها بصفة جيدة أن تدعم مستوى حياة أفضل. فقد أكدت على ضرورة تولي النساء أدواراً قيادية في حماية البيئة التي اعتبرتها جزءاً من مهمة أكبر لخلق مجتمع يحترم

القانون وحقوق الإنسان بما فيه حقوق المرأة. فالنساء هن أول من يلاحظ الأضرار البيئية حين تتضاءل الموارد الأساسية لبقاء عائلاتهن على قيد الحياة. لذلك تؤمن السيدة ماتاي بأن الحلول ينبغي أن تأتي من الداخل، لأن كل إنسان يعتبر خبيراً في بيته، ولذلك يستطيع طرح حلول عملية لمشاكل البيئة في محيطه.

أمام هذه التجارب النسائية الرائدة في ميادين البيئة، نتساءل:

- * حين يرى البعض أن استئصال الفقر وبناء التنمية في البلدان النامية يجب أن يتقدم على العناية بالبيئة، فكيف يمكن لمكافحة الفقر وحماية البيئة أن يتماشياً معاً في آن واحد؟
- * كيف يمكن تحويل البيئة إلى قضية سياسية ووضعها في مكان متقدم على الأجندة الوطنية وطرحها كمسألة وطنية ذات أهمية داخل قبة البرلمان؟
- * إبان العولمة، ما هي العلاقة بين البيئة والتنمية والنمو من جهة، ومن جهة أخرى، لما يشكل الإرهاب الهاجس الأكبر للدول، ما هي العلاقة بين البيئة والسلام والأمن؟
- * ما هو دور المرأة على وجه الخصوص لنصرة القضايا البيئية في بلدان الجنوب عموماً وفي البلدان العربية خصوصاً؟

مشاكل البيئة العربية وآفاق تطويرها

د. جميلة العماري

أستاذة بكلية الحقوق بطنجة

تواجه مجتمعاتنا العربية خاصة، ومجتمعات العالم الثالث على العموم، مجموعة هامة من التحديات والرهانات التي تفرض عليها مواجهتها إكراهات النظام الدولي الجديد في إطار عولمة مطبقة.

لكن الذي يثير الاستغراب في مجتمعاتنا هو أنه في الوقت الذي تتعالى فيه أصوات المرددين لشعارات العولمة وفي الوقت الذي تتلزم فيه مجتمعاتنا بالدخول في مشاريع الخوصصة والشراكة وتحمل شعارات الحداثة والديمقراطية فإن الكثير من شروط ومقتضيات الاتخراط في هذه المسارات والمشاريع لا يزال غائباً في هذه المجتمعات الأمر الذي يطرح العديد من علامات الاستفهام حول مدى مصداقية ما تراهن عليه من تفعيل لآليات تحقيق التنمية المرجوة.

وتعرف مسيرة التنمية في عالمنا اليوم العديد من الصعاب ويعتبر ثالوث الفقر والأمية والبطالة أكثرها تعقيداً، وتولد عن هذه المشاكل قضايا مختلفة كالعجز في ميادين التغطية الصحية والتكتونين والعنف المبني على العنف الاجتماعي وغيرها، وتعتبر النساء الأكثر عرضة لهذه الآفات إلى درجة الحديث عن تأثير الفقر فالامية وهزالة تعلم الفتاة القروية ومحدودية العناية الصحية لدى المرأة ووجود نسبة كبيرة من الأسر التي تدبر شؤونها نساء مطلقات أو أرامل في الغالب دون دخل قار كلها عناصر مساهمة في تعقيد حياة النساء إضافة إلى كونها عراقيل أمام التنمية الاجتماعية، فالقرف لا ينحصر في كون الشخص جائعاً ولكن أيضاً عاجزاً أمام حل مشاكل التطبيب وتعليم الأطفال وتوفير السكن.

ودرءاً لهذه المشاكل العويصة كان لابد من خلق حوار ومشاورات بين مختلف منظمات المجتمع المدني عامة وخاصة العاملة في حقل النهوض بالمرأة وكذا المؤسسات الحكومية والقطاعات المهمة بإدماج المرأة في التنمية المستدامة.

إن تحديات القرن 21 تستلزم قيادة مشتركة قادرة على خلق عالم أكثر إنسانية وقد بدأت النساء فعلاً في لعب دور هام للاستجابة لهذه الضرورة وتعززت مشاركتهن السياسية حيث أصبحت شرطاً أساسياً، لإرساء الديمقراطية والتغيير الاجتماعي غير أن تمثيلهن بالمناصب العليا للدولة وفي القطاع الخاص بأغلب الدول العربية يبقى دون المستوى المطلوب.

وحتى تتصدى جميعاً لقوة الإشكالات المعرقلة للمسيرة التنموية لابد من إيجاد إجراءات وتدابير وحلول وذلك ما سنعمل على إدراجه من خلال البحث التالي والذي سنعالج فيه مجموعة من المشاكل والمعوقات التي تعرفها البيئة العربية.

وبالرغم من التنوع والتدخل الواضح لهذه المشاكل والمعوقات فسنحاول أن نصنفها إلى معوقات ذات صبغة اجتماعية ومعوقات ذات صبغة اقتصادية وأخرى ذات صبغة سياسية.

ولكن على العموم تبقى جلها معيلاً لمشروع التنمية في البلدان العربية.

المعوقات الاجتماعية

يعتبر الفقر من أهم المشاكل التي تعرفها البيئة العربية وهي أيضاً أهم التحديات التي تواجه مسيرة التنمية البشرية.

ومصطلح "الفقر" مصطلح معقد ومتشعب ولا يمكن حصره في الفقر المالي أو المادي كما يرتبط بخصوصيات وطنية وشخصية تتعلق بالفرد والمجتمع.

ولقد تعرضت نظريات عديدة لتعريف الفقر إلا أننا لن ندرج إلا المقاربة التي تعتمد على توفر الاشتباكات الضرورية.

يعتبر فقيرا كل من لم تتوفر له أو لديه الاحتياجات الضرورية من مأكل وملبس ومسكن وتعليم، والإحصائيات المتوفرة تصنف الأشخاص حسب توفرهم على صنف أو صنفين⁵⁹.

وتعتبر النساء الأكثر عرضة لآفة الفقر إلى درجة أصبح الحديث عن تأثير الفقر فألمية وجود نسبة كبيرة من الأسر التي تدبر شؤونها نساء مطلقات أو أرامل في الغالب دون دخل قار كلها عوامل تساهم في تعميق هذه الآفة في المجتمع العربي والعالم ككل. إذ يمثل النساء حوالي 70 % من مجموع القراء ويرجع السبب إلى كونهن من يعيشن أكثر من الرجال وهذه الزيادة في العمل تقضي بهن بدون عائل بالإضافة إلى قلة إقبالهن على العمل وأجرهن المنخفض وظروفهن الاجتماعية والاقتصادية والثقافية...⁶⁰.

وليس هذا هو السبب الوحيد الذي ساعد على استفحال هذه الآفة بل يعزى الأمر أيضا إلى الطابع الانفصامي للنصوص القانونية والذي تعمد إلى خلق قطيعة بين طموح المرأة واحتياجاتها.

حاجتها في الشغل وطموحها في الجمع بين أسرتها ووظيفتها فالنصوص القانونية المنظمة لمختلف مجالات الحياة الاجتماعية للمرأة تتذبذب بين المساواة الميكانيكية التي لا تراعي خصوصية المرأة والميزة وعدم الانسجام فيما بينها.

فضلا على أنها لا تقف حائلا دون وقوع العنف الجنسي الذي تتعرض له المرأة في العمل. لاسيما ذوات الساليم الدنيا وذوات القطاعات الخدمية وهو عنف مskوت عنه في غياب حماية قانونية ومساندة عائلية تحرم

⁵⁹ للمزيد من التوسيع والاطلاع راجع : محمد بوليف : م.س. ص. 98-99
⁶⁰ محمد نجيب بوليف ص. 138

المرأة من ممارسة حقها في محاربة الفقر عن طريق الشغل لأنه في مجتمعاتنا العربية مجلبة للعار والخزي.

إذن فأغلب قوانين الشغل والوظيفة العمومية في الدول العربية عموماً تعرف تغييباً لحماية المرأة من العنف الجنسي في ظل غياب وسائل الإثبات وشهادة الشهود لأن هذا النوع من الانتهاكات لا يمارس إلا في الأماكن الخالية⁶¹.

الأمية ورداة التعليم

لا يختلف اثنان في أن الأمية معلوٰ يطيح بكل بناء حضاري فانتشار العقلية البدائية وتدني المستوى الفكري وما يستتبعه من تدني الوعي الصحي والبيئي والجهل بأسس التربية النفسية والاجتماعية السليمة وعدم فهم وتنمّيل مبادئ الوقاية كلّهما إفرازات سلبية للجهل تستنزف اقتصاد البلد وترهق كاهله بنفقات جانبية كان من الممكن تفاديها لو عملنا على خلق مواطنين لديهم حد معين من القدرة على المعرفة والإطلاع والإنتاج ومن المؤكد أن الإنسان الذي يجهل الحرف والكلمة هو أقل الناس تواصلاً مع غيره وأضعفهم قدرة على المشاركة في البناء والتنمية.

وقد نشر دراسات ميدانية للبنك العالمي تبرّز أن دولاً مختلفة كانت في نفس المستوى من الناحية الاقتصادية سنة 1960 غير أن تلك التي عرفت نسبة مرتفعة من انخراط مواطنيها في أسلاك التعليم والتربية استطاعت أن تحسن أداؤها على جميع المستويات كأمريكا اللاتينية وآسيا.

بينما تلك التي لم تهتم بهذا المجال ولم تستعمل الموارد المتاحة بطريقة جيدة (المغرب نموذجاً)، فقد بقيت في مصاف الدول النامية وهذا ما جعل رئيس البنك الدولي يرد في جوابه على رسالة الحسن الثاني ملك

⁶¹للمزيد من التوسع حول المرأة الموظفة بين إجحاف النص ومتطلبات الواقع بقلم السيدة جميلة لعماري

المغرب الراحل. الذي طلب من البنك مشاركته في التفكير حول مستقبل سياسة التربية في البلاد قائلاً:

”إن التربية هي التي يمكن أن تضمن على المدى البعيد، بعض النظر عن الأزمات والتغيرات الاقتصادية الطارئة ببناء اقتصاد أكثر فاعلية ومجتمع أكثر عدالة أما الحلول التي اقترحها البنك الدولي فتتجلى في توسيع وتعزيز التحاق الأطفال المغاربة بالتعليم الأساسي، وبنقليل من الفوارق بين المدينة والبادية، وبين الذكور والإثاث بالنظر إلى تأثير نسب التمدرس على ميادين الصحة والتغذية والوقاية والتدبير المنزلي“.⁶².

فبالنسبة للمجال الصحي فتردي الأحوال الصحية في العالم العربي تعزى إلى الأمية والجهل فمعرفة سبل الوقاية من الأمراض وسبل العلاج ومضاعفات الأمراض لن يتّأسى إلا بالتعرف. وإطلاع بأصول القراءة والكتابة وما انتشار الإيدز في الدول العربية إلا نتيجة لاستفحال الأمية وطبعاً هناك عوامل أخرى لكن تبقى هذه الأخيرة السبب الرئيسي والفعلي لهذه الآفة المرضية العظمى.

وما ارتفاع نسب الوفيات لدى الأطفال والأمهات وارتفاع نسب الطلاق إلا بسبب الجهل والأمية... .

ويرجع بعض الباحثين الأسباب المؤدية إلى تدني المستوى التعليمي في بعض بلدان الدول العربية غياب إستراتيجية تعليمية واضحة المعالم. فالبلدان العربية تمثل مختبرات لتجارب فاشلة لفظتها الدول المتقدمة الشيء الذي يجعل هذه البلدان تنتقل من تجربة إلى أخرى ومن فشل عميق إلى فشل أعمق يخلف وراءه ضحايا التمدرس.

وخير مثال على ذلك سياسة التعريب وعدم التعريب تارة أخرى في المغرب العربي وسياسة الإصلاح الجامعي الذي تقادم ولفظ من طرف فرنسا ليلتقطه المغرب وكان قنبلة أتت على البقية الباقيه من التعليم

⁶² انظر تقرير البنك العالمي حول المغرب بتاريخ 15 شتنبر 1995 عن محمد بوليف م.س. ص. 124

الجامعي وذلك لعدم انسجام برنامج الإصلاح الجامعي مع الموارد المخصصة له. هذا فضلاً على أن عدد الخريجين يفوق بكثير التدابير الحكومية للتشغيل والتي يذهب ضحيتهاآلاف الشباب منهم المنتظر ومنهم الذي زح به في السجون ومنهم من فضل الهجرة إلى الضفة الأخرى راميا بنفسه في أحضان البحر، هذا البحر الذي يتمتع بثرواته وخيراته فئة قليلة ويموت في أحضانه أعداد كثيرة من الحانقين في ظل سياسات حكومية فاشلة يعطي الأولوية للمصالح الشخصية وللوساطة والزيونية والمحسوبيّة وليس للكفاءة العلمية وأحياناً كثيرة الرشوة دون الاعتداد بالكفاءات. وإذا حاولنا رصد مستوى التمدرس بالنسبة لكل دولة عربية على حدة فسنجد مفارقations واختلافات عدّة فمنها من ترتفع فيه نسبة التمدرس إلى حدود النسب المتوفرة في العالم كليبيا 91٪ والبحرين 85٪ والإمارات العربية المتحدة 82٪ ومنها من توجد به أدنى المعدلات العالمية كما في Djibouti 20٪ والسودان 31٪.

وقد بذلت جهود من أجل محاربة الأمية وتحسين التعليم في المغرب من طرف مؤسسات حكومية وغير حكومية إلا أنها لم تأت بالشيء الكثير فقط نزلت النسبة في سنة 1999-1998 إلى 46٪ في الحاضر و 62٪ في البواقي مقابل 21٪ في المائة في المدن و 34٪ في القرى للرجال⁶³.

ومن العوائق التي ميزت السياسات المتعاقبة في مجال التعليم ومحو الأمية نذكر هيمنة العنصر الذكري على مستوى التصور وإعادة إنتاج التمييز الاجتماعي على حساب الفتيات غير أنه عقب المؤتمر العالمي للمرأة سنة 2000 أصبح الالتزام بضمان التعليم لصالح النساء أكثر وزنا.

⁶³ التقرير الوطني وضعية المرأة بالمغرب عشر سنوات بعد مؤتمر بيجين، أبريل سنة 2004، ص. 12
مطبعة ربانيت المغرب ، الرباط

64 إشكالية التعليم في الوسط القروي

إن معاناة الوسط القروي من ويلات الأمية والجهل يتضاعف مقارنة مع نظيره الحضري نتيجة العزلة والتمهيض وتدور الاقتصادي المعمول وعدم استفادته من برامج التنمية البشرية هذا فضلا على ما تعرفه الوضعية الاجتماعية والثقافية للمرأة القروية من هضم في الحقوق وكل هذا يشكل سببا أكثر للتركيز على عوائق التمدرس بالوسط القروي لاسيما بالنسبة للإناث.

وهي تختلف من عوائق تربوية تعرف تشتتا في التعطية فالمدارس لا تتجاوز في المجال المغربي القروي 33 %. فضلا على أنه تنتشر ظاهرة الأقسام المشتركة والتي قد تشكل في ذات الوقت مسكنًا للمشرف التربوي لأنعدام مكان يتواجد فيه نظراً لوجود سياسات حكومية لا تأخذ بعين الاعتبار العامل الانتيمائي للمربي وكذلك عامل الجنس بالنسبة للمربيات اللواتي قد يجدن أنفسهن في أماكن نائية عرضة للخوف والقهر والتمهيض والاغتصاب أحيانا في ظل انعدام حماية أمنية لهن في بلد ينظر إلى المرأة أنها لقمة طرية وسائفة وسائبة. والتي لن ينفعها في الحصول دون وقوع ذلك إلا الحيل القانونية عن طريق الإدلاء بشهاده رواج مزيف للاستفادة من الالتحاق بالزوج.

- كما نسجل في الوسط القروي هوة بين ما تعشه الفتاة القروية وبين ما هو ضمن في المناهج الدراسة وخاصة فيما يتعلق بالعادات والتقاليد والأعراف... والغرض هو إيجاد مناهج تتواافق وخصوصيات الوسط القروي ثم الاستفادة التامة من البرامج المدرسية.

- عدم كفاية الخدمات المدرسية من مطاعم وقلة مأوى للطلابات والطلبة الذين يتواجدون إلى هذه المدارس من جهات نائية وحتى وإن تواجدت فهي لا تتوفر على خدمات كالماء والكهرباء والحماية والرعاية من طرف

⁶⁴للمزيد من التوسيع الاطلاع راجع : مصطفى محسن : قضية المرأة وتجربات لالتعليم والتنمية البشرية ع 15 بالنجاح الجديدة سنة 1998

المأطرين فأغلب اللاجئين إلى هذه الدور يغادرونها بدون رجعة لتفشي ظاهرة السرقة والسب والتحرش الجنسي من طرف بعض الفئات المنحرفة – كما لا ننسى عامل الفقر الذي يدفع 95% من الأسر إلى الاستفادة من تشغيل أولادهم وفتياتهن أو للمساعدة في البيت أمام تدهور المكانة العلمية للمدرسة الغربية القروية.

إن الحديث عن الجانب التربوي والتعليمي متشابك ومتنوع بالنظر إلى إشكالياته المتعددة والمستعصية لا يتمنى لذلك سنحاول أن نكتفي بهذا القدر لننتقل إلى تحدي آخر لا يقل أهمية عن هذا الأخير وهو أيضاً يعرف تداخلاً مع التحديات السابقة من فقر وأمية وهو الحاجات الصحية.

ال حاجات الصحية

الصحة

يعرف مجال الصحة تدهوراً في الدول العربية بسبب عوامل كثيرة ف 30 مليون عربي (13%) من السكان لا يستفيدون من الخدمات الصحية متزوكون لقدرهم لا يعرفون الطبيب والمستشفى ولا الدواء كما أن أكثر من 5-6 مليون عربي محرومون من المياه العذبة النقية ومهددون بشتى أنواع الأمراض والأوبئة الفتاكية لاستهلاكهم المياه الملوثة فضلاً على كون 48% من القرى لا يستفيدون من مصالح التطهير بحيث أن دورهم ومنازلهم غير متصلة بقنوات الوداد الحار ويضطرون للتصرف بفضلاتهم بطرق مريضة⁶⁵.

كما أن العالم العربي يعرف استعمالاً متنوعاً للمخدرات الشيء الذي يفقدها كل مؤهلات التنمية البشرية لما يجره ذلك من ويلات على الصحة لاسيما شريحة الشباب عماد كل دولة وكذلك على اقتصاد الدولة لأن ذلك يؤدي إلى استنزاف طاقة هذه البلدان.

⁶⁵ الدكتور محمد نجيب بوليف م.س. ص. 160

ولعل الإحصائيات التالية تعطي صورة واضحة عن نسبة تعاطي العالم العربي لهذه الآفة.

- فلبنان مثلاً أحصى حوالي 52.000 متعاطي للمخدرات ثلثهم من المدمنين، ويترواح بين أغلبيتهم بين 15 و21 سنة ،

- في اليمن فيتم استهلاك نوع خاص من المخدرات يعرف "بالقات" حيث يتناوله 91٪ من الرجال اليمنيين و59٪ من النساء وذلك بانتظام.

- كما يتعاطى 6٪ من الشباب الكويتيين المخدرات في (جلسات الديوان).

- أما المغرب فيعتبر المصدر الأول للحشيش في العالم حيث يشتغل في زراعة "الكيف" الحشيش حوالي 200 ألف فلاح وفي مصر توازي اقتصadiات المخدرات ربع أجسامي الدورة المالية الخاصة بحيث قدرت بالأنشطة المدمراتية بحوالي مليار جنيه .⁶⁶

أما عن انتشار الأمراض المعدية فيعتبر داء السيدا من أبرزها وما الإحصائيات المعطاة في هذا الصدد إلا إحصائيات صورية لأن بعض الدول العربية ترى في ذلك مساساً بشخصيتها المعنوية وكذلك معول يهدم السياحة في بلدها.

في حين أن ذلك لا يزيد إلا من تفاقم الأوضاع واستفحال المرض في غياب مراقبة ووقاية طيبة.

وقد عمل المغرب على وضع خطة خمسية (1996-2000) وعبر تداريبه المختلفة قد سطرت من بين أهدافها تعزيز حملات هادفة إلى الوقاية ضد الإصابة ببعض الفيروس داء الإيدز كما نظمت حملات تحسيسية لفائدة الأوساط المعرضة لخطر العدوى ولكنها تبقى ضيقة بالنظر إلى الإمكانيات المادية والبشرية المؤهلة للقيام بهذه الحملات اللهم بعض المجهودات المحتشمة التي يقوم المجتمع المدني في هذا الإطار.

⁶⁶الدكتور محمد نجيب بوليف م.س. ص. 155

لذلك لابد من تظافر الجهود بين المنظمات الحكومية وغير الحكومية.

المرأة والصحة في المغرب

حسب البحث الوطني حول السكان والصحة لسنة 1942 وكذلك البحث الوطني حول صحة الأم والطفل لسنة 1997 فإن معدل وفيات الأطفال (دون السنة الأولى) قد تراجع من 57 حالة وفاة عن ألف ولادة حية إلى 36 فقط كما أن معدل وفيات الأطفال (دون السن الخامسة) قد انتقل من 761 حالة وفاة عن كل ألف ولادة حية إلى 45.8 وبعزى هذا الانخفاض لاستعمال اللقاح وتحسين شروط العيش والنظافة وكذلك الوقاية من أمراض الجهاز التنفسي...

وفيما يخص وفيات الأمهات والتي تعتبر من أعلى النسب في إفريقيا فلقد عرفت تراجعاً من 31.3% ما بين 1985 و1997 حيث انخفضت من 332 حالة وفاة عن كل 1000.000 ولادة حية إلى 228، ولا يزال هذا الرقم مرتفعاً في الوسط القروي 307 بالنسبة لكل 100.000 ولادة حية مقابل 125 وفاة في الوسط الحضري.

وقد مكن البرنامج الوطني للأمومة السليمة من تقليل كل من معدل وفيات الأمهات وانتشار الأمراض بينهن بفضل تدابير مراقبة فترة الحمل في المنزل ومتابعة صحة الطفل أثناء وبعد الوضع ولقد لوحظ تحسن طفيف متعلق بنسبة التوليد تحت المراقبة الطبية منتقلاً من 31% سنة 1992 إلى 43% سنة 1997 على المستوى الوطني وكذلك على التوالي في الوسط القروي من 14%⁶⁷ إلى 20%.

وبالرغم من المجهودات المبذولة من أجل الرفع من الصحة الإنجابية للمرأة فإن معدلات وفيات النساء والأطفال لا زال يعرف أرقاماً مهولة نظراً لعدم تجاوب هذه الفئات مع البرامج الخاصة بهذا الجانب لتفشي الأمية والجهل وكذلك لضعف الإمكانيات البشرية والمادية الموظفة

⁶⁷ التقرير الوطني لوضعية المرأة بالمغرب عشر سنوات بعد مؤتمر بيجين أبريل 2004

لرصد هذه الظاهرة وتتمثل في قلة الأطباء والمرضى وعدم تواجد مستشفى أو مستوصف في كل قرية إذ تفضل النساء نظراً لفقرهن المدقع أن تقضين حاجاتهن الاستشفائية عن طريق الوصفات الشعبية والتي في أغلب الأحيان لا تكون ناجعة بل مميتة.

النوع الاجتماعي

إن تمكين المرأة واستقلالها وتحسين مركزها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والصحي هو أمر أساسى لتحقيق التنمية المستدامة والمشاركة الكاملة بين الرجل والمرأة أمر مطلوب في الإنتاج والإنجاب. والعالم العربي لازال يعرف الكثير من الفوارق بين الرجال والنساء. فالمرأة تواجه أخطاراً تهدد حياتها وصحتها ورفاهيتها نتيجة إرهاقها بأعباء العمل ولافتقارها إلى السلطة والنفوذ.

والمرأة في العالم العربي تتلقى تعليماً نظامياً أقل من الرجل. وبالنظر إلى الأمية والتمدرس عند النساء يمكننا القول أنه في المغرب مثلاً تصل الأمية إلى 67% في صفوف النساء مقابل 91%⁶⁸ في صفوف الرجال وتزداد النسبة عند المرأة القروية إذ تصل إلى 90%. لذلك عقد المؤتمر العالمي للمرأة خصوصاً سنة 2000 أصبح الالتزام بضمان التعليم لصالح النساء في غاية الأهمية وذلك بفضل :

- تضمين مقاربة النوع الاجتماعي كأداة للتخطيط في برامج محو الأمية والتمدرس
- إعداد برنامج لمحو الأمية الوظيفية لصالح النساء القرويات ويركز على الأنشطة القروية في إطار اتفاقية مع كتابة الدولة المكلفة بمحو الأمية والتربية غير النظامية ...

المعوقات الاقتصادية

إن مؤشرات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وعلى رأسها الناتج الوطني الخام لا تأخذ بعين الاعتبار وبالمستوى المطلوب مساهمة النساء

⁶⁸ تقارير وزارة التربية الوطنية سنة 1998-1947

نظراً لأنها صعبة التقدير وبالتالي الإحصاء يتفاقم الوضع بالنسبة لأقل البلدان نمواً نظراً لضعف إمكاناتها في القيام بإحصائيات دقيقة ومع ذلك فإن النساء هن مورد حيوي للاقتصاد القروي والحضري.

فعمل الفتيات والنساء يلعب دوراً مهماً في الفلاحة وتربيبة الماشي والتخزين والتجارة الصغرى والخدمات... إلا أن الجزء الأكبر من عملهن غير مأجور وبالتالي فعملهن لا يقدر بالشكل المطلوب.

ويعاني تعاطي المرأة للتجارة والفلاحة والقطاعات الخدمية كالخياطة... من مشاكل متعددة تتمثل في ارتفاع أثمان المواد الخام واكتساح منتجات الدول المتقدمة والسلع المهرية للأسوق لذلك لابد من وضع استراتيجيات وطنية وجهوية بل ومحلية من أجل الدفع بهذا الاختيار وأيضاً عن طريق التأطير والتنظيم من أجل الابتعاد عن هدر الطاقات والاستفادة من تجارب العالمية والعربية وتبادل الخبرات بين الدول العربية.

- العمل على تشجيع تنظيم القطاع غير المهيكل بطريقة جيدة فيها نوع من الإبداع أي مخالفة للهيكلة التقليدية للقطاعات وذلك باعتبار هذا القطاع مشغل لفئات واسعة من النساء خاصة في المدن العصرية.

- تعزيز قدرات النساء المقاولات من خلال النهوض بالمقاومة الصغرى والمتوسطة وتنميتها.

هذا فضلاً عن الاهتمام بالقطاع غير المنظم الذي يضم عدداً من النساء المحرومات وتقوية مؤهلاتهن أكبر رهان لمحاربة الفقر والجهل ومحاربة اللامساواة في الاندماج الاجتماعي وذلك على غرار برنامج الدعم لتطوير المقاولة النسائية المعروف بشعار (PADEF) الذي تتroxhi أهدافه ومن خلال مبدأ خلق المقاولات ودعم الأنشطة المقاولاتية للنساء (تسويق وتدبيين).

لأجل ذلك لابد من خلق اتحادات مقاولاتية نسوية عربية لأننا في عصر التكتلات الاقتصادية العملاقة ولا مكان للكيان الصغرى إلا في متاحف المرأة في دخولها وتفعييلها لاتحاد المغرب العربي والسوق العربية

المشتركة ومجلس التعاون الخليجي و غيره وذلك في أفق تأسيس لكتلة اقتصادي إسلامي عربي نسووي يحقق التكامل الاقتصادي والصمود والقدرة على الاستمرارية.

وأيضاً تدعيم العمل على مساواة المرأة والرجل في مجال النشاط الاقتصادي وخاصة فيما يتعلق بخصوص التمويل والائتمان والاستفادة من الصناديق الاجتماعية.

اشتراك المرأة في جميع مواقع اتخاذ القرار والمؤسسات المعنية بالتحفيظ العام على المستوى الوطني ودمج مفهوم النوع الاجتماعي في مختلف القطاعات الاقتصادية.

المعوقات السياسية

إن مشاركة المرأة في الحقل السياسي لازالت مشاركة رمزية وتمثلها في موقع تدبير الشأن العام لازالت جد محدودة لا تعبر عن وزنها وقوتها في المجتمع ولا تعكس حضورها المتأتي في الساحة الاجتماعية واقتصادية الشيء الذي يؤكد أن الحقل السياسي المغربي ما زال يعتبر ساحة للرجال دون النساء. وكذلك الشأن بالنسبة لبعض البلدان العربية التي لم يسمح فيها للمرأة بالمشاركة السياسية ويرجع ضعف وانعدام المشاركة السياسية لعدة أسباب :

1- العقليات العربية تنظر إلى المرأة التي تشغّل في المجالات السياسية على أنها مهملة لبيتها وأنها تضيع وقتها في مجال لا تقدر عليه وعلى مشاكله.

2- مشاركة المرأة في الحياة العامة ودخولها ميادين كانت حكراً على الرجال جعلها أمام تحدي صعب يجعلها تجمع بين وظيفتين وظيفتها التقليدية كزوجة وربة بيت وأم وظيفتها خارج البيت وهذا يجعلها تسعى إلى إعادة توزيع الأدوار هذه بين واقع المرأة العربية والغربية ووعيها بضرورة المشاركة في الحياة العامة تقدّم عقبة أمام مشاركتها الفعلية في تدبير الشأن العام .

3- مسؤولية الدولة والأحزاب والمجتمع المدني في إعداد المرأة للدخول في الانتخابات من أجل تنمية سياسة تشاركية مسؤولة ضعيفة جداً فالاهتمام بالمرأة كناخبة يفوق ويناقض حضورها كمرشحة في المجالين المحلي أو الوطني. وهذا يعزى إلى عدة أسباب منها ضعف تواجد النساء المحزبات وكذلك عدم اقتناع الأحزاب بترشيح المرأة واعتبار مبدأ الترشح حق للذكور قبل الإناث.

التنشئة السياسية للمرأة

لا يمكن الحديث عن المشاركة السياسية للمرأة دون الحديث عن ثقافة سياسية هذه الثقافة التي تؤهل المرأة للقدرة على هذه المشاركة وهي ليست وليدة الصدفة أو بنت اللحظة وإنما نتاج لتراكمات معرفية سياسية وتجربة حزينة وهي التي تذكّي في الأفراد روح المسؤولية ونكران الذات وقيم الدفاع عن الآخرين وهو ما يسمى بالنضال السياسي الذي يجعل الفرد حر من كل خوف وانسياق وتبعية فالذى نلحظه في مجتمعاتنا العربية غياب تنشئة سياسية نسوية والمرأة غالباً ما تكون عضوة عادية لا تستدعي إلا في المناسبات وقليلًا ما تدمج في الهياكل الحزبية أو تتقلد مسؤولية حزبية ولم يسبق أن سجل التاريخ في المغرب أن تقلدت المرأة الغربية مسؤولية أمينة عامة لحزب ما.

التدابير الخاصة لتصحيح واقع مشاركة المرأة في الشأن العام : الكوطا

إن اللجوء إلى تبني مبدأ التمييز الإيجابي لصالح المرأة المتضمن في الفصل 4 من اتفاقية مناهضة جميع أشكال التمييز ضد المرأة شأنه أن يساهم في تعزيز مبدأ المساواة.

وهذا يعني تمكين المرأة من فرص مواتية تشجعها وتساعدها على ولوج الحقل السياسي وذلك باتخاذ تدابير وإجراءات خاصة لإزالة العوائق الثقافية والاجتماعية التي تحول دون تقوية لتمثيليتها المؤسسات المنتخبة.

وبالفعل قد تم في المغرب العمل بنظام "الكوطا" في الترشيحات أي تخصيص حصة محددة للنساء أثناء الترشيح ويتحدد سقف هذه التمثيلية في ثلاثين امرأة في مختلف الأحزاب.

وهكذا تكون المرأة الغربية قد دخلت إلى عالم السياسة ولو بصورة محتشمة فأصبحت وزيرة وسفيرة وكاتبة دولة..... ولكن بنسب قليلة جداً و يأتي ذلك أحياناً عن طريق الاقتراح كما تم في تشكيلاً الحكومة الغربية الحالية إذ وصل عدد الوزيرات إلى سبعة وما ذلك إلا تشجيعاً للمشاركة السياسية للمرأة في المغرب.

خاتمة

للخروج من هذه المشاكل التي يتخبط فيها البيئة العربية لابد من خلق تكتلات اجتماعية واقتصادية تبحث في طريقة إدماج المرأة وتمكينها من التحرر ومدها بوسائل جديدة ناجعة تأهيلها للمساهمة في الأسواق التجارية والمالية معرف من قدرتها على التفاوض.

إنشاء مرصد عربي وإفريقي لإدماج المرأة العربية الإفريقية في التنمية سيؤدي إلى تعزيز التواصل بين الحكومات والبرلمانات والمنظمات الغير حكومية ليلورة تصور شمولي ومنسجم والخصوصيات الإقليمية والهويات الوطنية لتقوية المرأة داخل مجتمعاتها

صياغة برامج نهدى إلى إنعاش وتقوية دور التأطير والمشاركة السياسية للمرة وذلك بدعم الكفاءات النسائية من خلال ورشات لتكوين النساء في ولوج مناصب داخل الجماعات المحلية ورئيسة البلديات أو أعضاء في البرلمانات أو قيادات في النقابات

تحسين الصحة الإنجابية ومحاربة داء السيدا والأمراض المعدية

توسيع نظام التأمين الإجباري على المرض بالنسبة للنساء في وضعية صعبة مع إنشاء صندوق المساعدات الطبية مع دعم برامج سياسة القرب.

مراجعة النصوص القانونية وملائمتها لتنمية المرأة لاسيما في قانون الشغل والوظيفة العمومية...

لائحة المراجع

- لحسن مادي، محاربة الأمية مدخل لتحقيق التنمية البشرية منشورات مجلة علوم التربية ع 6 – سنة 2006
- مصطفى محسن، قضية المرأة وتحديات التعليم والتنمية البشرية العدد 15 سلسلة المعرفة للجميع سنة 1998
- زينب معادي، المرأة بين الثقافي والقديسي نشر الفنك سنة 1992 مطبعة النجاح الجديدة
- أميمة فؤاد معنا، المرأة والوظيفة العامة، دار النهضة العربية سنة 1984
- محمد نجيب بوليف، العالم العربي بين تحديات العولمة ومتطلبات التنمية البشرية طوب برييس 2003
- عالم المعرفة، التنمية حرية تأليف أمارتيا صون، ترجمة شوقي جلال أشغال ندوة المرأة والانتخابات جمعية السيدة الحرة سنة 2002 الطبعة الأولى
- مليكة الصروخ، وضعية النساء في مجتمع مغربي متغير، مجلة طنجةيس عدد 3 و 4 دجنبر 2004
- المرأة في المجتمع العربي مجلة المعرفة عدد 109 سنة 2004
- مجلس التعاون الخليجي رؤية متابع أحمد محمد سارم كتيب المجلة العربية العدد 32 – 1999
- التقرير الوطني لوضعية المرأة بال المغرب عشر سنوات بعد مؤتمر بيكون أبريل 2004 المملكة المغربية
- الفقر والعنف ضد المرأة، أنهار : نشرة غير دورية تصدر عن منتدى الهيئات لتنمية المرأة عدد خاص سنة 6/2000
- أشغال الندوة الإقليمية المرأة العربية الإفريقية وتحديات القرن 21 – 31 مارس 1 أبريل 2000، الدار البيضاء – المغرب.

المحور الثالث

دور المرأة العربية في التنشئة الأسرية

وظيفة الأمومة البوابة المثلثة لتنمية حقيقية

د. ايمان السلاوي

باحثة في فقه المرأة

تمهيد:

تعددت أشكال تعظيم وتقديس الأم على امتداد تاريخ الإنسانية، بلغت درجة تأليهها في مرحلة من مراحلها، وتجلت في أخرى بتملكها كل السلطة في تسيير شؤون الأسرة (الأسرة الأميسية)، و"بدت المرأة منذ العصر الحجري النيوليتي (العصر الحجري المصقول) للإنسان قرينة للأرض، فكلاهما يمد البشرية بالحياة والاستمرارية، وتجلت الأرض بيدها مقدساً لإنتاج الحياة، شأن أحشاء الأم تماماً".⁶⁹

وفي لغة العرب بدت لفظة الأم شاملة لكل ما يدل على عظيم دورها، وموقعها، وأوردت المعاجم معان عديدة منها أن "أم كل شيء أصله وعماده"⁷⁰، وقيل كل شيء انضمت إليه أشياء فهو أم لها، وكل شيء تفرع عنه آخر فهو أمّه: كقولنا "أم الطريق" للطريق العظيم الذي تتفرع عنه طرق صغيرة⁷¹، وأطلق لفظ الأم على الرئيس يقال "رئيس القوم أمهم"⁷² كما أطلق على المدبر" وفي الحديث: أتى أم منزله أي أمراته، ومن يدبر أمر بيته من النساء"⁷³ ويطلق على الشيء أم غيره لشرفه كقوله سبحانه أم القرى: "وهي مكة وقد شرفها الله تعالى لأنها توسيط الأرض فيما زعموا"⁷⁴ ، وقيل لأنها قبلة جميع الناس"⁷⁵

⁶⁹- د. محمود عبد المولى "في علوم الإنسان والحضارة" (تونس: دار النشر والتوزيع والاتصال، ط: 1، 1988) ص: 110.

⁷⁰- لسان العرب، باب الهمزة، مادة أم.

⁷¹- نفسه.

⁷²- الصحاح، باب الميم، فصل الآلف، مادة أم.

⁷³- لسان العرب، مادة أم.

⁷⁴- من المعلوم أن هذه الحقيقة قد تأكّلت علمياًاليوم، ولم تعد مجرد زعم.

⁷⁵- لسان العرب، مادة أم.

وقد زكى القرآن الكريم هذه القيمة الرمزية لدلالة الأم، فاستعملها سبحانه "بمعنى الأصل كما في قوله (هن أم الكتاب)"⁷⁶، ووردت بمعنى المرجع والمصير والمحضن في قوله تعالى (فأمه هاوية)⁷⁷، ووردت بمعنى الوالدة بعينها في ذكره تعالى لأم موسى، وأم عيسى⁷⁸ ، وأطلق سبحانه على المرضعات أمهات في قوله (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) ، و"سمى الله تعالى أزواجه النبي أمهات المؤمنين، فقال (وأزواجه أمهاتهم)".⁷⁹
⁸⁰

وفي توظيف الحديث النبوى للفظة الأم، قال عليه السلام: "أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم"،⁸¹ وفي حديث آخر ما يؤيد أن المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم أم القرآن أي أعظمه "عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم (...)" ثم قال: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت يا رسول الله إنك قلت لأعلمك أعظم سورة من القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثانية والقرآن العظيم الذي أورته".⁸²

وإذا كانت هذه مكانة الأم بما يدل عليه اللفظ فقط، فكيف بنا بما يدل عليه دورها ووظيفتها في الحياة، وقبل أن نشرع في تفصيل نظرية الإسلام لهذه الوظيفة لابد من الإشارة إلى حقيقة تشهد بها الطبيعة والعلم، تتمثل في كون الأمومة بالنسبة للمرأة فطرة، وحاجة غريزية قبل أن تكون مهمة مدعوة للقيام بها بمقتضى شرع أو قانون، وهذا ما يجعله المطلب الأول من هذا البحث، بينما سأخصص البحث الثاني لمظاهر تكريم وظيفة الأمومة في القرآن والسنة، وسأطرق في المطلب الثالث إلى

76- آل عمران: 7

77- الدامغاني "قاموس القرآن"، ص: 41-42.

78- انظر "أحمد عبد الهادي" الأم في القرآن الكريم (القاهرة، دار الاعتصام، دار العلوم للطباعة).

79- النساء: 23

80- الراغب الأصفهاني "مفردات القرآن الكريم"، كتاب الألف: أم.

81- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله ولقد أتيتك السبع المثانية والقرآن العظيم.

82- صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، فضل فاتحة الكتاب.

أوجه الإحسان المطلوبة من المرأة المسلمة في قيامها بوظيفة الأمومة كما يدل على ذلك كتاب الله وسنة نبيه الكريم.

المطلب الأول: الأمومة فطرة وغريزة

كشفت الدراسات العلمية الحديثة، أن الأمومة مطلب طبيعي ينطوي به جسد المرأة، وتتفصّح عنه ميولها النفسيّة، ومشاعرها الدفينة، فقد أثبتت "الدراسات العضوية الحديثة أن هناك إفرازات هرمونية لدى المرأة تثبت ميلها للأطفال ورعايتهم، وقد تم إجراء التجارب المعملية على الحيوانات والقردة، كما تم إثارة العذراء به لتحس بعاطفة المحبة للطفل والعناية به، مما يدل على أن دافع الأمومة له ارتباط بجوانب عضوية، بالإضافة إلى ما يمكن أن يكون من دوافع نفسية أو مكتسبة"⁸³، وفي دراسة ميدانية تم القيام بها في تونس حول ظاهرة انعدام الأمومة تبين أنه: "لا يوجد إطلاقاً امرأة واحدة متزوجة وعديمة الأمومة-من ضمن العينة المدروسة- مهما كان سنهما ومدة زواجهما، وبقطع النظر عن الحالة الخصوبية لها، وقدراتها الفيزيولوجية لا ترغب في الإنجاب"⁸⁴، مما يؤكد أن الأمومة حاجة طبيعية وفطرية، تشتراك في التوق إليها كل النساء على اختلاف اهتماماتهن، وأنشطتهن، ومستوياتهن التعليمية والمعرفية⁸⁵، وما التطور الحاصل اليوم في أشكال وأساليب الطب في مواجهة العقم، إلا استجابة لهذا الاحتياج البشري الملح، عند المرأة خاصة.

وقد أشار القرآن إلى الطبيعة البشرية المتطلعه للولد في قوله: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)⁸⁶، وقال أيضاً: (زين للناس حب الشهوات

⁸³- د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطروودي "الإنسان، وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم"، (مصر: مكتبة وهبة، ط: 1410، 1، 1990 هـ) ص: 276.

⁸⁴- بدر السلام الحاج على "انعدام الأمومة بتونس" (مقال ضمن أعمال الملتقى القرمي حول الخصوبة بتونس) ص: 11-12.

⁸⁵- لا تنفي هذه القاعدة احتمالات وجود شذوذ عنها لا يعدو أن يكون شذوذًا مثباً للقاعدة.

⁸⁶- الكهف: 45.

من النساء والبنين)⁸⁷ ، ووصف سبحانه تعلق الأنبياء— وهم على ما هم عليه من الزهد في الدنيا وزينتها— بطلب الذرية، وفرحهم باستجابة الله لهم في هذا الشأن.

فهذا زكريا يسأل ربه: (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة، إنك سميع الدعاء)، وفي موضع آخر يقول متضرعاً: (رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين) ، وكذلك بشر الله إبراهيم فقالت له الملائكة: (إنا نبشرك بغلام عظيم) ... فإذا كانت هذه بعض الأمثلة الدالة على أن طلب الولد طبيعة بشرية يشترك فيها الرجال والنساء، فإن كتاب الله قد أشار إشارات لطيفة تجلّي مظاهر التعلق المتميز للمرأة بالولد، والذي لا شك يختلف بقدر عن تعلق الرجال بهذه النعمة، وذلك بحكم خصوصية التشبيث الشديد للمرأة بالأمومة بمقتضى الطبيعة والفطرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

قال سبحانه في وصف مظاهر أهوال القيامة: (يوم ترونها تذهب كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها)⁸⁸ ، وهو الأمر الذي لا يكون بحكم العادة الجارية— في غير هذا اليوم— المتمثلة في تعلق المرضعة برضيعها والحاملة بجنبها، قوله سبحانه: "ذات حمل أبلغ في التهويل من حامل أو حاملة، لإشعاره بالصحبة المشعرة بالملازمة"⁸⁹ ، فالأم حريرة على جنينها، غير راغبة بوضعه قبل استيفاء مدة. وفي الحديث عن عمر بن الخطاب أنه "قدم على النبي سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحليب ثدييها تسقي، إذا وجدت صبياً أخذته فألصقته بيطنها"⁹⁰ " وعرف من سياقه أنها كانت فقدت صبيها وتضررت باجتماع اللبن في ثديها، فكانت إذا وجدت صبياً أرضعته ليخفف عنها، فلما وجدت

.87 - آل عمران: 14.

.88 - آل عمران: 38.

.89 - الأنبياء: 88.

.90 - الحجر: 53.

.91 - تسلي عنده وترتكه.

.92 - الحج: 2.

.93 - روح المعاني، ج: 17 ص: 112.

.94 - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

صبيها بعينه أخذته فالتزمه⁹⁵، وفي الحديث مزيد بيان لعلة تعلق المرض برضياعها من الناحية البيولوجية والنفسية.

وفي القرآن الكريم أيضاً يستوقفنا وصفه تعالى لحال أم موسى لفقد ولدها حيث قال عز وجل : (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا⁹⁶ ، قيل: "أي صفراً من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون"⁹⁷ ، وقيل "فارغاً من كل شيء في الدنيا إلا ذكر موسى صلى الله عليه وسلم"⁹⁸ ، وكل ذلك دال على شدة الوجد واللهفة على الطفل المفقود).

وقريب منه قوله سبحانه (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن)⁹⁹ ، فبين أن حالها لو لم يرجع إليها ولدها هو الحزن الشديد ، والدموع الحارة الدالة عليه؛ إذ معنى قولهم: "أقر الله عينك، أبرد الله دموعك، لأن دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة"¹⁰⁰ .

وذكر سبحانه قول آسية امرأة فرعون الدال على شغفها بأن يكون لها ولد؛ "وكانت لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها"¹⁰¹ ، قال سبحانه على لسانها : (قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخدذه ولدا¹⁰² ، وروي أن فرعون قال لها: "قرة عين لك نعم، أما لي فلا"¹⁰³ ، وإذا كان كفر فرعون، وقسوة قلبه على بني إسرائيل قد منعاه من أن يرى في موسى قرة عين، فإن رأفة الأمة، ولو عنة الحرمان منها، شدت امرأته إلى موسى عليه السلام.

95- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

96- الفحص : 9

97- تفسير البيضاوي، ج: 4، ص: 284.

98- معاني القرآن، ج: 5، ص: 160.

99- طـ: 40.

100- التبيان في تفسير غريب القرآن، ج: 1، ص: 326.

101- تفسير القرطبي: ج 11، ص: 253.

102- الفحص : 8، ولانا أن نتأمل في إضافة عبارة (قرة عين لي ولك) في قول امرأة فرعون في شأن موسى، وفي حين لإنجذها في قول العزيز في شأن يوسف حيث قال: (عسى أن ينفعنا أو نتخدذه ولدا) يوسف: 21.

103- تفسير القرطبي، ج: 11 ، ص: 197.

وهو نفس الدافع للانفعال الشديد الذي أظهرته زوجه إبراهيم بعد بتبشير الملائكة لها بالولد، قال سبحانه: (فأقبلت امرأته في صرة، فصكت وجهها، وقالت عجوز عقيم)¹⁰⁴، وعلى ما في الآية من الدلالة على التعجب من قدرة الله تعالى، فإنها لا تخلو من إثبات حالة التشوق الدائم لدى المرأة إلى الأومة، فلا تزهد فيها أبداً، وإن بلغت من السن ما بلغته زوجة إبراهيم عليه السلام.

وفي الحديث النبوى التالى ما يؤكد حقيقة الارتباط الفطري بين المرأة والأومة، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها"¹⁰⁵، وبينت أحاديث أخرى أن عطف الوالدة على المولود ظاهرة ترتبط بغير البشر من الكائنات، مما يؤكد بعدها الغرزي، فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق حاجته، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من فجع هذه بولدها، ردوا ولدها إليها"¹⁰⁶، وفي حديث عمر ابن الخطاب الذى سبق إيراده أن امرأة من السبي فقدت صبياً لها، فإذا وجدته أصلقته ببطنها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "أترون هذه طارحة ولدها في النار، قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه"¹⁰⁷، أي كان جوابهم استحالة أن تفعل الأم ذلك إلا إذا كانت مكرهة، وفي حديث آخر روى رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمة سليمان باستعماله لهذه القاعدة - (قاعدة الارتباط الفطري بين الأم وأولادها) - لبلوغ العدل في قضية عرضت عليه، فعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

¹⁰⁴- الذاريات: 29، انظر أيضاً تخصيصها بقوله تعالى: (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب).

¹⁰⁵- صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

¹⁰⁶- حمرة: طائر صغير كالعصافير.

¹⁰⁷- تفرش: تترفف بأجنحتها.

¹⁰⁸- سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار.

¹⁰⁹- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

”خرجت امرأتان معهما صبيان لهما، فعدا الذئب على إحداهما فأخذ ولدها، فأصبحتا تختصمان في الصبي الباقى إلى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى منهما، فمرتا على سليمان، فقال كيف أمركما، فقضتنا عليه فقال ائتونى بالسكين أشق الغلام بينكمَا، فقالت الصغرى، أتشقه؟ قال: نعم، قالت لا تفعل حظي منه لها، قال هو ابنك، فقضى به لها“.¹¹⁰

وإذا كانت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المذكورة تعكس تلازم هذا الدين الحنيف والفطرة السليمية النقية، كما يدل عليه قوله سبحانه (فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)¹¹¹، فكيف دعا الدين الحنيف إلى المحافظة على هذه الفطرة وصيانتها؟ وما هي صور تكريم الأمة في الإسلام؛ ذلك ما ستجليه المطالب اللاحقة بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني: مظاهر تكريم الأمة في القرآن والسنة

إن كان من تكريم بشري للأمة فهو ذلك العرفان المثبت على صفحات الدواوين، بما جادت به أقلام الشعراء، والبلغاء في وصف فضل الأم على البشرية، وهو ذاك الوفاء للأم الذي يوفق له الله من حفظ عليهم فطرتهم من الناس على اختلاف معتقداتهم وانتماءاتهم الثقافية والحضارية.

أما التكريم على مستوى التشريع فلا نجد جلياً ظاهراً بمستوى ظهوره في كتاب الله وسنة نبيه تذكيراً بفضل الأمهات، وتوجيهها إلى حجم العناية المطلوبة لهن، وتنصيصاً على الحقوق المطلوب تنفيذها لهن من قبل الأولاد خاصة والمجتمع عامة.

ورغم الطفرة القانونية التي عرفها المجتمع الدولي خلال القرن الأخير، فإن الاهتمام بالأمة لم يبدأ إلا سنة 1948 مع الإعلان العالمي

¹¹⁰- سنن النسائي، كتاب أدب القضاة، باب السعة للحاكم في أن يقول للشيء الذي لا يفعله أ فعله.
¹¹¹- الروم: 29.

لحقوق الإنسان، حيث نصت الفقرة الثانية من المادة الخامسة والعشرين على أن : "للأمة والطفلة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين"¹¹² ، ولاقتران الأمة بالطفلة ما يفسره باعتبار ظاهرة الأمة لم تحظ بالاهتمام الكافي، بل استرعت اهتماماً محدوداً من قبل demographers بالعالم خاصة، لأن شغالهم بدارستها فقط باعتبارها متعلقة بالسلوك الإيجابي المؤثر في النمو demographic كظاهرة لها أثر مباشر على الوضع الاقتصادي¹¹³ ، وكثيراً ما تركز تقارير الأمم المتحدة على التأثير السلبي للأمة بظاهرة الإنجاب المبكر، أو الحمل المبكر ...، مما نتج عنه نوع من التركيز على أهمية "الصحة الإيجابية" في رعاية الأمة، مع تقصير في الإحاطة بمظاهر التكريم الأخرى المطلوبة، والتي تتعدد أبعادها فتتعلق بالقيم الثقافية، والاجتماعية، والأخلاقية والدينية... .

وفي القرآن والسنة إشارات تفي بغرض تكريم الأمة لذاتها، تحتاج إلى مزيد جهد للاسترشاد بها قصد استنباط أحكام تشريعية كفيلة بتجليل قيمة الإسلام في تكريم الأم والأمة، وهو الغرض الذي لا تفي به بعد قوانين المجتمعات الإسلامية لحد الآن بالنظر إلى التحولات الاجتماعية التي عرفتها هذه الأخيرة في علاقتها بوضعية المرأة خاصة، في حين استطاعت القوانين الغربية بشكل عام أن "تضمن للحامل والوالدة رعاية سابقة منذ بدء الحمل إلى ما بعد الولادة، وتتكلف بجميع نفقات رعاية الحوامل بما فيها نفقات الولادة، وكل ما يحتاجه الطفل من نفقات"¹¹⁵ ، ولا يخفى على أحد الخلفية الاقتصادية الميسرة والمؤطرة لهذا المستوى من الرعاية المادية للأم في المجتمعات الغربية، وعلى رأسها التشجيع على الإنجاب في المجتمعات شاخت بنيتها demografique، وأدى شيوع قيم الاستهلاك فيها، إلى نزوع الناس للانغماس في الشهوات

¹¹². محمد عبد الجود محمد "حماية الأمة والطفلة في المواثيق الدولية والشريعة الإسلامية"، ص:27.

¹¹³. بدر السلام الحاج على "انعدام الأمة بتونس"، ص: 12-11.

¹¹⁴. انظر محمد عبد الجود "حماية الأمة والطفلة في المواثيق الدولية والشريعة الإسلامية"، ص: 92-91.

¹¹⁵. "حماية الأمة والطفلة في المواثيق الدولية والشريعة الإسلامية"، ص: 77.

والملذات، بما يستتبع ذلك من رغبة في التخلل من الواجبات والمسؤوليات التي يفرضها الزواج، والإنجاب...¹¹⁶

فما هي مظاهر الثراء في القيم المتعلقة بتكريم الأمومة في القرآن والسنة؟ وإلى أي حد يمكن أن تغنى مبادئ الدين الحنيف القوانين البشرية بالأبعاد المطلوبة لوظيفة الأمومة؟¹¹⁷

إن أول ما يستوقف المتذر لآيات الذكر الحكيم، هو التطرق لظاهرة الأمومة ضمن عرضه تعالى "الحقيقة الأولى، والحقيقة الكبرى، والحقيقة الأساسية، والحقيقة الفاعلة، والحقيقة العميقة في التصور الإسلامي"¹¹⁸، وهي حقيقة الألوهية، ولذلك كان كل ما دل عليها من حجج وبراهين عظيمة بعظمتها، وكل أسرار الكون والحياة والإنسان آيات دالة على هذه الحقيقة الكبرى، وما دعوته تعالى الإنسان للاستدلال على قدرته عز وجل من خلالها إلا تنبيه على أهميتها، وفضل سبر أغوارها، هكذا يتجلى الاعتناء الإلهي بأحد المراكز المهمة في الاستدلال على عظمته وقدرته ووحدانيته؛ رحم المرأة كعالِم من الأسرار لا يطلع عليها إلا رب الخليقة قال سبحانه: (الله يعلم ما تحمل كل أنسى، وما تغيب به الأرحام وما تزداد)¹¹⁹ ، ويقول أيضاً: (وما تحمل من أنسى ولا تضع إلا بعلمه)، ورحم المرأة مصنع البشرية، وأول عهد الناس بالوجود؛ قال عز من قائل: (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث)¹²⁰ ، ورحم المرأة هو المحضن الذي ضم وحوى الإنسان على عجزه وجهله، قال سبحانه: (الله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً)¹²¹ ، ولا يليث سبحانه مذكراً للإنسان بالعلاقة بين نشأته الأولى والثانية، فالنشأة الأولى خلق الإنسان من عدم، والثانية خلق الإنسان في بطن أمه، قال تعالى: (وهو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذاً أنتم أجنة في بطون

¹¹⁶- سيد قطب "مقومات التصور الإسلامي"، (دار الشروق، ط:4، 1414 هـ، 1993م) ص: 189.

¹¹⁷- الرعد: 9.

¹¹⁸- فصلت: 47.

¹¹⁹- الزمر: 7.

¹²⁰- النحل: 78.

أمهاتكم¹²¹ ... بهذه العناية الفائقة، يعرض القرآن الكريم لظاهرة الأمة كأول حلقات الاستدلال على قدرته عز وجل عند التأمل في مسيرة الإنسان منذ قدر الله له أن يكون موجوداً في هذه الحياة، وفي الحديث القدسي ما يذكر الدلالات الرمزية لقيمة الرحمة كمستقر ومستودع للنطفة، والعلقة والمضغة، ومنه ما رواه صلى الله عليه وسلم عن ربه قوله: "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة"¹²² ، ويزيد الرحمن شرفاً قوله تعالى فيما رواه عنه صفيه وخليله: "أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحيم، وشقت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته"¹²³ ، ولا تخفي الإشارة الضمنية لتعظيم الرحيم كأصل لهذه الروابط النسبية، والقرابات العائلية التي يأمر المسلم بأداء حقوقها بحق الرحمن الجامع، فهي "قراة ونسبة تجمعه رحم والدة، ويتصل بعضه ببعض فيسمى ذلك الاتصال رحما"¹²⁴.

والعلاقة بين الرحيم والرحمة بادية ظاهرة، زادها العلم وضوحاً، وتكشفت معلنـة فضل الأمة على الإنسان، وقبلها فضل الله علىبني البشر بالرحم الحاني: "ويتقدم علم الأجنة فيكشف لنا في عملية الحمل عن جسامـة التضحية ونبـلها في صورة حسـية مؤثـرة"¹²⁵ تبدأ مع رحلة البويضة الملقحة، وهي رحلة يأخذ فيها هذا الجنين بلا حساب، وتعطي خلالها الأم بلا حساب، وتنتهي بعملية الوضع الشاقة، والتي تعتبر آلامـها من أشد الآلام الإنسانية حسـياً، ولم يغفل رب العزة أن يسجل تحمل الأم لهذه المعانـاة، كـي لا ينسـاه غافـل، ولا يغـيب عن ذهن مؤـمن ما رجـع إلى كتاب الله يستـنير به في حـياتـه، فقال سبحانه ووصـينا إـنسـانـ بوـالـيـه إـحسـانـاـ، حـملـتـه أـمـهـ كـرـهاـ وـوضـعـتـهـ كـرـهاـ، وـحملـهـ وـفـصـالـهـ ثـلـاثـونـ

¹²¹. النجم: 32.

¹²². صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأنمي في بطن أمه.

¹²³. سنن الترمذـيـ، كتاب البر والصلةـ، بـابـ ما جاءـ فيـ قـطـيعـةـ الـرـحـمـ.

¹²⁴. قول القاضـيـ عـيـاضـ، نقـلـهـ صـاحـبـ صـحـيقـ مـسـلـمـ بـشـرـحـ التـوـيـ، كتابـ البرـ والـصـلـةـ وـالـأـدـابـ، بـابـ صـلـةـ الـرـحـمـ وـتـحـريـمـ قـطـيعـتهاـ.

¹²⁵. تفسـيرـ الـظـلـالـ، جـ4ـ، صـ3262ـ.

شهر) ¹²⁶، وفي آية أخرى (ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهذا على وهن، وفالله في عامين، أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير) ¹²⁷، وقد استوقف العلماء اعتراضه تعالى للوصية العامة بالوالدين بتخصيص الأم بالذكر، فقالوا: "ومن الاعتراض الذي هو في أعلى درجات الحسن قوله تعالى: (ووصينا إنسان بوالديه حملته أمه وهذا على وهن وفالله في عامين أن اشكر لي ولوالديك) فاعتراض بذكر شأن حمله ووضعه بين الوصية والموصى به، تأكيدا لأمر الوصية بالوالدة التي هذا شأنها، وتذكيرا بحقها وما قاسته من حمله ووضعه مما لم يتكلفه الأب" ¹²⁸، وفي الحديث النبوي الشريف ما يؤكّد هذا التقديم لحق الأم على حق الأب، ومن ذلك ما جاء من التوصية بالأم ثلاثة وبالأب مرة، ويظهر ذلك في تخصيصه صلى الله عليه وسلم للأم بالذكر في تحريم العقوق، فقال عليه السلام: "إن الله حرم عليكم عقوبة الأمهات..." ¹²⁹، فإذا كان تخصيص الشيء بالذكر إظهار لعظم موقعه ¹³⁰، فإن في تخصيص الأمهات بالذكر إضافة إلى ذلك "بياناً لكون بر الأم مقدم على بر الأب في التلطف والحنو ونحو ذلك" ¹³¹، وعقوبة الأمهات "من الكبائر بإجماع العلماء، وإنما تظاهرت الأحاديث الصحيحة على عده من الكبائر، وكذلك عقوبة الآباء، وإنما اقتصر هنا على الأمهات لأن حرمتهن أشد من حرمة الآباء" ¹³² ولعل في جواب ابن عمر على سؤال اليمني الذي كان يطوف بالبيت حاملاً أمه، يقول "إني لها بغيرها المذل إن أذعرت ركابها لم أذعر، أتراني جزيتها؟ فأجابه ابن عمر: لا ولا بزفراة واحدة واحدة" ¹³³ ما يدل على استيعابه للمقصود من تنبئه القرآن والسنة إلى تلك "التضحيّة النبيلة الكريمة الواهبة

126- الأحقاف: 14.
127- لفمان: 14.

128- التبيان في أقسام القرآن"، ج: 1، ص: 140، انظر أيضاً "البرهان في علوم القرآن"، ج: 1، ص: 140.
129- صحيح البخاري، كتاب في الاستقرار وأداء الديون والحجر والتقليس، باب ما ينهى عن إضاعة المال.

130- فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب في الاستقرار وأداء الديون والحجر والتقليس، باب ما ينهى عن إضاعة المال.
131- نفسه.

132- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة.
133- البخاري "الادب المفرد"، ص: 18.

التي تتقدم بها الأئمة، والتي لا يجزيها أبداً إحسان من الأولاد مهما أحسنوا القيام بوصية الله في الوالدين¹³⁴، والأحاديث في فضل بر الوالدين وبر الأم خاصة ولو كانت كافرة كثيرة، وقد وفى العلماء في جمعها في أبواب الفقه، والأخلاق والآداب.

وقد عرض الله سبحانه في قصص الأنبياء لظاهر تكفله بنفسه برعاية أمهات ذكرن في القرآن، كي يعتبر المعتبر، فيحرص على محاولة الاقتداء بالله تعالى في تكرييم الأمهات، ومن أوجه رعايته سبحانه لنفسية الأم ومشاعرها؛ قوله سبحانه مبيناً علة إرجاع موسى إلى أمه: (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن)¹³⁵، وفي آية أخرى (فردناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن، وتعلم أن وعد الله حق)¹³⁶، ولمثل هذه العلة قال صلى الله عليه وسلم : "من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيمة"¹³⁷ – وقد استفاد العلماء من الحديث تحريم التفريق بين الجارية وولدها بالبيع، وتحريم التفريق لغير هذا السبب وارد من باب أولى –، ولثلثها قال عليه السلام : "إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي، فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه"¹³⁸.

وما السلوى التي لقيتها مريم عليه السلام أثناء لحظات الوضع، إلا دليل على هذه العناية الربانية، وتوجيهه إلى منهج الاعتناء بالأم معنوياً ومادياً في أكثر لحظات احتياجها للدعم النفسي والمادي، فقد أنطق الله عيسى عليه السلام مواسياً، وطمئنها لمريم، ومبشراً لها بما ساق الله لها من رزق وخير، قال عز وجل : (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتَهَا أَلَا تَحْزِنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكَ سَرِيبًا، وَهَزَى إِلَيْكَ بِجُذُعِ النَّخْلَةِ تَساقَطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيَا، فَكَلَى وَاشْرَبَى وَقَرِيَ عَيْنَا إِمَّا تَرَبَّى مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتَ

. 134- تفسير الظلال: ج 4، ص 3262.

. 135- طه: 40.

. 136- القصص: 12.

. 137- سنن الترمذى، كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهة الفرق بين الآخرين أو بين الوالدة وولدها.

. 138- صحيح البخارى، كتاب الآداب، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي.

للحرمان صوما فلن أكلم اليوم إنسيًا¹³⁹، ومن المعلوم أن الطعام الحلو، والرطب خاصة يعمل على تعويض الطاقة في الجسم بأسرع وجه، وفيه إشارة إلى الرعاية الصحية، المطلوبة للنساء.

فليس بداعا بعد كل ما نص عليه القرآن الكريم من مشاق الحمل والوضع والولادة، أن تنزل المرأة مقاما عاليا في التكريم، بأن يلحقها الموت عند الوضع بعداد الشهداء: قال صلى الله عليه وسلم : "خمس من قبض في شيء منهن فهو شهيد؛ المقتول في سبيل الله شهيد، والغرق في سبيل الله شهيد، والمبطون في سبيل الله شهيد، والمطعون في سبيل الله شهيد، والنفساء في سبيل الله شهيد"¹⁴⁰، وفي رواية أحمد "والنساء شهادة"¹⁴¹.

والرخص الشرعية التي خصت بها الحامل والنساء دليل آخر، ومظهر ينضاف إلى ما ذكر في سياق تكريم الأئمة في الإسلام، ومن ذلك إعفاء النساء من حق الله الخالص المعمول في الصلاة مدة أربعين يوما، فقد أجمع أهل العلم من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والتبعين ومن بعدهم، أن النساء تدع الصلاة أربعين يوما¹⁴²، ويلحق بالنفاس الطلاق، فلا تصلي المرأة إذا رأت الدم عند الطلاق فهو من النفاس¹⁴³، ويتم تأخير تطبيق الحد على الحامل، والمرضع، والنساء، بل تعفى المرأة الحامل أو المرضع من الصيام لمجرد الخوف على أنفسهن لقول: "الحسن وإبراهيم في المرض أو الحامل إذا خافت على أنفسهما تفطران ثم تقضيان"¹⁴⁴، ومن الأحكام الشرعية المثبتة لحقوق الأئمة، حق المطلقة الحامل في النفقه إلى حين وضع حملها، لقوله تعالى: (إِن كُنْ أَوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضْعُنَ حَمْلَهُنَّ، فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَاتَّمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ)¹⁴⁵، وهذه الأحكام أوردتها على سبيل المثال لا

139- مريم: 23-24-25.¹⁴⁰

141- سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب مسألة الشهادة.

142- مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، باب مسند أبي هريرة.

143- سنن الترمذى، كتاب الطهارة عن رسول الله، باب ما جاء في كم تمكث النساء.

144- سنن الدارمى، كتاب الطهارة، باب وقت النساء وما قبل فيه.

145- صحيح البخارى، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر).

6- الطلاق:

الحصر، وكفى الأم فضلاً في الإسلام أن يكون براً بـهـا بل بـرـ من تعلقـ بـهاـ من مـكـفـراتـ الذـنـوبـ، فقد جاءـ رـجـلـ إلىـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـقـالـ: "إـنـيـ أـصـبـتـ ذـنـبـاـ عـظـيمـاـ، فـهـلـ لـيـ تـوـبـةـ؟ فـقـالـ: هـلـ لـكـ مـنـ أـمـ؟ قـالـ: لاـ، قـالـ هـلـ لـكـ مـنـ خـالـةـ؟ قـالـ: نـعـمـ، قـالـ فـبـرـهـاـ".¹⁴⁶

ويـبـقـيـ السـؤـالـ إـلـىـ أـيـ أـحـدـ اـسـتـطـاعـ الـمـسـلـمـونـ الـيـوـمـ اـسـتـثـمـارـ هـذـهـ الـقـيـمـ، وـتـرـجـمـتـهـ إـلـىـ بـنـوـ وـأـحـكـامـ تـفـيـ بـغـرـضـ تـكـرـيمـ الـأـمـوـمـةـ فـيـ مـجـتمـعـاتـنـاـ؟ـ وإـلـىـ أـنـ يـحـيـنـ وـقـتـ الـجـوـابـ عـنـ هـذـاـ السـؤـالـ فـيـ ظـرـفـ تـسـتـقـيمـ فـيـ أـحـوـالـ الـأـمـةـ سـيـاسـيـاـ، وـاقـتصـادـيـاـ، وـفـكـرـيـاـ وـ ثـقـافـيـاـ، سـأـكـتـفـيـ بـعـرـضـ مـضـمـونـ وـظـيـفـةـ الـأـمـوـمـةـ، كـمـ يـطـلـبـ مـنـ الـمـسـلـمـةـ أـنـ تـقـومـ بـهـ، لـعـلـهـ يـكـوـنـ بـدـاـيـةـ الـخـطـوـ نـحـوـ إـعـادـةـ الـاعـتـباـرـ لـهـذـهـ الـوـظـيـفـةـ الـجـسـيـمـةـ، وـعـسـاهـ يـنـتـجـ أـجيـالـ قـادـرـةـ عـلـىـ إـيجـادـ الـظـرـوفـ الـمـوـاتـيـةـ لـإـعـادـةـ الـأـمـورـ إـلـىـ نـصـابـهـاـ، فـتـنـطـلـقـ الـقـيـمـ لـتـعـبـرـ عـنـ نـفـسـهـاـ مـنـسـابـةـ فـيـ تـنـاغـمـ كـاـمـلـ بـيـنـ مـسـتـوـيـاتـ الـحـيـاـةـ فـكـراـ وـتـنـظـيـمـاـ وـمـمارـسـةـ.

المطلب الثالث: واجبات الأمة

يعـتـبـرـ حـفـظـ النـسـلـ منـ أـهـمـ مـقـاصـدـ الشـرـيـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ، فـهـذـهـ الـأـخـيـرـةـ طـافـحةـ بـالـمـرـغـبـاتـ فـيـ الزـوـاجـ كـطـرـيـقـ مـأـمـونـ يـحـفـظـ نـسـلـ الـأـمـةـ وـتـصـانـ بـهـ أـعـرـاضـهـاـ، وـالـتـكـاثـرـ وـالـتـنـاسـلـ وـالـتـوـالـدـ ثـمـرـةـ طـبـيـعـيـةـ لـلـزـوـاجـ، وـمـطـلـبـ شـرـعـيـ

يـنـضـافـ لـلـتـرـغـيـبـ فـيـ النـكـاحـ بـقـصـدـ ضـمـانـ اـسـتـمـارـيـةـ الـأـمـةـ الـإـسـلـامـيـةـ باـعـتـبارـهـاـ صـاحـبـةـ الرـسـالـةـ الـخـاتـمـةـ، وـهـوـ ماـ تـكـفـلـ اللهـ بـهـ دونـ أـنـ يـغـنـيـ

ذـكـ عنـ وـجـوبـ أـخـذـ أـفـرـادـ هـذـهـ الـأـمـةـ بـأـسـبـابـ ذـكـ وـهـوـ شـرـفـ لـهـمـ، وـاـمـتـشـالـ لـمـ دـعـاـ لـهـ سـيـدـ الـمـرـسـلـيـنـ، وـمـنـهـ تـكـثـيرـ سـوـادـ الـأـمـةـ.

وـالـمـرأـةـ الـمـسـلـمـةـ مـطـالـبـةـ بـأـنـ تـزـيدـ إـلـىـ دـافـعـ فـطـرـةـ الـأـمـوـمـةـ، دـافـعـ الـاـسـتـجـابـةـ لـدـعـوـةـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـتـكـثـيرـ سـوـادـ الـأـمـةـ، قـالـ الـقـرـطـبـيـ: "وـالـأـخـبـارـ فـيـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ كـثـيـرـةـ، تـحـثـ عـلـىـ التـوـالـدـ وـتـنـدـبـ إـلـيـهـ،

¹⁴⁶ - سنن الترمذى، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في بر الخالة.

لما يرجوه الإنسان من نفعه في حياته وبعد موته"¹⁴⁷ ، وقد ورد من الأحاديث في هذا الشأن الكثير: " جاء في السنن من غير وجه ما يفيد ترغيبه صلى الله عليه وسلم في طلب الولد"¹⁴⁸ ، ومن ذلك أن كان من دعائه صلى الله عليه وسلم لأنس قوله: " اللهم أكثر ماله وولده" ،¹⁴⁹ وورد أنه نهى أحدهم العزل لغير مفسدة ظاهرة، إذ جاء رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: " يا رسول الله إني أعزل عن امرأتي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تفعل ذلك قال: شفقا على ولدتها أو على أولادها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كان ذلك ضارا ضر فارس والروم"¹⁵⁰ ، ومن أشهر الأحاديث في باب الترغيب في طلب الولد: ما رواه أبو داود من أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إني أصبحت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد فأفتزوجها، قال لا، ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة، فقال تزوجوا الولدون الولد" ¹⁵¹ فإني

147- تفسير القرطبي: ج 4 ص 73.

148- ابن كثير، ج 3، ص: 287. (بتصريف).

149- صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول الله تعالى وصل عليهم، و من خص أخيه بالدعاء.

150- صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب جواز العيلية و كراهة العزل، وفي رواية أحمد قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " إن كان كذلك فلا ما ضار ذلك فارس والروم" ، مسند أحمد، كتاب مسند الأنصار، باب حديث أسماء بن زيد.

151- تجر الإشارة إلى أنه قد ساد في بعض الاستنباطات من الحديث سوء فهم مردود، يتمثل في التغافل من الزواج من المرأة العقيم كما يدل ذلك ما عنون به أبو داود للباب الذي أورد به الحديث المذكور، فقال: "النبي عن تزويج من لم يلد من النساء، ومثله قول صاحب فتح الباري: "سوء المرأة عقم رحمها" ، ومثل هذا كثير في كتب الفقه والحديث، وقد زكاه التساهل في استعمال الأحاديث الصاغية والموضوعة في هذا الباب، وأنذر منها: دعوا الحسناء العاقر وتزوجوا السوداء الولود/دوا الحسناء العقيم وعليكم بالسوداء الولود/ لا أخبركم بنسانكم من أهل الجنينة السوداء الولود/ لا تزوجوا عجوزا ولا عاقرا / لحصیر في ناحية البيت خير من المرأة لا تلد/ امرأة ولود أحب إلى الله من حسنة لا تلد/ لا تزوجن عاقرا ولا عجوزا... ، ولا يخفى ما في هذا المعنى من إيداع نفسى للمرأة المحرومة من الإنجاب لا يليق بتکريم الإسلام للإنسان عموما، لاسيما أن القمع ظاهرة يشترک فيها الرجل والمرأة، بدليل قوله تعالى: (يجعل من يشاء فقيما) الشورى: 50، وقد رأى العلماء أن عقم الرجل " ليس بعيوب بخيار، ولا يجب إخبار الزوجة به لأنها لا يقطع به فعله يولد له من هذه وإن لم يولد له من غيرها". (مواهب الجليل، ج 3 ص: 404)، بينما رأوا عقم المرأة بغيرها، والحق أن صيغة الولود في الحديث توحى بما فهم منه، مما يضعنا أمام الإشكال التالي، إذ لو صح أن المقصود تزوجوا المرأة التي تلد، ودعوا المرأة العقيم خاصة إذا كانت بكرًا، ككيف يمكن معفة المرأة الولود من غيرها قبل الزواج، وقد رفع أغلب العلماء هذا الأمر بقولهم يعرف هذا الأمر من أقرب المرأة، وهو ما لا يطرد علميا، قال صاحب عون المعبود: "ويعرف هذان الوصفان (الولود والولود) من الأيكار من أقربهن، إذ الغالب سوابية طباع الأقارب بعضهن إلى بعض، ويحملن والله تعالى أعلم أن يكون معنى تزوجوا الثبتو على زواجهما وبقاء نكاحها إذا كانت موصوفة بهذه الوصفين، قاله في المرقة". (عون المعبود: ج 6 ص: 34)، ويرجح عندي أن المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم تزوجوا من لا تألف من الولادة، فتكون ولودا بالقيقة، كما يقول الفلاسفة، وهو ما يرفع التناقض بين السياق المقصود من الحديث، وهو الترغيب في النكاح والنهي عن التبليـلـ لأن الزاهد في الزواج زاهد في الولد وهو ما لا يقبل بمقتضى ما أمر به صلى الله عليه وسلم من تكثير سوء الأمـةـ - وبين سنته الفعلية الكامنة في عدم اعتباره لهذا المحدد

مكاثر بكم الأمم”¹⁵² ، وفي ذلك نهي عن تقديم الجاه والجمال على قصد التنازل عند الإقدام على الزواج، ونقل عن عمر ابن الخطاب قوله مبيناً دافعه للزواج تأثراً بقوله صلى الله عليه وسلم ”إنى مكاثر بكم الأمم“: ”إنى لأتزوج المرأة وما لي فيها من حاجة، وأطؤها وما أشتته بها، قيل له وما يحملك على ذلك يا أمير المؤمنين، قال حبي أن يخرج مني من يكاثر به النبي صلى الله عليه وسلم النبيين يوم القيمة“¹⁵³ ، وعلى ما في قول عمر – إن صحي – من المبالغة فإنه يعكس درجة الاستيعاب لقصد الرسول صلى الله عليه وسلم المتمثل في تكثير أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الصالحين المصلحين ممن يحق له أن يتباها بهم، وبالحالهم، وبانتمائهم لهذه الأمة يوم العرض الأكبر، والمرأة المسلمة مطالبة أكثر من غيرها – لأنها المعنية بتحمل مشاق الأمة ومتاعبها – بتلبية نداء الرسول الكريم في هذا الشأن، ليغدو قيامها بوظيفة الأمة، وجهاً من أوجه الإحسان في أداء وظيفة العبادة، ومظهراً من مظاهر السبق في اجتياز الامتحان كما سبق توضيح ذلك في مبحث العبادة، فلا تستوي – مثلاً – امرأة تستجيب للقيام بوظيفة الأمة بمقتضى الغريزة الفطرية، وتكتفي بذلك بما يشبع حاجتها هي إلى أن تكون أماً فيغنيها ذلك عن طلب الولد المرأة والأخرى مفضلة الاقتصاد في الجهد البدني، ومتارتفاعة عن ضرائب الاستنزاف الذي تفرضها وظيفة الأمة، وامرأة تستجيب للقيام بوظيفة الأمة بمقتضى الغريزة الفطرة، وقليله بمقتضى الإيمان بما عليها من واجب ضخ الدماء في شرایین الأمة، إسهاماً منها في تكثير الأفراد الصالحين، القادرین على حمل مشعل خلافة الصالحين لله في الأرض، (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ¹⁵⁴.

فيمن أقبل على الزواج منهن، ولم يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقص من شأن إحدى زوجاته لعدم إنجابهن، ولم تل له إلا خديجة. والخلاصة أن العقْد أمر الله يصيّب به من يشاء من عباده، ومن أصول الدين أن لا نحاسب أحداً بما كتبه الله عليه، وهذا لا يتعارض مع ترغيبه صلى الله عليه وسلم الأمة ذكوراً وإناثاً في الإنجاب، ونهيه عن أن يزهد أحدهما في الولد إلا لعذر لأن ذلك لا يستقيم مع مقتضيات إشاعة خير هذه الأمة.

¹⁵²- سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويع من لم يلد من النساء.

¹⁵³- تفسير القرطبي، ج 9، ص: 328.

¹⁵⁴- الأنبياء: 104.

والنية الصالحة، وإخلاص القصد عنصر لـأداء وظيفة الأئمة
باعتبارها عبادة تتوجه بها المرأة المسلمة لله تعالى، وقد أشاد الله سبحانه
بامرأة عمران فخلد ذكرها، ورزقها من كرامات الذرية ما لم ينزله أحد،
بسبب ما أبدته من إخلاص القصد كما دل عليه قوله تعالى: (إذ قالت
امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطيء محررا)¹⁵⁵ ، أي خالصاً لك،
وقيل هو " وعد بإنشائه على العبادة" ¹⁵⁶، وسيطير امرأة عمران هو المنهج
المطلوب في صفات المؤمنين، وهو السبيل لتحقيق قصد الله من الخلق كما
سبق بيانيه، مصداقاً لقوله تعالى في ذكره لمميزات المؤمنين: (والذين يقولون
ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين)¹⁵⁷ ، وفي صحيح البخاري:
"قال الحسن (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) في طاعة الله، وما
من شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى حبيبته في طاعة الله"¹⁵⁸ ، إن تطلع
المرأة لهذا الهدف وهي تمارس وظيفة الأئمة، هو الحد الفاصل بين
الأئمة كوظيفة طبيعية تأتيها كل الثدييات، وبين الأئمة كوظيفة
اجتماعية، ومظهر من مظاهر إتيان المرأة لوظيفة العبادة. وهذا التجدد في
أداء وظيفة الأئمة هو الذي يفسر طاقة الأم الرؤوم على انتزاع صغيرها من
أحضان الفراش الدافئ ليتعود المواظبة على صلاة الفجر في وقتها، وهو
نفسه الذي يفسر سعادتها وفرحها بفراقه الأبدى إذا أخبرت باستشهاده
في سبيل الله ¹⁵⁹ ، كما يدل على ذلك حديث أنس بن مالك: "أن أم
الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي صلى الله عليه
وسلم، فقالت يا نبي الله لا تحذثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر
أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك

¹⁵⁵. آل عمران: 35.

¹⁵⁶. أحكام القرآن: ج 2، ص 291.

¹⁵⁷. الفرقان: 74، ومنه قوله تعالى على لسان إبراهيم: (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) القراءة: 128.

¹⁵⁸. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة الفرقان.

¹⁵⁹. لازلت المرأة الفلسطينية تقدم أروع النماذج في تمثل هذه القيم، لدرجة تكون فيها كلمات أم تودع ابنا لها على موعد مع عملية استشهاده لن يرجع منها أبداً، فقد أحيرها بموعد العملية، وتبكي أمامه كل أم، لكنها لا تلبث أن تقول له: "إياك أن تصدق دموعي، فإنها دموع أم تزف ابنها إلى الجور العين، فاطرع ربك وجهك واثبت حتى تلقى ربك". ينظر "كتاب شبهات حول العمليات الاستشهادية" سلسلة قضايا أم، العدد الثاني: مجلة الوازن مغربية: ط 1، ص 76.

اجتهدت عليه في البكاء، قال يا أم حارثة إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى^{١٦٠}، ولعل علة تخصيص النساء بذكر ما أعد الله لهن إن قدمن ولدا أو أولاًادا في سبيل الله بعد ما جاء من التعميم الذي يشمل الرجال والنساء^{١٦١}؛ هو المشقة الزائدة في مخالفة الأم لمقتضى طبيعتها وعاطفتها الشديدة في الحنو على الولد، مما يقتضي تعهد الأم المسلم نفسها بالتزكية حتى لا تتحول نعمة الأمومة؛ وفضل القيام بحقوقها إلى نعمة؛ كمثل من (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحًا لنكون من الشاكرين، فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركا فيما آتاهما)^{١٦٢}.

وقيام المرأة بواجبات الأمومة خير دليل على صدق التوجّه إلى الله بهذه الوظيفة.

ويمكن اختزال هذه الواجبات فيما يلي :

١- إحسان اختيار والد الولد:

تببدأ واجبات الأمومة منذ لحظة اختيار الزوج؛ وقد أشار إلى هذه الأمر بإيجاز علمي ظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "تخيرا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم"^{١٦٣}، وفيه إشارة إلى الجينات الوراثية وأثرها في تشكيل شخصية الأبناء، وقد سبق الرسول صلى الله عليه وسلم العلم الحديث إلى إثبات أهمية التفاعل بين نطفتي

١٦٠- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أتاه سهم غرب فقتلته.

١٦١- ذكر مسلم في فضل من يموت له ولد فيحيط به، قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتنسه النار إلا تحله القسم" (صحيح مسلم)، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل من يموت له ولد فيحيط به، وفي موضع آخر يخص النساء بهذه الشارة، منها ما رواه أبو سعيد الخدري: "قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: علينا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوغضهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: "ما منك امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار. فقالت امرأة واثنتين، فقال واثنتين" (صحيح البخاري)، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم) وفي حديث آخر أن امرأة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها، فقالت يا رسول الله: ادع الله لي فيه البركة، فإنه قد توفي لي ثلاثة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمنذ أسلمت؟ قالت نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جنة حصينة" (مسند أحمد، كتاب أول سند البصريين، باب حديث امرأة يقال لها رجاء).

١٦٢- الأعراف: 189-190.

المرأة والرجل في إثبات الصفات الوراثية المكتسبة من الأب والأم، فقال عليه السلام: "... وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها..."¹⁶⁴ ، مما يستدعي استحضار حق الأبناء في الأب المشهود له بالانتماء للمنبت الصالح، كما يطلب ذلك من الزوج عند اختيار أم أولاده، ويأتي في هذا السياق كراهة الزواج بالأقارب لعلة احتمال التأثير السلبي على صحة الأولاد.

وبذلك يسبق الإسلام علم الهندسة الوراثية في التوجيه إلى ما يتتحقق به تطور النسل البشري، وصحة أجيال الأمة، والمرأة صاحبة القرار في الاستجابة لهذا الأساس في اختيار الزوج، لأن بيدها أن تقبل أو ترد عروض طلب الزواج، بل لها أن تعرض الزواج على الرجل الصالح، فأثرها في تحديد معايير الزواج بين واضح، ومقتضيات واجبات الأمة تجعلها تقدم صلاح الوالد لولدها، على كل ميل أو هوى أو جاه يمكن أن يشدها إلى الزوج، وهذه أولى الخطوات في طريق الإحسان في أداء وظيفة الأمة.

– صيانة المرأة لحملها:

استأمن الله سبحانه المرأة نفسها، على ما يحمل رحمها فجاء في كتابه الكريم: (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر)¹⁶⁵ ، فاستأمنها بذلك على النسب الحقيقى لولدها، ونهماها عن كتم حملها حتى تجعله لرجل آخر¹⁶⁶ ، وفي سياق استئمان المرأة على الحمل، ورد قوله سبحانه: (وهو الذي أنشأكم من

95- سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب الأκفاء.

164- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذرته، وفي رواية أحمد: "مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه، فقالت قريش يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبى، فقال لأسنانه عن شيء لا يعلمه إلا نبى: قال فجاء حتى جلس، ثم قال: يا محمد مم يخلق الإنسان، قال: يا يهودي: من كل يُخلق من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة"، مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن مسعود.

165- البقرة: 226.

166- "العجب في بيان الأسباب"، ج 1، ص: 580.

نفس واحدة فمستقر ومستودع¹⁶⁷ ، وبين أهل التفسير أن المستقر الأب، والمستودع الأم¹⁶⁸ ، وهو ما يزكيه ما جاء في صحيح البخاري: "مستقر في الصلب، ومستودع في الرحم"¹⁶⁹ ، وفي اعتبار الرحم مستودعاً غاية البلاغة في التعبير عن مدى استثمان المرأة على ما في بطنها، وقد بين سبحانه أوجه حفظ الأمانة والوديعة، فجعل من بنود بيعة النساء أن (لا يقتلن أولادهن)¹⁷⁰ ، وفي دعوته تعالى: "لعدم قتل الأولاد إشارة إلى ما كان يجري في الجاهلية من وأد البنات، كما أنه يشمل قتل الأجنحة لسبب من الأسباب"¹⁷¹ ، الواقع اليوم يعج بمظاهر قتل المرأة لولدها إخفاء للعار الذي أنته بارتكابها الفاحشة، كما يتجلى القتل البطيء للأولاد في آثار الجهل بأوجه صيانة الحمل وتنعذيته، ومن الجهل القاتل إتيان المشعوذين والمشعوذات وهو ما دل عليه قوله سبحانه: (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم، ليروعوه وليلبسوا عليهم دينهم)¹⁷² ، وقد نبه سبحانه إلى دور الجهل في دفع الناس إلى قتل أولادهم في قوله: (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهها بغير علم)¹⁷³ ؛ "ولا يكون السفه إلا عن جهل"¹⁷⁴ ، وحفظ المرأة الحامل لما استودع الله في رحمها، يقتضي تغلبها على كل مستويات الجهل المؤدية بها إلى قتل الجنين أو إيذائه، وقد وفق الله الإنسان اليوم إلى درجات رفيعة من العلم بأسباب رعاية وصيانة الجنين، وتبيّنت درجة الاتصال بين عناية المرأة الحامل بنفسها وبصحتها ورعايتها لجنينها في البعدين النفسي أو البدني، وعلى سبيل المثال فإن: "الفزع أو الصدمة النفسية يمكن أن تحدث عند الأم إفرازا هرمونيا مفاجئاً، وبصورة أعم بتغيير كيميائتها الخلطية، وأن تشكل

. - الأنعام: 99. - 167

. - "المحاجب في بيان الأسباب"، ج 1، ص: 580. - 168

. - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة الأنعام. - 169

. - المتنحنة: 12. - 170

. - في ضلال القرآن: ج 4، ص 3547. - 171

. - الأنعام: 138. - 172

. - الأنعام: 141. - 173

. - البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 431. - 174

اضطراها في نمو المضغة أو الجنين"¹⁷⁵، مما يستدعي وعياً بأمور الصحة وشروط عافيتها.

والمرأة المسلمة ليست في غنى عن الاطلاع على كل علم يعينها على إحسان القيام بحفظ الوديعة، وأمنتنا أولى من غيرها بإيجاد مراكز لتدريب الحوامل على الاعتناء بصحتهن، بل بتعليمهن صور التواصل مع الجنين... وامرأتنا المسلمة أولى بتشجيع هذه المبادرات بالاستجابة لها في حماس يدفعها إليها حرصها على نيل مقام السبق في امتحانه للعابدين.

3- الرعاية الصحية للطفل:

اهتم الإسلام بحق الجسد فقال صلى الله عليه وسلم: "فإن لجسدك عليك حقا"¹⁷⁶، وفي الأحاديث النبوية الكثيرة المبينة لهديه صلى الله عليه وسلم في الاهتمام بالجسد، ما يدل على المستويات المطلوبة في ذلك من نظافة، واتقاء للأمراض، وأخذ بالأسباب في العلاج والوقاية معاً، ويندرج في ذلك الإحسان إلى الجسم بتطيبه، والعدل في الاهتمام بأطرافه وأجزائه¹⁷⁷، وإكرام الشعر... والقائمة طويلة، والتفصيل فيها قد يخرج المقال عن قصده، وخلاصة القول أن العناية بالجسم مقدمة على غيره خاصة في المراحل الأولى من حياة الطفل والتي تمثل قوام بنيته الصحية، وأساس عافيته فيما سيأتي من أيامه، وقد قال علماؤنا "إصحاح البدن أعظم النعم بعد الإيمان"¹⁷⁸، وإعداد الذرية الصالحة المقبلة على أعمال الطاعة، بما فيه من إجهاد النفس في التزكية يستلزم إعداد جسم قادر على التحمل، وفي ذلك قال صلى الله عليه وسلم "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"¹⁷⁹، ومن واجبات الأمة حرصن على تحقيق هذه الغاية، ببذل الجهد لصيانة صحة الأولاد ابتداءً من

¹⁷⁵- جان روستان "الأمومة والبيولوجيا"، ترجمة د. عدنان التركيني (منشورات عويدات بيروت، باريس، ط 2، 1980م) ص: 61.

¹⁷⁶- صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم.

¹⁷⁷- يمكن التأمل في تفاصيل أحكام الاغتسال من الجنابة.

¹⁷⁸- تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذى.

¹⁷⁹- صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة ب الله.

مرحلة الحمل، ومروراً بفترة الرضاعة، ووصولاً إلى ما بعدها، امثلاً لقوله تعالى: (ولَا يقتلن أُولادهن)¹⁸⁰، وقد سبقت الإشارة في العنصر السابق إلى أن إهمال المرأة/الأم لواجباتها في العناية بالطفل هو قتل وإن لم يكن بصورة مباشرة، وقد كان صلى الله عليه وسلم يهتم لصحة الأطفال، وبينبه الأمهات إلى واجب الاعتناء بها، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس: "مالي أرى أجسام بنى أخي ضارعة"¹⁸¹، ومنه توجيهه لكل النساء باستعمال الدواء لمعالجة الداء، بدل الاكتفاء بما توارثنه من أشكال اجتماعية لا تفي بالغرض، فعن أم قيس قالت: "دخلت بابن لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أعلقت عليه من العذر، فقال على ما تدغرن أُولادكـن بهذا العـلـاقـ، عليـكـنـ بهـذـاـ العـوـدـ الـهـنـدـيـ فإـنـ فـيـهـ سـبـعـةـ أـشـفـيـةـ مـنـهـ ذاتـ الجـنـبـ، يـسـقطـ مـنـ العـذـرـ، وـيـلـدـ مـنـ ذاتـ الجـنـبـ، فـسـمعـتـ الزـهـرـيـ يـقـولـ بـيـنـ لـنـاـ اـثـنـيـنـ وـلـمـ يـبـيـنـ لـنـاـ خـمـسـةـ"¹⁸²، وفي سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخمسة تحفيز على البحث، وتشجيع على تعلم أسرار الطب، والمرأة مطالبة بذلك لإحسان القيام بوظيفتها في الرعاية الصحية لأولادها، وقد ثبت طبقاً للإحصاءات الدولية أن "مستوى تعليم المرأة هو أحد العوامل في تأمين الصحة لأطفالها"¹⁸³، وهذا داع آخر للقول بوجوب تعليم المرأة، وفتح أبواب التثقيف والتوعية لها وفقاً للقاعدة الأصولية "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

وفي القرآن الكريم لفتة لطيفة في التنبيه على أهمية الإرضاع لما له من أثر في تحقيق عافية الأولاد، تتجلى في قوله تعالى: (والوالدات يرضعن أُولادهن حولين كاملين)¹⁸⁴، واستعمال لفظ الوالدة أدق من استعمال لفظ

¹⁸⁰- المختنـةـ: 12.

¹⁸¹- صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقيقة من العين والنملة والحرمة والنظرة. ضارعة: أي نحيفـةـ.

¹⁸²- صحيح البخاري، كتاب الطب، باب اللدوـدـ.

¹⁸³- عن تقرير الأمم المتحدة، أورده محمد عبد الجواد محمد في "حماية الأئمة والطفلة بين المواقـفـ الـدـوـلـيـةـ وـالـشـرـعـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ" ص: 94.

¹⁸⁴- البقرة: 231.

الأم لأن الأول يقصد به التي ولدت الرضيع ، وقد يتعدى الثاني إلى أوسع من ذلك إذ قد يطلق لفظ الأم على من أرضعت لقوله تعالى: (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم)¹⁸⁵ ، وقد يطلق على الحالة، لقوله صلى الله عليه مسلم: "الحالة أم"¹⁸⁶ وقد يطلق على الجدة¹⁸⁷ ... وإلزام الوالدة بالإرضاع فيه إشارة ضمنية إلى أهمية لبنها لرضيعها من الناحية الجسمية والعاطفية كما أثبتت ذلك العلم الحديث، ولذلك استنبط العلماء من صيغة الآية وجوب الإرضاع على الوالدة للمدة المذكورة، وما جاء بعدها من قوله: (لن أراد أن يتم الرضاعة) ليس إلا تخفيفا¹⁸⁸ ، لما قد يكون من الظروف المعيقة لتحقيق الأصل وهو الأولى. وكل ما تم ذكره ليس إلا إشارات منبهة إلى أهمية دور الأم، ووجوب اعتنائها بصحة أولادها، والحكمة في ذلك ضالة المؤمن، فأئنى وجدها فهو أحق بها، ومقتضيات الإحسان في القيام بوظيفة العبادة تستلزم أن يبحث عنها، لا أن ينتظر إتيانها إليها.

4- تربية الطفل على مكارم الأخلاق:

إذا استوفت الأم شرط الرعاية الصحية، لزمها أن تحفظ أولادها من أن يصدق عليهم قوله تعالى: (وإذا رأيتمهم تعجبكم أجسامهم)¹⁸⁹ ، وفي ذلك إشارة إلى الخواص الروحي، والضحالة التربوية والأخلاقية مع سلامة الجسد وقوته ، وهو ما تتقيه الأم بتنشئة أولادها على حب الله ورسوله، وحفظ أماناتهم وعهودهم، وتدريلهم على أداء حقوق الله وحقوق الناس، وفي هذا السياق هي مأمورة بالاستجابة لقوله تعالى: (وامر أهلك بالصلاوة واصطببر عليها)¹⁹⁰ ، وقد نقل القرطبي في شرحها أن المراد واجبنا في "تعليم أولادنا وأهليينا الدين والخير، وما لا يستغني عنه من الأدب"¹⁹¹ ، وفي لفظ الاصطبار ما يفيد الدعوة إلى المداومة على أمر الأولاد بالصلاحة، مما

. النساء: 23.¹⁸⁵

- سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب من أحق بالولد.¹⁸⁶

- انظر مفردات القرآن الكريم: كتاب الألف، أم.¹⁸⁷

- تفسير الطبراني: ج 2، ص: 493.¹⁸⁸

- المناقون: 4.¹⁸⁹

. طه: 131.¹⁹⁰

- تفسير القرطبي: ج 18 ، ص: 196.¹⁹¹

يشهد له بالاعتبار قوله صلى الله عليه وسلم: "علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر"¹⁹²، والمرأة مؤتمرة على أولادها بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم: "والمرأة راعية على بيت بعلها وولده"¹⁹³، وقد نبه صلى الله عليه وسلم إلى ضرورة الاهتمام بالمنهج التربوي الذي تلتزمه الأم لتنشئة الأولاد على مكارم الأخلاق، فلا يجوز منها خداعه، ولو في سياق بسيط قد لا تلقي له بالأغلب الأمهات، كما يعكس ذلك هذا الحديث: فعن عبد الله بن عامر قال: "أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا وأنا صبي، قال فذهبت أخرج لأنعب، فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أردت أن تعطيه؟ قالت أعطيه تمرا، قال، فقال لها: أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة"¹⁹⁴، وقد أثبتت المرأة المسلمة على عهد الرسول (ص) تفوقاً ظاهراً في القيام بوظيفة التنشئة على قيم الحب لله وللرسول صلى الله عليه وسلم، والولاء لقيم هذا الدين وعلى رأسها مكارم الأخلاق، وهي لب الدين وجوهره كما دل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"¹⁹⁵، ومن أجمل هذه المواقف المثبتة في كتب الحديث ما رواه أنس بن مالك: "قال أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت، قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة، قالت: وما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحذر بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا".¹⁹⁶ فليس بدعاً إذا كانت هذه القيم هي ما بثته الأمهات في نفوس الأولاد، أن يكون الجيل الأول بما عرفناه من تميز أخلاقي، جعل البعض يصفهم بكونهم قرآناً يمشي على الأرض.

¹⁹² - سنن الترمذى، كتاب الصلاة، باب ما جاء فى متى يؤمر الصبي بالصلاحة.

¹⁹³ - صحيح البخارى، كتاب العنق، باب كراهة القتال على الرقيق وقوله عدي أو أمي.

¹⁹⁴ - مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين، باب حديث عبد الله بن عامر.

¹⁹⁵ - مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين، باب باقى المسند السابق.

¹⁹⁶ - صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أنس بن مالك.

5- واجب الرعاية العاطفية:

يعتبر واجب الرعاية العاطفية من الواجبات التي لا تحتاج إلى استدلال، وقد سبق بيان كون المرأة خاصة تقوم به استجابة لاستعداد فطري، كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي، فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجده أمه من بكائه"¹⁹⁷، وفي رواية مسلم كان صلى الله عليه: "يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة، فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة"¹⁹⁸، وإذا كان أمراً للإمام بالرفق بحال الأم المتعلقة بولدها هو المستفاد من الحديث، فإنه يفيد من باب أولى إقرار الأم على إبداء هذا الاهتمام والعطف اتجاه ولديها، وفيه أيضاً ترخيص لها بالتحفيف في صلاتها استجابة لنداء صغيرها ورحمة به.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر فضل نساء قريش على غيرهن لما تميزن به من حنون على أولادهن، فقال: "خير نساء ركين الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده"¹⁹⁹، وأحناه في اللغة تعني "أعطفه"²⁰⁰، والتقدير "أحناه من وجود، أو خلق، أو من هناك، ومنه أحسن الناس خلقاً وأحسنه وجهما، وأحسنه خلقاً، أي أحسن الناس خلقاً، وهو كثير في العربية ومن أفصح الكلام"²⁰¹، وفي الحديث تنبيه على أن حنان الوالدات مراتب، والمطلوب تطلع الأم إلى أسمى مراتبه اقتداء بصالح نساء قريش.

وإظهار الحنان للطفل له بالغ الأثر في توازن شخصيته عند الكبر؛ تؤكد ذلك الدراسات المختصة بالنظر في آثار اليتم على شخصية الأطفال في كبرهم²⁰²، وفي السنة النبوية رصيد ملفت للانتباه في ذكر أشكال ومظاهر

197- صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي.

198- صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة.

199- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب إلى من ينكح، وأي النساء خير، وما يستحب أن يتذكر.

200- لسان العرب، باب الحاء، حنا.

201- النهاية في غريب الحديث، باب الحاء مع التنوين، حنا.

202- انظر كتاب مايكل راير "الحرمان من الأم، إعادة تقييم"، ترجمة د. ممدوحة محمد سلامة (مكتبة الأنجلو المصرية) ط2، 1981م.

الاهتمام بالطفل، وصور الاعتناء به من الناحية العاطفية، مما ينوب عن ذكرها، ذكر مواردها في كتب الحديث؛ من قبيل: باب رحمة الولد ²⁰³ ومعانقته وتقبيله ...

6- واجب إعداد الطفل نفسياً لتحمل المسؤولية:

وهذه واحدة من مميزات التربية الإسلامية التي تخالف النظريات التربوية الحديثة المُدَّة لعمر الدلال في حياة الطفل بما يطمس في شخصيته واستعداده لتحمل المسؤوليات الكبرى، فيتعود الاسترخاء والاتكالية، ويصبح عالة على مجتمعه في أكثر مراحل حياته طاقة وحيوية.

وقد كان من منهج الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الصغار واعظاً وعلماً وملقنا لهم قيم ومبادئ الدين الكبرى، وثبت أنه كلفهم بأخطر المهام ومنها إسناد كتابة القرآن الكريم لزيد بن ثابت الأنباري وعمره لم يتجاوز الرابعة عشر، ومن ذلك إسناده مهمة قيادة الجيش لأسامة بن زيد وهو ابن العشرين من عمره، وفي السنة تسجيل لإسلام الصغار الصبيان ²⁰⁴، وهو دليل اهتمام وعناية بقرار اعتناقهم للدين.

وهذا المنهج تشربته الأمهات المسلمات فبدت خاصية تدريبهن لأولادهن على تحمل المسؤولية ظاهرة ببينة، كما تدل عليها مواقف الصحابيات وهن يحفزن صغارهن لإتيان ما يأتيه الكبار من خير، ومنه ما روی أن امرأة أتت بصغير لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "يا رسول الله باييعه، فقال هو صغير فمسح رأسه" ²⁰⁵، ومن ذلك ما ذكرته كتب السيرة حول مصرع أبي جهل وتحققه على يد غلامين لم يمنعها الصغر من نيل شرف قتله، وذكر أحدهما في بعض الروايات أن دافعه إلى

203- انظر صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد و تقبيله و معانقته.

204- انظر مثلاً الأبواب التالية في صحيح البخاري: (باب حج الصبيان، باب صوم الصبيان، خروج الصبيان إلى المصلى...).

205- صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام و غيره.

قتل أبي جهل أن أمه أخبرته أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم.²⁰⁶

وفي تدريب الصغار على الصيام عن الربيع بنت معوذ: "كنا نصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار"²⁰⁷، وفي رواية مسلم: "إذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم"²⁰⁸، ومثله ما كان من حرص النساء أن ينال صغارهن فضل الحج وأجره فعن "ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بامرأة في خدرها معها صبي، فقالت لها هذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر"²⁰⁹.

ومن الجدير بالذكر – وقد سبقت الإشارة إلى ذلك – أن هذا العنصر تحتاج معه الأم إلى طاقة نفسية، وقوة روحية خاصة لتناقض ما تمليه عليها غريزتها، وميلها إلى ما تميل إليه نفس طفلها ويهفو إليه هواه، لاسيما في ظل الإغراءات الشديدة التي تحيا في ظلها أجيال العصر الحديث.

7- الإنفاق على الأولاد و توفير احتياجاتهم المادية:

من المعلوم في الشريعة الإسلامية أن نفقة الزوجة والأولاد واجبة على الزوج بإجماع العلماء، قال صاحب المحلّي: "فاما نفقة الولد فليس على المرأة من ذلك شيءٌ هذا عمل جميع أهل الإسلام قديماً وحديثاً، فإن عجز الأب عن ذاك أو مات، ولا مال لهم فحين ذلك يقضى بنفقتهم وكسوتهم على أمّهم"²¹⁰، وقد أقرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين أم سلمة على إنفاقها على أولادها من أبي سلمة؛ فعنها قالت: "قلت يا رسول الله ألي أجر أن أنفق علىبني أبي سلمة، إنما هم بنبي،

²⁰⁶- يرجع إلى صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب و من قتل قتيلاً فله سلبه.

²⁰⁷- صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان.

²⁰⁸- صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب من أكل في عاشوراء فليكتف بقيمة يومه.

²⁰⁹- سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب الحج بالصغار.

²¹⁰- المحلّي: ج 10، ص 108.

فقال أنفقني ذلك أجر ما أنفقت²¹¹، ومثل ذلك في جوابه صلى الله عليه وسلم على امرأة عبد الله بن مسعود، وقد خشيت أن تحول نفقتها على أولادها وزوجها بينها وبين أجر الصدقة المطلوبة منها، فورد عنها قولها: "يا رسول الله إني امرأة ذات صنعة أبيع منها، وليس لي ولا ولدي ولا لزوجي نفقة غيرها، وقد شغلوني عن الصدقة فما أستطيع أن أتصدق بشيء، فهل لي من أجر فيما أنفقت"، قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفقني عليهم، فإن لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم²¹²، وندب الرسول صلى الله عليه وسلم لإنفاق النساء على أزواجهن وعيالهن باد وظاهر في هذه الأحاديث، وهو فرع ووجه من وجوه الصدقة التي حفظ النبي صلى الله عليه وسلم النساء لها في أحاديث كثيرة²¹³، منها ذكره لفضل زينب أم المؤمنين بوصفها أطول نسائه يداً أي أكثرهن صدقة وجوداً، وقد عللت عائشة سر تفوق زينب عليهن في ذلك بقولها: "فكان أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق"²¹⁴، والمرأة المسلمة مطالبة بالاجتهاد في تلمس أسباب الإحسان إلى أولادها مادياً من باب استجابتها لداعي المبادرة إلى الصدقات وهم أولى إن كانوا في حاجة، وغيرهم من عيال الله ليسوا في غنى إن استغنى أولادها.

ولعل من المفاهيم التي أسيء استعمالها ووعيها، إعفاء المرأة من واجب الإنفاق على نفسها وعيالها، إذ تم الاحتماء في هذا الحكم الشرعي الصحيح والمكرم للمرأة لتبرير كليتها، وعجزها عن تقديم العون المادي لنفسها ولولدها ولغيرها، فأصبحت لا ترى نفسها معنية بالتحفيز العام في الشريعة الإسلامية على العمل والكسب. وواجب الأمومة اليوم في ظل الحاجات المتنامية لتعليم و التربية الأولاد أدعى لإعادة النظر في هذا الفهم، قصد الجمع بين تكريم المرأة بإعفائها من مقتضيات الإلزام بواجب

211- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر.

212- مسنون أحمد، مسنون المكينين، باب حديث رانطة امرأة عبد الله عن النبي.

213- انظر حديث "تصدقن فاني رأيتكن أكثر أهل النار"، سبق تخرجه.

214- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين.

الإنفاق، وبين ندب الإحسان منها لأولادها من باب أولى، وفي كل أوجه الخير عامة.

وجماع القول في واجبات الأمة يجعلها قوله صلى الله عليه وسلم: "والمرأة راعية على بيت بعلها وولدها"²¹⁵، وفي رواية: "والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده"²¹⁶، وفي شرح النووي: "الراعي هو الحافظ المؤتمن الملائم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته"²¹⁷، ولما كانت الأم أصل الناس بأولادها، استأمنها الله ورسوله على هذه الوديعة، واعتبر كل أوجه سعيها لما فيه مصلحتهم أداء لحق هذه الأمانة، يدخل في ذلك كل جهد لحفظهم من فتن الدنيا، وجحيم الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقدها الناس والحجارة)²¹⁸.

وبذلك تكون الأمة وظيفة اجتماعية جسيمة أوسع دلالة من الإنجاب، والمرأة مهيبة للقيام بها بحكم الطبيعة والفطرة، وتملك تأديتها على أحسن وجه إذا حملتها الأبعاد العبادية المطلوبة، وهي وظيفة تربوية أساساً يمكن أن تتعاون لأدائها على أحسن وجه أكثر من امرأة واحدة، وفي هذا السياق تفهم أبعاد توسيع دلالات الأم، فالمرضعة أم، والخالة أم، والجددة أم، والقدوة من النساء أم لغيرها... وهذا النمط الاجتماعي المعتقد²¹⁹ من شأنه حل مشكلة علاقة المرأة العاملة بوظيفة الأمة، خاصة وقد ثبت أنه "ليس من الضروري أن يقوم بالأمة شخص واحد فقط،

²¹⁵- صحيح البخاري، كتاب العنق، باب كراهة التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو أمني.
²¹⁶- صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: (أطِبُّوا اللَّهَ وَأطِبُّوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْكُمْ).

²¹⁷- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائز والتحث على الرفق.

²¹⁸- التحرير: 6.
²¹⁹- دعت لمياء لوزير الفاروقى إلى إعادة الاعتبار للنظام الاجتماعي القائم على أساس الأسرة الممتدة، باعتباره حل توفيقياً يضمن الجمع بين تأمين مساعدة النساء في الحياة العامة وبين إدانتهن لحقوق الأمة في مقابلات لها، بمجلة المسلم المعاصر. (انظر السنة التاسعة، ع 32، 1403هـ، ص 85)، السنة العاشرة: ع 37، 1404هـ، ص 87، السنة الحادية عشر، ع 41، 1405هـ، ص 85.

ولكن إذا قام بالأئمومة عدد محدود لا يتغير من الأشخاص طوال الفترة الباكرة من حياة الطفل قد لا يكون لتعدد الأئمومة آثار سيئة". ولا ننسى أن حرص الأم على أداء حق مجتمعها بالدعوة إلى الخير، وإشاعة الوعي والمعروف هو وجه من واجبات الأئمومة، لأنها بذلك تتمثل ما تدعو ولدها وتنتشه عليه، وكما يقال حال رجل في ألف رجل خير من كلام ألف رجل لرجل.

المطلب الرابع: تشوه مفهوم العبادة عند المسلمين وأثره على تردي أداء المرأة لوظيفة العبادة

من المعلوم أن المرأة والرجل سواء في الخطاب القرآني، وسواء في الأحكام، وسواء في الوظيفة التي من أجلها خلقا، فأول خطابه سبحانه وجه لهما معا، قال تعالى: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وكل منها رغدا حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة، فتقونا من الظالمين)²²⁰ وسخر لهما المنافع، وأودع فيهما سره، فجعلهما قادرين على إخضاع الكون بما حباهما به من طاقات واحدة مشتركة تتمثل في السمع والبصر والعقل، ولنا أن نتأمل قوله تعالى على لسان سليمان: (وأوتينا من كل شيء²²¹، وإن باره عن بلقيس أنها (أوتيت من كل شيء²²²) لنستدل على مدى العدل الإلهي في تمليل كل من المرأة والرجل إمكانات الاستفادة مما حواه الكون من نعم دون تمييز، ويؤكد ذلك ما نشهده اليوم من النبوغ النسوي في كل المجالات، وما نراه من القدرة الفائقة لدى المرأة في تلقي كل علوم الدنيا والدين بدون استثناء، فإلى أي حد استفادت المرأة المسلمة من توظيف هذه الطاقات والإمكانات وفق المنهج العبادي لتحقيق وظيفة الاستخلاف؟ وما هو موقعها في مبارزة الأحسن عملا؟ وهل وظيفة الإنجاب ورعاية الزوج والأولاد كفيلة باستيعاب كل هذه الإمكانات التي

²²⁰. البقرة: 35.

²²¹. التفل: 16.

²²². التفل، 23.

ميزالله بها المرأة كشطر للإنسانية من أجل القيام بوظيفة العبادة كما هو مطلوب منها؟

بدأت المشكلة حينما جعل المسلمون الحياة حيزين ومجاليين، مجال خاص بالرجال وهو الكون خارج المنزل بما فيه، ومجال خاص بالنساء هو البيت وحدوده، وتمت صياغة الواجبات والوظائف وفقاً لهذا التقسيم، فكان لوظيفة العبادة حظها من التأثر به، وزادت الثورة الصناعية وما تبعها من تحولات اجتماعية في تعريف المهمة بين المجالين، ولا سيما وأن هذه الثورة قد تمثلت في "تشكل السوق بآلياته وأدواته الحديثة، وحركته، وتغير وسائل الإنتاج والاستهلاك به، مع الانفصال التام عن مجال الأسرة الخاص"²²³ –، ولا يلمس الدارس لدينا الحنيف أثراً لهذا التقسيم في القرآن والسنة، "فالله سبحانه وتعالى لم يخاطب النساء في تنزيله العزيز باعتبارهن رموزاً لدائرة ضيقة خاصة (...)" بل خاطب سبحانه النساء كأفراد في الجماعة والأمة"²²⁴، ومن العلوم أنه "حتى الفقهاء والعلماء القدامى قد فهموا هذا التمييز الدقيق وأشاروا إليه"²²⁵، وقد استطاع المتصوفة تمثيل هذه الأبعاد العمقة للمساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام، والمطلقة لعنان المرأة كي ترتقي في مدارج السالكين درب العبودية الخالصة فتبليغ أعلى المقامات، بعيداً عن قيد الاختزال لفضاء العبادة في البيت دون غيره، فنظر الصوفية إلى المرأة على أنها حقاً شقيقة الرجل، فكانوا لا يستنكفون أن يتخذونها مؤدية أو معلمة، فهذه رابعة مؤدية عصرها يوم مجلسها أعلام الرجال، تطلع عليهم أنوار عبوديتها فتحنس شيئاً فشيئاً، وتنطفئ نوازع تألهم.. وهـا هو الحكيم الترمذـي يـشتـركـ مع زوجـهـ في ولاـيةـ وعـرفـانـ ... وهـاـ هوـ أيـضاـ محـيـيـ الدـيـنـ بنـ عـربـيـ شـيخـ الصـوـفـيـةـ الأـكـبـرـ يـخـدمـ بـنـفـسـهـ اـمـرـأـ منـ المـحـبـاتـ الـعـارـفـاتـ بـإـشـبـيلـيـةـ هـيـ فـاطـمـةـ بـنـتـ المـثـنـىـ الـقـرـطـبـيـ وـيـتـخـذـهـاـ مـعـلـمـاـ روـحـيـاـ.. وـالأـمـثـلـةـ الصـوـفـيـةـ كـثـيرـةـ عـلـىـ مـكـانـةـ الـمـرـأـةـ وـحـضـورـهـاـ وـتـفـرـدـهـاـ

²²³. أميمة أبو بكر " النسوية وقضايا الجندر والرؤية الإسلامية" ص:34.

²²⁴. نفسه، ص: 36.

²²⁵. نفسه

في عالم الروح...) وقد نقل عن ابن عربي قوله: الإنسانية تجمع الذكر والأنثى، الذكورة والأنوثة فيها عرضان ليسا من حقائق الإنسانية"²²⁶، وما مذهب الصوفية هذا إلا وجه من أوجه التجاوب مع مبدأ أصيل في الإسلام هو وحدة الإنسان المخاطب بوظيفة العبادة، وهو نفس التجاوب الذي وجدهناه عند أهل الفقه وهم يتخذون من الفقيهات مرجعاً للتعليم والإفتاء والتوجيه، ووجدناه عند أهل الحديث وهم يتلقون رواية النساء بكل ثقة واعتزاز، ووجدناه عند قائدِي الجيوش وهو يقبلون في صفوفهم نساء مؤمنات ولا يرون في حملهن للسلاح سلوكاً مستهجناً أو مردوداً²²⁷... وكلها روافد تفرع عن منبع واحد، تمثل في إشعاع العهد النبوي حيث بدت المرأة المسلمة قوية في الحق، لا ترى في الأنوثة عائقاً أو قيداً يعوق حركتها العبادية في كل الواجهات، فمرة ترى المرأة المسلمة خلف المسلمين تجهز على جرحى المشركين²²⁸، ومرة تجدها تلقى المسلمين ناكصين فتحثو في وجوههم التراب قائلةً "هناك المغازل فاغزلوا بها وهاتوا سيفكم لنقاتل بها عنكم"²²⁹، ومرة تُثبت نفس التشجيع على الانطلاق في آفاق التعلم والمعرفة فتجعل من الأنصار قدوة ونموذجًا لأن الحياة لم يمنعهن من التفقه في الدين²³⁰، ومرة نراها متفانيّة في العمل المهني لأنّه سبيلها إلى التقرب إلى الله بالصدقات...²³¹ والقائمة طويلة في الشواهد الدالة على استيعاب المرأة المسلمة لوظيفة العبادة، بفضل التوجيه النبوي المؤكّد لكونها معنية كالرجل تماماً بأداء الدور المطلوب منها في

²²⁶. سامي مكارم "عشقات الله"، ص: 12، مقدمته لسعاد الحكيم.

²²⁷. تروي كتب التاريخ عن معارك شرفية قادتها جيوش نسائية إسلامية، وهذه أم حكيم تشارك مع زوجها في حروب الردة، وتشترك في معركة اليرموك، وتقاتل الرومان مع فريق من نساء الصحابة، بعد تمكنهم من زوجها، وتزدهم على أعقابهم في قطارة فلسطين تعرف إلى اليوم باسم "قطارة أم حكيم" ومثل هذا كثير، تراجع في هذا الصدد تفاصيل معركة "الرملة" ومظاهر البلاء النسائي فيها، انظر فتوح الشام للواقدي، ومانعنه الفنجري في كتاب "الاختلاط"، ص: 86-85.

²²⁸. سند أحمد، كتاب مسنن المكترين من الصحابة.

²²⁹. أحمد شوقي الفجرى "الاختلاط"، ص: 94، نقلًا عن المغازي، بدون توسيق.

²³⁰. انظر الحديث عن عائشة، قالت: "نعم النساء، نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياة أن يتقدحن في الدين" (صحيح مسلم، كتاب الحيطان، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيطان فرصة مسک).

²³¹. انظر الحديث عن عائشة قالت: "لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى الله وأصدق حدثياً أوصل للرحم وأعظم صدقه وأشد ابتدالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب إلى الله تعالى" صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها.

الإحسان إلى نفسها وغيرها بكل أوجه الخير الممكنة، ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها" فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم، من غرس هذا النخل، أمسلم أم كافر؟ فقلت بل مسلم، فقال لا يغرس مسلم غرساً، ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء، إلا كانت له صدقة"²³²، وهذا الحديث ثبت لما أظهرناه في المطلب السابق من تلازم بين وظيفة العبادة باعتبارها شعائر وعبادات وقربات بقصد التعبد كالصدقة، وبين وظيفة العبادة باعتبارها مطلق الإحسان في العمل بقصد التعبد دائمًا، كالإعمار واستصلاح الزرع، والنسل، والأرض... وغيرها من أعمال تدخل في إطار درء المفسدة وجلب المصلحة، فما هي الأسباب التي جعلت هذه الأبعاد تتقلص، وكيف أبعدت المرأة عن واجب الإعمار؟ وكيف ساغ للمسلمين أن يقولوا ما علاقة النساء بعلوم الزراعة، والبيطرة، والصناعة...؟²³³

وكيف تضخم القول بوجود مجالين في الحياة، مجال البيت المحدود وفيه تتمثل المرأة وظيفة العبادة، ومجال الكون الرحيب بما فيه المساجد وفيه يمارس الرجل وظيفة العبادة؟

ذلك ما سأحاول الوقوف عليه في هذا المطلب، وقبل ذلك لابد من التنصيص على أن بخس وظيفة العبادة حقها، والانحراف عن حقيقتها مشكلة لم ترتبط بالمرأة فقط، بل كان للرجل حظه منها، فبدت مظاهر الانفصام في فهم المطلوب، فوجدناد مرأة يعبد الله بالشعائر، ولا يستحضره فيما دونها من أعماله الحياتية مطلقاً فتصدر منه الخيانة في عمله المهني، أو التقصير في واجباته الإنسانية اتجاه أهله وذويه....، وقد نجده مرة أخرى يرضى بالقليل من الواجبات العبادية فلا يبرح مقام المقصود متصوراً أنه قد أدى حقوق العبادة، فتضييع مقاصد الدعوة إلى التنافس في مستويات التأهيل والتزكية، كما في آثارها في الإصلاح والإعمار والتنمية، غير أن

²³² صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الفرس والزرع.

²³³ ساد هذا التوجه في الفكر الإسلامي المعاصر كردة فعل على المظاهر السلبية لامتهان المرأة لأعمال مختلفة كما أبنتها وأظهرتها مساوى الحضارة الغربية.

المشكلة بالنسبة للمرأة أخذت بعدها أكثر تعقيداً لأنها وجدت في العقل المسلم من المسوغات ما يؤسس لقصر وظيفتها في حدود البيت، ومن أهم هذه المسوغات ما يلي:

1- المبالغة في سد الذريعة: ولعل هذا العامل من أهم المداخل لفهم مجموعة من الاجتهادات الفقهية التي كانت سبباً في سحب الكثير من المنح التي خولتها الشريعة الإسلامية للمرأة، ولنا أن نلمس هذا الأثر في الاجتهادات المعاصرة—بعدما ثبّتت المرأة جدارتها، وتتفوّقها في مجالات عديدة، فما بالك بالاجتهادات التي أفرزها زمن لم يكن يتصور خلاله أن المرأة قادرة على شيءٍ من المسؤوليات في كل المجالات فهذا مقال معاصر على الأنترنت يعرض "عشرين مفسدة من مفاسد قيادة المرأة لسيارة"، يورد صاحبه القاعدة الفقهية نفسها لمنع المرأة من قيادة السيارة قائلاً: "لو جئنا لنطبق قاعدة سد الذريعة على موضوع قيادة المرأة للسيارة، لوجدنا أنه عمل مباح، ولكن الناظر للمفاسد الناتجة عن قيادة المرأة للسيارة بموضوعية، وتجدر إيجاد أنها أعظم بكثير من مصالحها، فعندئذ تأخذ القيادة حكم ما أدت إليه ألا وهو التحرير"²³⁴.

ولنا أن نتساءل لماذا لم تستعمل قاعدة فتح الذريعة إلى المصلحة وهي أصل من أصول الشريعة—للاستدلال على ندب سياقة المرأة المسلمة للسيارة، بالنظر إلى حجم المنفعة والمصلحة التي تتيّسر بسببيها، ولماذا لم تستحضر قاعدة رفع الحرج في هذا الصدد بعد أن أصبحت السيارة وسيلة ضرورية لتلبية أبسط الحاجيات، ولماذا لم تستعمل قاعدة "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" للاستدلال ليس فقط على ندب قيادة للسيارة، بل على وجوبها أحياناً وهذا مثال فقط تقاس عليه المبالغة في استعمال قاعدة سد الذرائع.

2- توسيع دائرة الاستثناءات في الأحكام الخاصة بالمرأة بدعوى الصيانة والحماية: سبق أن تقر شمول الخطاب التشريعي لكل من المرأة

²³⁴- يراجع المقال على الموقع التالي: www.montada.com

والرجل، هذه الحقيقة وعتها المرأة المسلمة في العهد الأول فبایعت، وجاهدت، وهاجرت، وفهمت أن كل استثناء عن هذه القاعدة ليس إلا تكريماً وعнациاً لا تلغى الأصل المتمثل فيما يقتضيه كون "النساء شقائق الرجال"²³⁵، ولتأكيد ذلك يمكن أن نستدل باتحاد الحكم سواء بالنسبة للرجال أو النساء بدءاً بصلاح الحديبية حين تم الاتفاق على رد من جاء إلى المسلمين من الكفار مسلماً سواء كان ذكراً أو أنثى، إلا أن التنصيص على استثناء المرأة كما دل عليه قوله تعالى: (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ) ²³⁶ جاء رعاية وتكريماً، فقد ورد في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وقد التحقت بالمسلمين هاربةً بدينها من بطش قومها، فجاءت العناية الإلهية تنقض العهد بين الرسول ﷺ والشركين ، في شأن النساء استثناء. لم يلغ قصر تكليف النساء بالهجرة إلى رسول الله ﷺ ابتداءً²³⁷

إن استثناء المرأة من بعض الواجبات ، والنظر في أحکامها بعض الخصوصية كان رعاية من التشريع لها ، فلم تفرض عليها الجمعة ، ولا الصلاة في المسجد ، ولا الجهاد على أنه لم يمنعها من ذلك كله إن هي وجدت طاقة وقدرة لفعله ، غير أن الأمر انحرف عن منطلقه فأصبحت الاستثناءات أصلاً ، فمنعت المرأة من حق المشاركة في الجهاد صيانة لها لأن الرجال أولى بذلك²³⁸ ، ومنعت من حق الكسب والعمل المهني حماية لها لأن الرجال تكفلوا بذلك ، واستبعد أن تكون معنية بواجب السياحة²³⁹ بمعناه الحقيقي لأن في ذلك مخالفة لمقتضى الحفظ والصيانة ، فقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد من سائر حرامات أو مهاجرات²⁴⁰ ، وقد أنكر القاسمي على المفسرين هذا المذهب معتبراً أنه

²³⁵- سبق تخربيه.

²³⁶- الممتحنة: 10.

²³⁷- السيوطي "باب النقول في أسباب النزول" ص 211.

²³⁸- انظر النقاشات الفقهية المعاصرة حول العمليات الاستثنائية النسانية التي تمت في فلسطين.

²³⁹- محمد جمال الدين القاسمي "محاسن التأويل" ، ت. محمد فؤاد عبد الباقي" (دار إحياء الكتب العربية)

²⁴⁰- ج: 16، ص: 5864.

. الممتحنة : 10.

يستفاد من هذه الآية مشروعية السياحة للنساء، كما هي كذلك للرجال، فمعنى قوله تعالى (سائدات) مسافرات، سواء كان السفر لهجرة، أو اعتبار، أو اطلاع على آثار الأمم البائدة²⁴¹، وأضاف معللاً إنكاره عليهم: ”كأن الذي دعا البعض لتفسيير السائدات بالصائمات أو بخصوص المهاجرات، تصوره أن السياحة في البلاد لا تناسب طبيعة النساء المأمورات بالحجاب، وكأنه يفهم من الحجاب أن الحبس المؤبد، أو كأن الهواء نعمة مخصوصة بغير النساء (...)“ وكأن الآيات الامرة بالسير للنظر، والعبرة، والإحاطة، والخبرة، نازلة من السماء ليس للأمة جميماً، بل للنصف منها وهو للرجال، وحاشا أن يكون ذلك وهو مخالف لهديه صلى الله عليه وسلم في سفره مع أزواجه²⁴²، وخلاصة ما يرد به على هذه الحجة التي تحجب بها المرأة عن وظيفتها الكاملة في الكون، أنه لو كان قصد حماية المرأة مقدماً على قيامها بواجبها المطلق ضمن وظيفة العبادة، لما أمر سبحانه إبراهيم بترك هاجر (بواحد غير ذي زرع)²⁴³ دون عائل أو كافل، ”فقد كان موقفاً عصيباً بالغ الصعوبة، رجل يتترك امرأته وربيعها في الشام البعيدة، لم يتترك لها إلا جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء !!!“²⁴⁴ ولكنها وظيفة العبادة حينما تستدعي التضحية، والمغامرة، والمخاطرة فعلى الجميع أن يلبىء، بعيداً عن كل الاعتذارات ومنها ادعاء الحاجة إلى الحفظ والصون، الذي لا يجب أن يفوت مقاصد وغايات الشريعة السمحنة، ولاشك أن التفصيل في العوامل التي حالت بين المرأة المسلمة وتمثل وظيفتها كما أراد الله لها يحتاج إلى بحث مستقل، غير أنني سأختصر بعض ما اعتبرته سبباً في ذلك بالإضافة إلى ما سبق ذكره، ومنه :

3- سوء التوظيف للنصوص النبوية الصحيحة التي تحدث على رعاية الزوج والبيت: بحيث تحول تشجيع المرأة على أداء حقوق الزوج،

²⁴¹- محمد جمال الدين القاسمي "محاسن التأويل"، ج:16، ص: 5864.

²⁴²- تفسير القاسمي، ج:16، ص: 5865.

²⁴³- إبراهيم: 39.

²⁴⁴- الهاشمي "شخصية المرأة المسلمة"، (1415هـ، 1994م) ص: 12.

والتأكيد على فضل الأئمة وما ينتظر المرأة من عظيم الأجر إن أدت مسؤوليتها تلك بأحسن وجه إلى قصر المطلوب منها في حدود هذه الدائرة الاجتماعية، وهو ما لا تنص عليه هذه النصوص.

4- تراجع البرامج التأهيلية الخاصة برفع همة المرأة للتطلع إلى آفاق وظيفة العبادة: بمقتضى سد الذريعة غابت المرأة عن المسجد وهو مركز تربوي لا يمكن الاستغناء عنه في تأهيل الفرد المسلم للقيام بوظيفته ودوره، وغابت عن حلقات العلم والدرس، فخفت في داخلها الصوت الداعي والمحفز على بلوغ أرقى المقامات العبادية، وغاب عن أواسط النساء التنافس في الخير، فتراجعút قدرات النساء، وفترت الهمم، وعجزت المرأة عن القيام بأعمال البيت نفسها بإحسان لكونها لم تنبع من وعي بكونها وجه من أوجه العبادة.

5- ضمور المفاهيم التنموية في فكر المسلمين: كالعمل، والإحسان، والإصلاح، والإتقان، والإنتاج، والعلم... فاكتفى المسلمون باعتبار العلم فرض كفاية²⁴⁵ دون تحديد الجهة المكلفة بالمضي في دربه وطريقه، أو الجهة المكلفة بمتابعتها ومحاسبتها، فضاع هديه صلى الله عليه وسلم في اعتبار "العلم فريضة على كل مسلم"²⁴⁶، وميز المسلمون بين العلوم الشرعية والعلوم العصرية وبين علوم الدين وعلوم الدنيا، فكان من آثار ذلك التراجع في اكتساب العلم الشرعي نفسه، لأن "عجز الأمة عن التحقق والمعرفة لقوانين التسخير والإبداع في علوم العصر لابد أن يكون نتيجة طبيعية، وثمرة للإصابة المستحكمة في الفهم والنبوغ في العلوم الشرعية، فلو تمكنا من العلم الشرعي وتمثلنا حق تمثله لقادنا بالضرورة إلى النبوغ في علوم العصر"²⁴⁷، وبينفس المنطق أعفيت المرأة من واجب التعلم انطلاقاً من اعتبارها غير محتاجة له في الوظيفة التي حددتها لها

²⁴⁵- نقل ابن عبد البر رحمة الله تعالى الإجماع على ذلك، وقال: سائر العلم وطلبه والنفقة فيه، وتعلم الناس إياه وقوتهم به في مصالح دينهم ودنياه، والحكم به بينهم، فرض على الكفاية، يلزم الجميع فرضه، فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقيين بموضعه، لا خلاف بين العلماء في ذلك". جامع بيان العلم وفضله، ج: 1، ص: 58.

²⁴⁶- سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحدث على طلب العلم.

²⁴⁷- عمر عبيد حسنة "تأملات في الواقع الإسلامي"، ص: 87.

المجتمع، وساد القول بوجوب تعليمها مبادئ الدين التي تحتاج إليها في ممارستها للشعائر، فما أبقوا لها دنيا ولا دينا كما قال الشاعر، لأن الشعائر حينما تفرغ من وظيفتها التحفيزية تفقد دلالاتها الحقيقية وتتصبح الصلاة حركات ، والصوم جوعا...، والعبادة عادة وتتكلفا .

وفي الختام فإن المرأة معنية بوظيفة العبادة مثلها مثل الرجل، وهذه الوظيفة تقتضي التنافس في كل أوجه النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري والتنظيمي، بقصد إرضاء الله تعالى، وما واجبات الزوجية ومتطلقاتها، وما مسؤوليات الأمة وتابعاتها، إلا وجه من أوجه النشاط العبادي الذي يقدر بقدره حسب مراحل العمل المختلفة، وحسب ظروف كل امرأة على حدة، فإذا ثبت أن العبادة "تشمل كل عمل وقول يرتفع عليه شعار الاستسلام لله" ، ويذكر عليه اسمه في كل مكان وزمان(...)"²⁴⁸ ، فإننا نحتاج بالإضافة إلى إقرار ذلك، إلى تربية المجتمع المسلم من جديد على أن وظيفة العبادة مجال واسع مفتوح لا يكفي أن يأتي منه المؤمن ما استطاع، بل المطلوب التسابق والتنافس في مقاماته لتحقيق واجب العبادة بأحسن صورة وأكملها.

ولا يملك أحد أن يمنع المرأة المسلمة من بلوغ مرتبة متقدمة في هذا السياق بمقتضى فهم أو تأويل خاطئ لبعض التوجيهات النبوية .

²⁴⁸- د. أبو عجوة "المجتمع الإسلامي" (القاهرة، مكتبة مدبولي، ط:1 نوفمبر 1999م) ص:380.

البعد القيمي والديني للتنشئة الأسرية

ذ. نعيمة بن يعيش

فاعلة جموعية

تعريف الأسرة:

الأسرة هي أساس وجود الإنسان، و هي وعاء احتضانه و تنمية شخصيته و قدراته على اكتساب فن الحياة، بل هي المؤسسة المنتجة للأفراد و البانية لهم، التي تغذى فاعلية البناء الاجتماعي و الإنساني. وقد حظيت بأوقي نصيب وأوفر عناء من نظريات الفلاسفة، وآداب الحكمة، واهتمامات المصلحين، وتحليلات علماء النفس، وقوانين المشرعين، وتنظيمات الاقتصاد والمجتمع...

وإذا أردنا تعريف الأسرة انطلاقاً من المدلول اللغوي فهي :

- الأسرة لغة مشتقة من أسر أسراء، تقييد وارتباط، فهي الرباط الذي يربط ويقييد الفرد بالآخرين.
- العائلة لغة مشتقة من العائل: المسؤول: عن عدة أفراد. علماء الاجتماع يفرقون بينهما على أساس الامتداد عبر الأجيال و الحجم.
- الأسرة: الأب والأم والأبناء
- العائلة: ممتدة عبر أكثر من جيل "الأجداد ← الأحفاد.

أولاً: العلاقة بين الأسرة و قيم المجتمع:

تنبثق أحكام الأسرة ونظامها في نشأتها وعلاقات أفرادها من عقيدة المجتمع وتصوراته وتقاليده وعاداته الموروثة والمكتسبة... ولذا كلما تغيرت معتقدات ومرجعيات المجتمع الفكرية والمذهبية تغيرت أوضاع الأسرة

وأشكالها وأنماط سلوكها... # الأسرة المتمدة # الأسرة النووية... على مستوى التكافل بين أفرادها..)

1: الأسرة: الوحدة الأولى الطبيعية للمجتمع :

الأسرة هي تعبير فطري لعواطف طبيعية "الأبوة- الأمومة- البنوة وغرائز جنسية وعلاقات رحمية..." وقد يكون للأسرة أشكال طبيعية متعددة تتحقق بها هذه العواطف والغرائز على أساس وحدة الأسرة أو تعددتها تعدادا محدودا (مع تعدد الزوجات)

وعاطفة الأبوة قد تتحقق في أسرة تهيمن عليها سلطة الأب على نفوس الأبناء و مادياتهم، وقد تتحقق في أسرة سلطة الأب فيها محدودة، و شخصية الأبناء أكثر استقلالية في الحقوق المعنوية و الفكرية و المالية.

و ثبت تاريخيا و تجاريا أن الأسرة ظلت عبر الزمن هي الوحدة البنائية الأولى التي يتكون منها المجتمع، ففي النظام الشيوعي مثلاً كان الزواج يعتبر نظاما بورجوازيا يستغل فيه الرجل الزوجة والأبناء كمنتجين، كما عبر عن ذلك ماركس في البيان الشيوعي "ص 69" إلا أن النظام السوفياتي في المادة 122 من الدستور عاد لكي ينص على أهمية الأسرة حين أكد ((أن للمرأة حقوقا متساوية مع الرجل، و لا بد من حماية الدولة لمصلحة الأم و الطفل، و منح المرأة إجازة قبل الولادة و بعدها بأجر كامل، و إيجاد شبكة واسعة من بيوت الولادة و دور الحضانة و رياض الأطفال، وهذا قد ينبع عن زواج قانوني أو علاقة غير قانونية تؤمن أمومة المرأة و إن لم تكن زوجة !))

ولم تنتبه هيئة الأمم المتحدة إلى أهمية الأسرة و تخصص لها يوما عالميا إلا متأخرة - 15 مايو 1994م - بينما خصصت يوما عالميا للمرأة منذ 1945م.

إلا أن السنوات الأخيرة عرفت اهتماما متزايدا بالأسرة كوحدة أساسية لبناء المجتمع المتماسك، فها هو الإتحاد الأوروبي يناقش ضمن مواجهاته

الأساسية أهمية الأسرة، ويخصص ميزانيات ضخمة لإعادة الاعتبار لها وتشجيع قيامها... وهاهي ألمانيا تندى بضرورة الرجوع لنظام الأسرة حماية للمجتمع من التأكيل... وهاهي الولايات المتحدة وبريطانيا تصرحان بأن جنودهما الحقيقيان الذين يحمون صالح بلادهم هم المنحدرون من أسر شرعية !!

لذا لا يمكننا التفكير في أية تنمية مجتمعية إلا من خلال الأسرة، فإذا أردنا :

- منع الجرائم وإغلاق السجون فعلينا بإصلاح الأسرة .
- القضاء على السفلة وال مجرمين فعلينا بإصلاح الأسرة .
- استئصال الخطيئة والقضاء على الرذائل فعلينا بإصلاح الأسرة .
- تهذيب النفوس وتربيتها، وغرس الفضائل فيها وتنميتها فعلينا بإصلاح الأسرة .

وقد حدد علماء الاجتماع أربعة شروط أساسية لتكوين الأسرة التي تساهم في استقرار و تنمية المجتمع هي :

- أ- الاعتراف الشعري والقانوني بها.
- ب- تبادل المسؤوليات بين أطراف الأسرة حسب العرف والفترات الحياتية، وهي مهام غير معترف بها رسمياً، بل اجتماعياً.
- ج- الأطفال: بهم تكتمل الأسرة، وتتغير وتنامي المسؤوليات وترتآثر العلاقات الزوجية وتتبدل أولوياتها.
- د- النظام النفسي والذاتي الذي يتواافق عليه طرفاً الأسرة فيحدد شيئاً فشيئاً هويتها وشخصيتها، وتشكل من خلاله أدوار كل من المرأة والرجل ثم الأبناء.

2: الأسرة الحالية وتحديات العولمة :

لقد أفرز عصر التكنولوجيا مؤسسات تزاحم الأسرة في وظائفها وأدوارها كالإعلام وغيره، بل تهدد الأسرة وتشكل خطراً عليها في كثير

من الحالات ومع اعتماد نظام العولمة ونشر ثقافته التي ترتكز على فلسفة السوق والاستهلاك عبر كل الهيئات العالمية لتفكيك نظام الأسرة الذي يتناقض مع نظام السوق، لأنها تعتمد على الاقتصاد والكافية... وتعويضها بأنماط جديدة من الأسر تتشكل خارج نظام الزواج الشريعي وخارج سنة الزواج الكوني "ذكر وأنثى" أضف إلى ذلك البرنامج الذي يموله النظام العالمي الجديد، ويفرضه على الدول الإسلامية والآسيوية والإفريقية تحديد النسل ووقف النمو الديمغرافي... وإن هذا النزوع الإنساني الذي يحكم النظام العالمي الجديد ويستهدف القضاء على القيم الدينية والروحية والإنسانية في بناء الأسرة والإنسان أضحى يهدد كل المجتمعات الإنسانية... وإذا كانت المجتمعات العربية والإسلامية قد مرت عبر التاريخ بمراحل القوة والضعف، فإن المراحل الراهنة تعتبر أخطر مرحلة في تاريخها ذلك لأن هويتها أصبحت مهددة ومرجعيتها الدينية أصبحت موضع تشكيك ليس من قبل الغرب، بل من طرف أبناء هذه المجتمعات نفسها وهذا يدل على الشرخ الكبير الذي وقع في الشخصية الإسلامية على المستوى الفردي والجماعي بين الدين والتدين، وبين شخصية تقليدية يختلط عندها الدين بالخرافة وشخصية مستلبة بثقافة وقيم الآخر من جهة أخرى، كل ذلك ارتبط بالبعد عن جوهر التعاليم الدينية علماً وعملاً، مما أدى إلى فقدان العدل في واقع المسلمين، وأكثر من كان عرضة للظلم في المجتمع هو المرأة عماد الأسرة الآمنة، ليس في الحياة الأسرية فقط بل في مجالات متعددة فحرم المجتمع من جهودها وفعاليتها في بنائه واستقراره وتنميته وابتلي بسلبيتها ونتائجها الوخيمة.

3: أخطار ثقافة العولمة على الأسرة:

إن الثقافة الجديدة في إطار العولمة الثقافية باتت تحمل مفاهيم ومصطلحات غريبة بدأت تنتشر عبر وسائل الإعلام ومناهج التعليم وتعتمد في الموثيق والقوانين الدولية والإقليمية بل حتى في خطابنا اليومي! في إطار العولمة الثقافية تسعى لترسيخ قيم جديدة وإلغاء مفاهيم وقيم تعبر عن هوية ومرجعية المجتمع العربي والإسلامي، نذكر البعض منها:

- * إلغاء كلمة زوج واستبدالها بشريك
- * زوج + زوجة = كيان واحد = أسرة
- * شريك + شريكة = شركة مكونة من شريكين لكل نصيبه المحدد.
- * زعزعة السكن وقيم المودة والرحمة = إثارة نقاشات حول "الزوجة المجانية!" و"الأم المجانية.." واحتقار تعبيير "ربة بيت"
- * العاشرة الزوجية = علاقة شخصية فطرية طبيعية.. تحولت إلى قضية جماعية تتدخل فيها أطراف متعددة: الإعلام... بل إلى صناعة : كتب جنسية.. أفلام، قنوات، ملابس، مجلات، انترنيت... مما أدى إلى الاستغناء عن الزواج !
- "في بريطانيا أسست شركة لتدريب الزوجة والزوج على الخيانة دون أن يكتشف الشريك ذلك... ولها فروع... وتباحث لها في المنطقة العربية عن فرع ! "
- * الإنجاب ليس هدفا في العلاقة الزوجية .. بدأنا نسمع عنمن يطلب فتوى للزواج بأمرأة يشرط عليها ألا تنجذب !
- وبالتالي سيسهل انقراض الأسرة بسبب الإعراض عن الإنجاب
- * تشجيع المراهقين على ممارسة حق الجنس قبل الزواج وتجريم المتزوجين قبل 18 سنة
- * التوعية الجنسية "الصحية" بمقاربة غربية في مدارسنا
- * حماية الأم العازية أو الأم الانفرادية وطفلها غير الشرعي، وإهمال الأرملة والأيتام !
- * الأمم المتحدة في العشرينات الأخيرة "1995-2005" اشتغل على برامج توعية الشباب بحق ممارسة الجنس وأنفقت على الجمعيات الشريكة أكثر من 5 تريليون دولار !!

ثانياً: وظيفة الأسرة من خلال مقاصد الشريعة الإسلامية:

وضع الإسلام مبادئ وقيم تتحقق الخير والعدل في حياة الإنسان، ومن شأن وعيها والالتزام بها في الحياة الأسرية ضمان حقوق جميع الأفراد رجالاً ونساء وأبناء... وأهم هذه المبادئ:

- أ) العدل والمساواة في الأصل والتکلیف والمصیر.
- ب) الاستقلالية والحرية في الاعتقاد والحرية في العلاقات الاجتماعية والمدنية.
- ج) التشارکية والتعاون في بناء الأسرة واستقرارها واستمرارها وفي بناء المجتمع والإنسانية.

كما أن الإسلام حدد 5 مقاصد كبرى من تكوين الأسرة:

- أ) تنظيم الطاقة الجنسية وصرفها من خلال أخلاقيات التعب德 الصحيح الزواج من سنة الله ورسوله، والعلاقة الزوجية هي عمل تعبدى [إن في بعض أحدكم صدقة].
- ب) استمرار النوع الإنساني، فالإنجاب هدف أساسى من الزواج ويحرم اشتراط عدمه.
- ج) حسن التربية والتنشئة للأجيال، فالأسرة هي المحنن الأساسية الذي تنشأ فيه الأجساد والأرواح والعقول والطبائع والأذواق...
- د) عمارة الأرض والمساهمة في تنمية المجتمع.
- هـ) حفظ الأنسال وحمايتها (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفيدة)

النحل 72

من هذه المبادئ والمقاصد نستنتج أن الأسرة في المحيط الإسلامي ترتبط بالمعتقدات الإيمانية والمسؤولية عنها أمام الله، كما تتصل بالتشريع الإسلامي، وبالثقافة الأسرية الإسلامية التي نشأت مع نزول الوحي وبناء مجتمعات المسلمين.. وبذلك يمكن اعتبار هذه الثقافة جديدة على المجتمع العربي، وليس حلقة في تقالييد سابقة..

ولأهمية الأسرة ومكانتها في بناء المجتمع المستقر الآمن جاءت أحكامها مدققة في التشريع الإسلامي من زواج وطلاق ووصية وميراث وحضانة ورضاع ونفقة ولالية على النفس والمال..

وبمقدار ما يتم استحضار شروط إنشاء الأسرة في الإسلام والحرص عليها وعلى تحمل المسؤولية أثناء قيامها واحترام الحقوق والواجبات المتبادلة بين أطرافها يكون استقرارها وسعادتها دوامها، وينعكس كل ذلك على المجتمع لأنه الأسرة الأكبر والأوسع.

ويمكن إجمال وظيفة الأسرة في المجتمع العربي الحالي التي يراد لها أن تشكل الخلية المركزية التي تغذى فاعلية البناء الاجتماعي في أربع وظائف أساسية:

- أ) تكوين العلاقات العاطفية بين أفرادها.
- ب) تحقيق الأمان الروحي والفكري والاجتماعي = المساعدة في مختلف المشاكل.
- ج) التقبل والانتماء دون شروط.
- د) التنشئة والمكانة الاجتماعية.

1. دور الوظيفة الزواجية في التنمية :

▪ وظيفة استمرار الحياة والوجود :

ينبثق نظام الزواج من معين الفطرة وأصل الخلقة وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميماً (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) الذاريات 49. ويقول سبحانه: (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) يس 36

▪ وظيفة نشر السكن والمودة والرحمة :

ربط القرآن الكريم الزواج بجاذبية الفطرة بين الجنسين، وجعله هو الوضع الشرعي الوحيد للعلاقة بين المرأة والرجل (اسكن انت وزوجك الجنة)..

وحدد أهم قواعد هذه العلاقة الزوجية التي أصبحت عند المفكرين واحدة من المعجزات الإلهية الكبرى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك آيات لقوم يتفكرون). فهي اختيار مشترك ورعاية مشتركة، ومسؤولية تولد نتائج.

لذا اعتبر العلماء الزواج أقوى ميثاق شرعي اجتماعي يربط بين اثنين كانا غريبين فأصبحا كيانا متوحدا، سماه الله تعالى (ميثاق غليظا)، وهو عقد أبدى له بداية وليس له تاريخ نهاية كالعقود الأخرى.

▪ وظيفة تحقيق التوافق الزوجي :

عرف علماء الاجتماع أن التوافق الزوجي هو وجود شخصين متزوجين ولديهما ميل لحل وتجنب المشاكل، وتقبل المشاعر المتبادلة، والمشاركة في المهام، وتحقيق توقعات كل طرف من الزواج (وليام لو 1958)

كما حدد (سباني) عوامل التوافق الزوجي في :

- ✓ التوافق الزوجي في الآراء .
- ✓ التماสک الزوجي ومدى ضمان الزوجية .
- ✓ التعبير العاطفي وتحقيق الإشباع العاطفي والجنسی .
- ✓ الإشباع الزوجي وتحقيق الرضا والسعادة الحياتية .

وبما أن الأسرة المسلمة هي الأقرب للأسرة الزوجية من المنظور الحقوقى منها إلى الأسرة الأبوية التي تكون فيها سلطة الأب واسعة مهيمنة على الأفراد (زوجة + أبناء...) والأموال (كما في البيئة القبلية) إذ جعل الشرع من أهم شروطها: الإيجاب والقبول بين طرفيها، وفصلت التشريعات الإسلامية (قرآننا وسنة وعلماء...) في عناصر تكوينها الثابتة التي لا تخضع للتغيرات البيئية والتاريخية، وتميز بين الدور الزوجي والدور التربوي والدور الخدمaticي .

▪ وظيفة حماية العلاقة الزوجية :

وتتطلب 10 مهارات رئيسية :

- 1- أهداف مشتركة بين الزوجين.
- 2- الاستعداد للتطور عند الطرفين.
- 3- مهارات التواصل المتنوعة والسريعة.
- 4- استغلال الأزمات بابيجابية.
- 5- المحبة والعاطفة الوجدانية.
- 6- الاتفاق على الأدوار الأسرية.
- 7- الإشراف المتبادل والتكامل في المسؤوليات.
- 8- الرضا الجنسي والتعبير عنه.
- 9- التصرف المالي المقبول.
- 10- العاطفة الوالدية المتوازنة.

2. دور الوظيفة الوالدية في التنمية:

نستنتج من الوظيفة الزوجية بأنها وظيفة تنموية مستدامة لأن الأسرة المسلمة المؤلفة امرأة ورجل، لكل منهما حقوقه المدنية والمالية المستقلة.. وكذا من أبناء بيت قاصرين تحميهم الأسرة بالرعاية والحضانة والنفقة والتربية على فن الحياة.. و تحفظ حقوقهم الشخصية المستقلة بل تهدف أن يجعلهم يستقلون بالتدريج لإنشاء أسر جديدة، مع الحفاظ على قيمة التكافل بين جميع أفراد الأسرة بل العائلة في كل مراحل تطورها وتناميها.

الوظائف التنموية من خلال مراحل الأسرة

مراحل التطور الأسري	المكانة في الأسرة	الوظائف التنموية
1) الخطبة الزواج	خطيب - خطيبة	الاستعداد للزواج - التعرف إتمام زواج يرضي الطرفين. و الاستعداد للحمل والولادة
	زوج	
2) الزواج	زوجة	التلاؤم مع شبكة العلاقات القرابية
3) إنجاب الأطفال	زوجة - أم زوج - أب طفل ذكر أو أنثى أو كلاهما	يصبح لديهما أطفال. ويحاولان التوافق معهم ويعملان على تربيتهم
مراحل التطور الأسري	المكانة في الأسرة	الوظائف التنموية
4) أسرة المدرسة الابتدائية	زوجة - أم زوج - أب ابنة - اخت ابن - أخ	التلاؤم مع مجتمع عائلات سن المدرسة بطرق بنائه. وتشجيع تحصيل الأبناء في التعليم
5) أسرة المراهقة	زوجة - أم زوج - أب ابنة - اخت ابن - أخ	حرية نسبية مع تضاعف المسؤولية نتيجة لنضج المراهقين وتحررهم. وتكوين اهتمامات خارج نطاق الوالدية. والتقدم والترقى في العمل.

<p> إطلاق حرية الشباب في الالتحاق بالعمل أو الخدمة العسكرية أو الجامعة أو الزواج... مع توجيهات ومساعدات مناسبة</p>	<p>زوجة - أم - جدة زوج - أب - جد ابنة اخت - عمة ابن أخ - حال</p>	<p>6) أسرة البالغين</p>
<p> الإبقاء على الروابط القرابية بين الأجيال. والابتعاد عن العمل وعاليه. وتقديم الاحترام من الآخرين. والاستمتاع بالأحفاد. وظهور الأمراض. وتوقع الموت.</p>	<p>أرملة - أرمل زوجة - أم - جدة زوج - أب - جد</p>	<p>7) أسرة المتقاعدين</p>

الوصيات

- 1) العمل على تشبيك العلاقات الدولية بين الهيئات والمنظمات المشتغلة على قضايا الأسرة من أجل صياغة ميثاق كوني يحمي الأسرة الطبيعية كقيمة إنسانية ومجتمعية وأخلاقية.
- 2) إنشاء شبكة عربية إسلامية للتقوية وتفعيل وحماية الأسرة وجعلها من الأولويات السياسية والثقافية.
- 3) عقد مؤتمرات وملتقيات عربية إسلامية لتوسيع وإغناء الثقافة الأسرية وتقريب الآراء والأفكار في تحصين وحماية الوظائف الأسرية في التنشئة وترسيخ القيم والتدبر.
- 4) نشر ثقافة الأسرة والزواج ومفاهيمها الشرعية.
- 5) تأسيس ودعم مراكز لتعرف الراغبين في الزواج وتشجيعهم وتأهيلهم.
- 6) تأسيس ودعم مراكز للتأهيل في مراحل التطور الأسري.
- 7) تأسيس ودعم مراكز للتوجيه والاستماع والاستشارات الأسرية.

الإرشاد الأسري بالمغرب: الحصيلة والآفاق

د. سمية بنخلدون

أستاذة جامعية وفاعلة جموعية

وطائفة عامة

تشكل الأسرة النواة الأساسية للنظام الاجتماعي حيث تعتبر الخلية الأولى التي يستمد منها المجتمع بنياته واستمراريته وجوده ومقوماته وطاقاته الإبداعية، فهي الوحدة الأساسية التي تقوم بدور التنشئة الحضارية. لذا فاستقرار الأسرة وتماسكها وتقوية نسيجها ضروري لقيامها بوظائفها التربوية والاجتماعية والتنموية.

غير أن الأسرة الغربية أصابها اليوم الكثير من الذهول والفتور أمام أمواج التحولات والتغيرات المتسارعة المتتالية التي يشهدها العالم في مختلف مناحي الحياة من جهة. وأصابها من جهة أخرى الكثير من الحيرة أمام بعض العادات والتصورات والماوراء حول المرأة التي ألبست بلباس الشرع الإسلامي والتي تعطل طاقات المرأة والأسرة والمجتمع.

كما أن العولمة وتأثيراتها أعطت للأسرة تصوراً جديداً، غير العديد من المعايير والأسس الثقافية التي تبني عليها الأسرة الغربية مما ينذر بتفكك الأسرة وبنياتها وإعاقتها عن أداء دورها الحضاري فضلاً عن تخليها عن مركزيتها في نظامنا الاجتماعي. الأمر الذي أفرز بعض المظاهر الشاذة والغريبة عن مجتمعنا المغربي وقيم ديننا الإسلامي الحنيف، وتشريعاته الوسطية السمحاء، هذه الظواهر التي تهدد تماسك المجتمع وبنياته وما عرف عنه من تواصل وترابط وتضامن ومن هذه المظاهر:

- تزايد نسبة العزوبية وعزوف الشباب عن الزواج.
- ارتفاع معدلات الطلاق والطلاق.

- التحرش الجنسي بالأطفال.
- الأسر المتخلى عنها.
- تزايد نسبة المنحرفين والمعاطفين للمخدرات.
- تزايد عدد الأطفال المشردين.

إن هذه المظاهر تدعو إلى إيلاء الأسرة المغربية ما تستحقه من عناية والتشجيع على تماسكها والتحذير من كل مظاهر التفكك وأثارها السلبية على الفرد والمجتمع.

من هنا تأتي أهمية الإرشاد الأسري إذ يمكنه أن يؤدي دوراً أساسياً في درء التصدعات التي تتعرض لها الأسرة وتقوية فضائلها وتنمية قدراتها وتأهيلها للقيام بوظيفتها التربوية عبر:

- إشاعة ثقافة أسرية هادفة وبناءة.
- تعزيز البناء التعاقدى والأخلاقي للأسرة وتمتينه.
- تحقيق الانسجام والتواافق بين الزوجين.
- تشجيع التماสک الأسري.
- إرشاد المقبلين على الزواج وتأهيلهم لإنشاء أسرة مستقرة.
- التدخل لإصلاح ذات البين.
- تبني القضايا العادلة لكافة أطراف الأسرة.
- تشجيع احترام الوالدين.
- إقرار مفهوم العدل والإنصاف والكرامة عوض المساواة المثلية والنديمة التي ترهق كل أطراف الأسرة وتهدد بتفكيكها.

تجربة المغرب في مجال الإرشاد الأسري

مقدمة:

لم يعرف المغرب تجربة تذكر في مجال الإرشاد الأسري إلى غاية نهاية التسعينات حيث تأسست أول جمعية نسائية تعنى بالإرشاد الأسري، إذ كانت معظم الجمعيات النسائية المغربية تتبنى المفاهيم الغربية حول الأسرة وتعتمد مقاربة حقوقية صرفة تنطلق من مظلومية المرأة داخل المجتمع وضرورة الدفاع عنها بمعزل عن المنظور الشمولي للأسرة.

كما أن التشريعات في هذا الصدد، كانت تقتصر على ما كان يسمى: "بمدونة الأحوال الشخصية"، التي كانت تعتبر العلاقات داخل الأسرة أحوالاً شخصية ولا تنظر للأسرة كوحدة اجتماعية أساسية تنمية.

أما القطاعات الحكومية، فقد ظلت تفتقر إلى قطاع يهتم بالأسرة إلى غاية سنة 2002 حيث سيتم إحداث كتابة للدولة مكلفة بالأسرة والطفولة والأشخاص المعاقين ثم سيليها سنة 2004 إحداث وزارة التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن.

وبالنسبة للقضاء، فقد ظلت قضايا الأسرة تعرض على المحاكم الابتدائية العامة إلى حدود سنة 2004 حيث سيتم إحداث قضاء الأسرة والمحاكم الأسرية.

ونظراً للتحولات التي طرأت على الأسرة الغربية، وال المجال المجتمعي القوي الذي نتج عن ما سمي بـ "خطة إدماج المرأة في التنمية.." التي اقترحتها كتابة الدولة المكلفة بالمرأة سنة 1999 كتطبيق عملي لوصيات المؤتمرات الدولية حول المرأة ولا سيما المؤتمر العالمي بكين 1995، هذه الخطة التي لقيت اعتراضاً واسعاً من طرف شريحة مهمة من الشعب المغربي، وخلقت تداعياً اجتماعياً مدنياً سلرياً، عبر عن حرکية وفاعلية عاليتين للمجتمع المغربي عموماً ونخبه المثقفة على وجه الخصوص، مما أدى إلى التفكير الجدي حول مؤسسة الأسرة إن على الصعيد الحكومي أو

المدني. وكان أبرز حدث في هذا الصدد إعلان جلالة الملك محمد السادس عن الخطوط العريضة لقانون جديد ينظم العلاقات الأسرية وهو قانون: "مدونة الأسرة" في خطابه لافتتاح الدورة التشريعية الخريفية للبرلمان المغربي أكتوبر 2003، تلته مجموعة من التدابير والإجراءات التي تهم الأسرة بالنسبة لمجموعة من القطاعات الحكومية.

و سنحاول في هذه الورقة رصد أهم التشريعات التي تنظم الأسرة في مجال الإرشاد الأسري موضوع البحث، وكذا الوقوف عند مساهمة القطاعات الوزارية في هذا الصدد، وتجربة المجتمع المدني بغية اقتراح خلاصات وآفاق لتطوير التجربة.

1. المجال القانوني التشريعي

1.1 القوانين التي تنظم مجال العلاقات الأسرية بالمغرب

يمكن إجمال القوانين التي تنظم مجال العلاقات الأسرية بالمغرب في القوانين التالية :

– قانون رقم 70.03 بمثابة مدونة الأسرة ومراسيمه التطبيقية.

– قانون رقم 37.99 يتعلق بالحالة المدنية.

– قانون رقم 15.01 يتعلق بكفالة الأطفال المهملين.

– قانون رقم 83.77 في شأن الأحكام العقبة والمشتركة.

بالإضافة إلى المساطر القضائية المتعلقة بقضايا الأسرة والتي نجدها في :

– قانون المسطرة المدنية، كما تم تعديله وتميمه بالقانون رقم 72.03 الصادر موازاة للمدونة الجديدة للأسرة.

– القانون الجنائي كما تم تعديله وتميمه بالقانون رقم 24.03 الباب الثامن : في الجنايات والجناح ضد نظام الأسرة.

- قانون المسطرة الجنائية رقم 22.01 الكتاب الثالث القواعد الخاصة بالأحداث الجانحين.

تتوخى هذه القوانين ومراسيمها التطبيقية إضافة إلى مجموع المساطر القضائية إلى تنظيم المؤسسة الأسرية بالشكل الذي يحقق استمرارها وتماسكها وصيانتها من كل ظلم أو تعسف، إلا أن أهمها وأشملها هو قانون مدونة الأسرة الذي صادق عليه البرلمان المغربي بغرفتيه وبالإجماع ودخل حيز التطبيق بصدوره في الجريدة الرسمية المغربية بتاريخ 24 فبراير 2004، وهو القانون الوحيد الذي يتطرق إلى تقيين المعالجة الإصلاحية الأسرية.

حيث أعطت المدونة الجديدة أهمية بالغة للأسرة واستقرارها إذ انبنت على مبادئ محددة في ديباجة القانون مقتطفة من نص الخطاب الملكي السامي في أكتوبر 2003، وهي المبادئ التالية :

- الأخذ بمقاصد الإسلام السمحاء، في تكريم الإنسان والعدل والمساواة والمعشرة بالمعروف، وبوحدة المذهب المالكي والاجتهاد، الذي يجعل الإسلام صالحا لكل زمان ومكان، لوضع مدونة عصرية للأسرة، منسجمة مع روح ديننا الحنيف.

- عدم اعتبار المدونة قانونا للمرأة وحدها، بل مدونة للأسرة، أبا وأما وأطفالا، والحرص على أن تجمع بين رفع الحيف عن النساء، وحماية حقوق الأطفال وصيانته كرامة الرجل.

هذه المبادئ تجعل من الأسرة المغربية، القائمة على الرعاية المشتركة للزوجين، وللودة والمساواة والعدل والمعشرة بالمعروف والتنشئة السليمة للأطفال، لبناء جوهرية في بناء المجتمع باعتبار الأسرة نواته الأساسية.

ونظراً لكون موضوع البحث يتعلق بالإرشاد الأسري فلن نقدم في هذه الورقة قراءة شاملة لمدونة الأسرة وإنما سنقف عند مواد القانون التي قد تفيد علاقة بمجال الإرشاد الأسري.

1.2 المدونة و مسطرة الصلح

مجموع مواد القانون التي قد تفيد علاقة بمجال الإرشاد الأسري ستة مواد واردة في الكتاب الثاني من المدونة تحت عنوان: "انحلال ميثاق الزوجية"، إذ لا يوجد بالمدونة بشكل مباشر ما يفيد مجال الإرشاد الأسري كإجراء وقائي احترازي قبلي وإنما تتعلق المواد المذكورة بالإرشاد الأسري كإجراء علاجي إصلاحي بعدي في إطار محاولة الصلح بين الزوجين عند طلب الطلاق أو التطليق.

ففي قسم الطلاق تحدد المادة 81 و 82 مسطرة الصلح حيث تنصان على:

المادة 81: تستدعي المحكمة الزوجين لمحاولة الإصلاح.

إذا توصل الزوج شخصياً بالاستدعاء ولم يحضر، اعتبر ذلك منه تراجعاً عن طلبه.

إذا توصلت الزوجة شخصياً بالاستدعاء ولم تحضر، ولم تقدم ملاحظات مكتوبة، أخطرتها المحكمة عن طريق النيابة العامة بأنها إن لم تحضر فسيتم البت في الملف.

إذا تبين أن عنوان الزوجة مجهول، استعانت المحكمة بالنيابة العامة للوصول إلى الحقيقة، وإذا ثبت تحايل الزوج، طبقت عليه العقوبة المنصوص عليها في المادة 361 من القانون الجنائي بطلب من الزوجة.

المادة 82: عند حضور الطرفين، تجري المناقشات بعرفة المشورة، بما في ذلك الاستماع إلى الشهود ولمن ترى المحكمة فائدة في الاستماع إليه.

للمحكمة أن تقوم بكل الإجراءات، بما فيها انتداب حكمين أو مجلس العائلة، أو من تراه مؤهلاً لإصلاح ذات البين. وفي حالة وجود أطفال تقوم المحكمة بمحاولتين للصلح تفصل بينهما مدة لا تقل عن ثلاثين يوماً.

إذا تم الإصلاح بين الزوجين حرر به محضر وتم الإشهاد به من طرف المحكمة.

وفي قسم التطليق، الباب الأول التطليق بطلب أحد الزوجين بسبب الشقاق، نجد المادتان 94 و95 تنصان على محاولة الصلح وهذا نصهما:

المادة 94: إذا طلب الزوجان أو أحدهما من المحكمة حل نزاع بينهما يخاف منه الشقاق، وجب عليها أن تقوم بكل المحاولات لإصلاح ذات البين طبقاً لأحكام المادة 82 أعلاه.

المادة 95: يقوم الحكمان أو من في حكمهما باستقصاء أسباب الخلاف بين الزوجين وبيذل جهدهما لإنهاء النزاع.

إذا توصل الحكمان إلى الإصلاح بين الزوجين، حرر مضمونه في تقرير من ثلاثة نسخ يوقعها الحكمان والزوجان ويرفعانها إلى المحكمة التي تسلم لكل واحد من الزوجين نسخة منه، وتحفظ الثالثة بالملف ويتم الإشهاد على ذلك من طرف المحكمة.

وفي قسم الطلاق بالاتفاق، نجد المادة 114 تنص كذلك على الصلح وهذا نصها:

المادة 114: يمكن للزوجين أن يتتفقاً على مبدأ إنهاء العلاقة الزوجية دون شروط، أو بشروط لا تتنافي مع أحكام هذه المدونة، ولا تضر بمصالح الأطفال.

عند وقوع هذا الاتفاق، يقدم الطرفان أو أحدهما طلب التطليق للمحكمة مرفقاً به للإذن بتوثيقه.

تحاول المحكمة الإصلاح بينهما ما أمكن، فإذا تعذر الإصلاح، أذنت بالإشهاد على الطلاق وتوثيقه.

وفي قسم الطلاق بالخلع، تنص المادة 120 على:

إذا اتفق الزوجان على مبدأ الخلع، واختلفا في المقابل، رفع الأمر إلى المحكمة لمحاولة الصلح بينهما، وإذا تعذر الصلح، حكمت المحكمة بنفاذ الخلع بعد تقدير مقابلة، مراعية في ذلك مبلغ الصداق، وفتررة الزواج، وأسباب طلب الخلع، والحالة المادية للزوجة.

إذا أصرت الزوجة على طلب الخلع، ولم يستجب لها الزوج، يمكنها اللجوء إلى مسطرة الشقاق.

هذا جرد بجميع المواد التي تحدث عن الصلح وباستقرائهما نجدها في مجملها تحت على أهمية الصلح، وتحت القضاء على بذل الجهد من أجل رأب الصدع باعتماد كل الأساليب واتخاذ كل الإجراءات بما فيها انتداب حكمين أو مجلس عائلة، أو من يراه القاضي أهلاً ومؤهلاً لصلاح ذات البين على اعتبار أن الطلاق أبغض الحال وانه من الواجب العمل على تماسك الأسر واستقرارها، غير أن المتمعن في هذه المواد والمتابع لمسار القضايا الأسرية بمختلف المحاكم يلاحظ صعوبات كثيرة تعيق القضاء، في إتباع مسطرة الصلح منها قلة الأطر المتخصصة في المجال وكذلك ضيق الفضاء المخصص لاستقبال الأزواج وإجراء الصلح، مما يستوجب إيجاد صيغ قانونية واضحة تضمن نجاح مسطرة الصلح وتحقيق الألفة بين الزوجين المتراضيين وهو ما نص عليه تقرير لجنة العدل والتشريع وحقوق الإنسان بمجلس النواب عقب المهمة الاستطلاعية التي قامت بها اللجنة بتاريخ 6 ماي 2004 حول ظروف تطبيق مدونة الأسرة ببعض أقسام القضاء الأسري بالمحاكم الابتدائية، حيث نصت التوصية الرابعة من التقرير المذكور على ضرورة خلق مؤسسات مستقلة تتكمال مع القضاء خاصة بالإرشاد والتوجيه والإصلاح تضم مختصين في العلوم الشرعية والاجتماعية والقانونية.

كما أن الجمعيات المشغلة بالإرشاد الأسري ما فتئت تطالب بإصدار نصوص قانونية تنظم مجال اشتغالها وتمكينها من المساهمة في مسطرة الصلح وإرشاد الوافدين على القضاء الأسري في قضايا الطلاق وهو ما نجده مثلاً في المذكرة المطلبية التي رفعها منتدى الزهراء للمرأة المغربية إلى الهيئات المعنية بتاريخ 15 ماي 2006 والتي نصت المادة 2 منها على: "ضرورة إيجاد آليات لترسيخ مفهوم التماسك الأسري ومنها تشجيع المراكز التي تعنى بالإرشاد الأسري وإشراكها في تفعيل مسطرة الصلح وجعل محاضرها تحظى بحجية قانونية كما هو الحال في بعض الدول العربية، من خلال تفعيل المادة 82 من قانون مدونة الأسرة"، كما نصت المادة 3 من نفس المذكرة على: "اعتماد أسلوب الشراكات بين كل من المجالس العلمية وقضاء الأسرة ومراكز الإرشاد الأسري لتفعيل المقتضيات الشرعية والقانونية لمسطرة الصلح".

وإجمالاً يمكن أن نقول أن التشريع المغربي في مجال الأسرة عرف قفرة نوعية بدخول مدونة الأسرة حيز التطبيق، في تشتيت بمقاصد الإسلام السمحنة في العدل والمساواة والتضامن، واجتهاد وانفتاح على روح العصر ومتطلبات التطور والتقدم، وهو المكسب الذي يجب تحصينه من الناحية التشريعية بسن قوانين تنظم مجال الإرشاد الأسري وتساهم في تكامل القوى العاملة في المجال لتحقيق استقرار أسري فعال.

2. القطاعات الحكومية المتدخلة

1.2. وزارة العدل وتجربة قضاء الأسرة:

بالموازاة مع مناقشة قانون مدونة الأسرة بالبرلمان وجه جلالة الملك محمد السادس رسالة إلى وزير العدل. ذكرها جلالته في خطابه السامي بالبرلمان أثناء افتتاح دورة أكتوبر 2003 بقوله: "وحرصاً من جلالتنا، على توفير الشروط الكفيلة بحسن تطبيق مدونة الأسرة، وجهنا رسالة ملكية إلى وزيرنا في العدل. وقد أوضحنا فيها أن هذه المدونة، مهما تضمنت من عناصر الإصلاح، فإن تفعيلها يظل رهينا بإيجاد قضاء أسري

عادل، وعصرى وفعال، لا سيما وقد تبين من خلال تطبيق المدونة الحالية، أن جوانب القصور والخلل لا ترجع فقط إلى بنودها، ولكن بالأحرى إلى انعدام قضاء أسرى مؤهل، ماديا وبشريا ومسطريا، لتوفير كل شروط العدل والإنصاف، مع السرعة في البت في القضايا، والتعجيل بتنفيذها.

كما أمرناه بالإسراع بإيجاد مقررات لائقة لقضاء الأسرة، بمختلفمحاكم المملكة، والعناية بتكوين أطر مؤهلة من كافة المستويات، نظرا للسلطات التي يخولها هذا المشروع للقضاء، فضلا عن ضرورة الإسراع بإحداث صندوق التكافل العائلي.

كما أمرناه أيضا، بأن يرفع إلى جلالتنا اقتراحات بشأن تكوين لجنة من ذوي الاختصاص، لإعداد دليل عملي، يتضمن مختلف الأحكام والنصوص، والإجراءات المتعلقة بقضاء الأسرة، ليكون مرجعا موحدا لهذا القضاء، وبمثابة مسيطرة لمدونة الأسرة، مع العمل على تقليل الآجال، المتعلقة بالبت في تنفيذ قضaiاتها الواردة في قانون المسطرة المدنية، الجاري به العمل.” انتهى كلام جلاله الملك.

وبناء على هذه التوجيهات الملكية أعدت وزارة العدل سنة 2004 مشروع قانون يعدل القانون المتعلق بالتنظيم القضائي للمملكة، أحدثت بموجبه أقسام قضاء الأسرة، وتم تزويد هذه الأقسام بالوسائل المادية والتقنية، إضافة إلى إعداد الأطر القضائية المؤهلة لتحمل مسؤولية قضاء الأسرة، كما أحدثت شعبة بالمعهد العالي للقضاء لتكوين قضاة متخصصين في القضاء الأسري، واتخذت الوزارة بعض التدابير التطبيقية نذكر منها:

- الحث على إشاعة ثقافة التصالح داخل المحيط الأسري، وذلك بهدف الحفاظ على كيان الأسرة، وضمان تماสكتها، باعتبار أن الصلح يجد سنته في الشريعة الإسلامية السمحنة، وفي التقاليد والأعراف الغربية العريقة، وهو ما كرسه مدونة الأسرة.

- إعداد مشروع مرسوم مجلس العائلة (المادة 251 من مدونة الأسرة) بتحديد كيفية تكوين هذا المجلس وتسيره ومهامه.
- تنظيم أيام دراسية استفاد منها 320 قاضيا على أربع فترات كان من بين مؤطريها بعض أعضاء اللجنة الاستشارية الملكية المكلفة بمراجعة مدونة الأحوال الشخصية، ومن كلفوا بإعداد الدليل العملي لمدونة الأسرة، كما استفاد منها بعض مساعدي القضاة.

- وضع مطويات مبسطة من أجل تنوير كل من له اهتمام أو مصلحة بالإجراءات المطبقة، وذلك في المواضيع التالية: الزواج، الطلاق، زواج وطلاق المغاربة المقيمين بالخارج، التطليق، الحضانة، النفقة، الأهلية والنهاية الشرعية، كفالة الأطفال المهملين.

بالإضافة إلى ذلك تم إحداث خلية خاصة بقضاء الأسرة تتكون من قضاة متخصصين وأطر عليا عهد إليها بالقيام بعده مهام من بينها:

- تتبع كل ما يهم وضعية أقسام قضاء الأسرة، سواء تعلق الأمر بالنشاط الصادر عنها، أو بمقارتها، أو بتجهيزها بوسائل العمل المادية والتقنية والبشرية، وذلك من خلال فتح ملف خاص بكل قسم من هذه الأقسام، ورصد الخصائص الحاصل فيها، والمعوقات التي تنتاب سير العمل بها.

- القيام بزيارات تفقدية تتوجه إلى المراقبة، والوقوف على المشاكل المعروضة، وتوجيه العمل القضائي.

- معالجة الشكايات الواردة على الوزارة.

وقد كان مختلف هذه التدابير أثرا إيجابيا على واقع الأسرة المغربية، فبالنسبة للزواج سجل سنة 2005 ارتفاعا بنسبة 3.48% مقارنة مع سنة 2004، وبالنسبة للطلاق فقد بلغ عدد رسوم الطلاق سنة 2003 ما مجموعه 44922 رسميا في حين انخفض هذا العدد إلى 29668 رسميا سنة 2005 كما بدأت محاكم الأسرة تفعل بنود المدونة المتعلقة بالصلح وقد نجحت في إيقاعه فيما يخص طلبات التطليق بنسبة 17.47% سنة 2005

حسب الإحصائيات الرسمية لوزارة العدل وهي نسبة مهمة بالمقارنة مع السنوات الماضية وإن كانت تبقى ضئيلة بالمقارنة مع ما تحققه مراكز الإرشاد الأسري حيث تصل بعض هذه المراكز إلى نسبة 70% من الصلح كمركز كرامة بمدينة طنجة وهو أحد مراكز الإرشاد الأسري التابعة لمنتدى الزهراء الغربية ، مما يؤكد على ضرورة تضافر جهود مختلف الفاعلين في المجال الأسري من قطاعات حكومية ومدنية وإعلامية وتربيوية لتعزيز المكتسبات والتطلع إلى رفع مستوى العمل إلى ما هو أفضل ومواجهة كافة التحديات والصعب بغية تقوية فضاء الأسرة وتمكينها من القيام بدورها المجتمعي التنموي المنوط بها.

2.2 . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الإرشاد الأسري بالمجالس العلمية

أطلق جلاله الملك محمد السادس مشروع إعادة هيكلة الحقل وإصلاحه بغية تجديده وتأهيله ليقوم بالدور المنوط به (خطاب أبريل 2004). وفي هذا الإطار قرر تشكيل المجالس العلمية والمجلس العلمي الأعلى من علماء أكفاء مشهود لهم بالإخلاص لتوابث الأمة، والجمع بين فقه الدين والانفتاح على قضايا العصر، بغية الإسهام العقلاوي الهدف في تصحيح صورة الإسلام والمساهمة الإيجابية في حل مشاكل العصر وتنمية الوعي الديني.

وقد حرص جلاله الملك على إشراك المرأة في هذا الإطار بقوله: "ويقينا منا بما بلغته المرأة المغربية بحكم تكوينها العلمي ومشاركتها الفاعلة في كل الميادين وممارستها لكل المسؤوليات من مؤهلات جديرة بالاعتبار، كفيلة بجعل المجالس العلمية تنفتح على كل الشؤون الاجتماعية والدينية الملائمة لكل المواطنات والمواطنين على حد سواء، قررنا إشراك المرأة العاملة في هذه المجالس إنصافا لها وثقة في إيجابيتها إسهامها فيه".

وبالفعل عين جلاله الملك ولأول مرة في تاريخ المغرب الحديث 36 امرأة موزعة على مختلف المجالس العلمية بالملكة المغربية وكذا امرأة بالمجلس العلمي الأعلى، كما فتح جلالته الباب للمرأة المغربية بتمكينها من إلقاء الدروس الدينية أمام جلالته خلال الدروس الدينية الحسنية التي تنظم خلال شهر رمضان الكريم ويحضرها الفقهاء والعلماء من المغرب وخارجه وتبث مباشرة على أمواج الإذاعة وشاشة التلفزة. وقد ساهمت هذه الدروس بشكل إيجابي في مجال الإرشاد الأسري حيث انصبت مواضيعها حول الأسرة كموضوع: "نظام الأسرة في عالم متغير" وموضوع: "الاجتهاد في المسألة النسائية"، كما استطاعت المرأة المغربية أن تطور من مهاراتها حيث ولجت معهد برنامج تكوين الأئمة والمرشدات.

وقد حرصت المجالس العلمية المحلية على إحداث خلايا دائمة مكلفة بشؤون المرأة والأسرة حيث حدد البرنامج السنوي لعمل المجالس العلمية لعام 2007م، 12 بابا كان من بينها باب العمل الاجتماعي الذي يشمل محورين: محور المرأة والأسرة ومحور الطفولة والشباب وهذا نصهما:

المحور الأول: المرأة والأسرة.

وعيا بالأهمية الكبرى التي تقوم بها المرأة في تربية النشء التربية السليمة، وقصدًا إلى الرفع من مستواها المعرفي والديني لما لذلك من آثار إيجابية على الأسرة:

- تحرص المجالس العلمية المحلية -في إطار عموم أنشطتها- على أن تحظى قضايا المرأة والأسرة بنصيب وافر.
- تُحدث خلية دائمة مكلفة بشؤون المرأة والأسرة.
- تسهر المجالس العلمية المحلية على استثمار الأيام الوطنية والعالمية المخصصة للأسرة.
- تعمل المجالس العلمية المحلية على الرفع من مستوى الوعاظات العلمي والمعرفي عبر دورات التكوين والتكتوين المستمر.

- تُنظم برامج لتحفيظ القرآن الكريم لفائدة المرأة خاصة.
- تُعقد دروس منتظمة لفائدة المرأة في مجالات العلوم الشرعية المختلفة (الفقه، السيرة، التجويد...).
- تُكشف الجهد الرامية إلى استهداف نساء العالم القروي، وإبراز تضحياتها وأدوارهن في بناء إنسان الصالح.
- تهتم المجالس العلمية المحلية بإيصال أنشطتها إلى النساء اللائي يوجدن في وضعية صعبة (السجون، الإصلاحيات، دور الأيتام...).
- تقام دورات إرشادية وتوجيهية للمقبلين على الزواج يؤطرها متخصصون في المجال، وأخرى لفائدة الأسر حديثة النشأة.
- ترعى المجالس العلمية المحلية -تعاون مع المحسنين- مشاريع تيسير سبل الزواج (الأعراس الجماعية، منح للمعوزين...).
- تدرس المجالس العلمية المحلية إمكانية تشكيل لجن لفض النزاعات الأسرية.
- وضع إستراتيجية محكمة لتفعيل المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

المحور الثاني: الطفولة والشباب.

وعياً بالمكانة المتميزة التي تحملها فئة الطفولة والشباب في المجتمع باعتبارها بانية لغرب المستقبل، ورغبة في الارتقاء بها فكريًا وروحياً، وتمتيناً للصلة بهويتها :

- تحرص المجالس العلمية المحلية -في إطار عموم أنشطتها- على أن تحظى قضايا الطفولة والشباب بنصيب وافر.
- يعتمد في التواصل مع هذه الفئة خطاب مرن ينسجم وروح العصر - بلا إفراط ولا تفريط-، مع مراعاة لخصوصيات الأجيال الصاعدة ونظرتها لواقعها، ويعرض لهم الإسلام في صورة تحفييّة نفوسهم، وتعيد لهم الثقة في هويتهم، وتمكن من استقطاب هممهم، وتسخيرها في بناء الوطن والمجتمع.

- تعمل المجالس العلمية المحلية على توسيع وتنويع دائرة الأنشطة الموجهة للطفلة والشباب (تحفيظ القرآن الكريم صيفاً، معارض، صبحيات، مسابقات، حصن الدعم...).
- تسعى المجالس في التواصل والتعاون مع الجمعيات العاملة في حقل رعاية الطفولة والشباب، وفي لوج فضاءات هذه الفتاة ومنتدياتها.
- تجتهد المجالس العلمية المحلية في أن تهم أنشطتها فئة الطفولة والشباب الموجودة في وضعية صعبة، وأن توجه العمل الإحساني لخدمتها (الإعذار، توزيع الحقائب المدرسية...).
- الإسهام في الحملة الوطنية لدعم التمدرس والحد من ظاهرة الهدر المدرسي.
- استعانة المجالس العلمية بالخبراء المتخصصين في الطفولة.
- الاهتمام بالتلاميذ والتلميذات والانفتاح عليهم والاستماع لمشاكلهم وترشيد تصوراتهم.

وبالفعل فقد عرفت خلايا شؤون المرأة والأسرة بالمجالس العلمية دينامكية مشهودة في جميع أنحاء المملكة، بتنظيم دروس التوجيه والإرشاد بالمساجد لفائدة النساء وهي دروس تشمل الإرشاد الديني وكذا الإرشاد الأسري، كما نظمت هذه الخلايا العديد من المحاضرات والندوات الموجهة للشباب في المدارس والثانويات ودور الشباب، وبدأت بعض المجالس بتشكيل لجن متخصصة في فض النزاعات الأسرية، (المجلس العلمي بالجديدة نموذجاً)، وعرفت هذه التجربة نجاحاً واسعاً، إلا أنه لحد الآن لم توثق بعد هذه التجربة (نظراً لحداثة عهدها) عبر دراسات إحصائية وميدانية تمكن الدارس والباحث والممارس من رصد إيجابياتها والاستفادة منها.

بالإضافة لهذا النشاط المباشر في إطار الإرشاد الأسري والعمل على إشاعة ثقافة الصلح بين الأزواج وثقافة مركبة الأسرة عند الشباب عبر

اللقاءات والمحاضرات والندوات، فقد عملت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على استثمار مجال الإعلام بإعداد برامج تتناول قضايا الأسرة توجيهها وتحليلها وتصحيفها، كبرنامج مفاهيم نسائية بإذاعة محمد السادس للقرآن الكريم، ونساء الإسلام باللغة الفرنسية وغيرها.

كما أن الخط الأخضر الذي خصصته الوزارة لطلب الفتوى والإرشاد الديني، غالباً ما يتلقى مكالمات تخص المجال الأسري، حيث يقوم العلماء والعلمات بالإجابة على أسئلة المواطنين ويوجهونهم على الصلح انطلاقاً من قوله تعالى: "وَإِنْ امْرَأً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نِسْوَةً أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْالِحَا بَيْنَهُمَا صَلْحًا، وَالصَّلْحُ خَيْرٌ"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةُ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلِي يا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ.." .

3.2 . كتابة الدولة المكلفة بالأسرة:

أحدث هذا القطاع الحكومي في التشكيلة الوزارية نوفمبر 2002، بينما لم يعرف المغرب قطاعاً يهتم بأوضاع المرأة والأسرة إلى غاية حكومة 1997م التي أحدثت كتابة الدولة مكلفة بالمرأة فقط، ثم حكومة 2002 ألغيت هذه الكتابة وأحدثت كتابة الدولة مكلفة بالأسرة والطفولة والأشخاص المعاقين.

وكان من المنتظر أن يضع هذا القطاع مخططاً يروم إصلاح أوضاع الأسرة وتنمية فضاءاتها بمنظور شمولي ومقاربة تراعي جميع الأطراف المكونة للأسرة. إلا أن الملاحظ هو أن هذا القطاع واصل اعتماد المقاربة التجزئية السابقة وذلك بالاهتمام بقضايا المرأة بمعزل عن شمولية الأسرة وهو ما يظهر من خلال إستراتيجية خطة عمل كتابة الدولة 2003-2007 والتي اقتصرت على 5 مجالات أساسية وهي :

- خطة العمل التنفيذية للإستراتيجية الوطنية لمحاربة العنف ضد النساء.

- الإستراتيجية الوطنية لإدماج مقاربة النوع الاجتماعي.
- خطة العمل الوطنية للطفولة : "مغرب جدير بأطفاله".
- خطة العمل الوطنية لإدماج الأشخاص في وضعية إعاقة.
- الإستراتيجية الوطنية لحماية الأشخاص المعاقين.
- إضافة على إصدار ميثاق وطني لتحسين صورة النساء في الإعلام.
- وانطلاقا من هذه الإستراتيجية، سطرت كتابة الدولة مجموعة من البرامج تروم النهوض بأوضاع المرأة نذكر منها :

 - دعم مراكز الاستماع للنساء ضحايا العنف وتقوية قدراتها بخلاف مالي بلغ 1.2 مليون درهم سنة 2006.
 - تنظيم دورات تكوينية لفائدة الصحافة والمستثمرين في إطار المخطط التنفيذي للميثاق الوطني لتحسين صورة المرأة في الإعلام.
 - تنظيم حملة سنوية لمحاربة العنف ضد النساء، كان آخرها تنظيم الحملة الوطنية الرابعة لمحاربة العنف ضد النساء من 20 نوفمبر إلى 10 ديسمبر 2006.
 - إنجاز افتتاح حسب النوع الاجتماعي بثلاث قطاعات حكومية.

كما تم إحداث مجموعة من المؤسسات المتخصصة في مجالات تدخل كتابة الدولة (الطفولة - الإعاقة) أما بالنسبة لمجال الأسرة، فلم يتم إحداث مؤسسات مهتمة بالأسرة ككل وإنما بالمرأة فقط وهي المؤسسات التالية :

- المركز المغربي للإعلام والتوثيق والدراسات حول المرأة: تم إحداثه سنة 2004، من مهامه الأساسية دعم وتتبع السياسات الوطنية في مجال النهوض بأوضاع المرأة بإدماج مقاربة النوع الاجتماعي، وإنجاز الدراسات والأبحاث حول المرأة وتعديمهها .

- المركز متعدد الوظائف للنساء بورزازات: شرع هذا المركز في تقديم خدماته المختلفة ابتداء من سنة 2005 وفق برنامج عمل يهدف بالأساس إلى تنسيق ودعم جهود كل المبادرات المحلية في مجال الصحة الإنجابية والأنشطة المدروة للدخل ومحاربة الأمية في صفوف النساء.

- المركز الجهوي للمرأة بطنجة: وهو مشروع يجري إنجازه في إطار التعاون بين كتابة الدولة وحكومة الأندلس المستقلة بإسبانيا، من مهامه وضع ودعم الأنشطة الموجهة للنهوض بأوضاع النساء بنشر ثقافة المساواة بين الجنسين بالجهة، ويرتكز في عمله على بنية من المراكز المحلية بكل من مدن ططوان ملوسة -العرائش الشاون

- الرقم الأخضر الوطني لفائدة النساء ضحايا العنف: انطلقت خدمات الرقم الأخضر الوطني 080008888 لفائدة الفتيات والنساء ضحايا العنف في نوفمبر 2005، في إطار تفعيل الإستراتيجية الوطنية لمناهضة العنف ضد النساء. يشرف على سير وعمل الرقم الأخضر طاقم من مستعمرات يتوفرون على خبرة تقنية في المجال. ويستقبل مكالمات المشتكيات باللغة العربية والأمازيغية. ويمكن هذا الرقم من استقبال المكالمات المستعجلة وفق نظام زمني ي العمل بالياومة حتى منتصف الليل، وطيلة أيام الأسبوع. وي العمل على تسجيل الشكايات وتوجيهها للهيئات المؤسساتية المتعاونة بما فيها هيأكل الصحة، والعدل، والأمن الوطني والدرك الملكي بالنسبة للحالات المستعجلة وإلى مراكز الاستماع والتوجيه والإرشاد للنساء ضحايا العنف.

- المرصد الوطني لمحاربة العنف ضد النساء: بنية مركبة تنسيقية أحدثت على مستوى كتابة الدولة في إطار تفعيل الإستراتيجية الوطنية لمحاربة العنف ضد النساء، من أدوارها الأساسية الرصد وتجميع المعطيات والبيانات الكمية والنوعية حول تفشي ظاهرة العنف ضد النساء، ويضم المرصد في عضويته ممثلين عن كل من وزارة الصحة، وزارة العدل، وزارة التربية الوطنية، وزارة الاتصال، الإدارة العامة للأمن الوطني والدرك

الملكي والمندوبية السامية للتحطيط و8 ممثليين عن النسيج الجماعي العامل في المجال وكذا ممثليين عن مراكز ووحدات البحث الجامعية. ويعمل على إنجاز مشروع وضع منظومة معلوماتية تمكن من تحليل المؤشرات المرتبطة بظاهرة العنف ضد النساء.

وعلى مستوى التشريع، فقد اشتغلت كتابة الدولة المكلفة بالأسرة والطفولة والأشخاص المعاقين من 2003 تاريخ إحداثها إلى الآن 2007 على 3 مشاريع قوانين وهي: مشروع قانون حول وحدات حماية الطفولة، مشروع قانون حول العنف ضد النساء (في طور المصادقة)، مشروع قانون حول الخدمات في البيوت (في طور المصادقة).

وفي المحصلة يمكن أن نقول أن تجربة كتابة الدولة في الأسرة والطفولة والأشخاص المعاقين في مجال الإرشاد الأسري اقتصرت على الجانب المتعلق بالنساء ضحايا العنف حيث جندت له قدرات هامة من الناحية التشريعية والمؤسسية والتقنية والمالية، وهو برنامج مهم إذ لا يمكن تصور استقرار أسري في ظل تنامي ظاهرة النساء المعنفات إلا أن هذا البرنامج يحتاج إلى تجديد وتطوير لشمل مجالات الإرشاد الأسري الوقائية والإصلاحية والإنمائية، باعتماد مقاربة إرشادية شمولية بعيداً عن النظرة التجزئية التصارعية.

3. المجتمع المدني(الجمعيات الأهلية)

3.1 مراكز الاستماع للنساء ضحايا العنف: التاريخ والمقاربة

عرف المجتمع المغربي ظهور الجمعيات النسائية منذ عهد الاستعمار حيث تأسست جمعية أخوات الصفا في الخمسينيات من القرن الماضي كحركة داعمة لطلب استقلال المغرب. كما شاركت المرأة المغربية في حركة مقاومة الاستعمار بمختلف الوجوه، ومع مطلع الاستقلال تأسست جمعيات نسائية اقتصر اشتغالها في الغالب على الجانب الاجتماعي في بعده الإحساني الخيري.

ومع بداية السبعينات أخذت تبرز الحركة النسائية كحركة مطلبية حقوقية من خلال قطاعات نسائية لأحزاب سياسية خاصة منها الأحزاب ذات التوجه اليساري.

وقد تفاعلت هذه الحركات بشكل كبير مع المحيط العام الدولي والاتفاقيات والمعاهدات الدولية ولاسيما اتفاقية القضاء على جميع أنواع التمييز ضد المرأة سنة 1979، وتخصيص العقد 75-85 كعقد خاص بالمرأة.

ومع مطلع الثمانينات واستجابة للتوجهات الدولية، فقد بدأت الحركة النسائية المغربية ت نحو نحو خلق جمعيات ومنظمات نسائية مستقلة عن الأحزاب السياسية من أجل تشكيل جبهة نسائية انصبت مطالبها على تعديل بنود مدونة الأحوال الشخصية وإحراق مساواة مثلية وميكانيكية بين الرجل والمرأة.

في بداية التسعينات، وتفعيلاً لبنود الاتفاقية الأممية بفيينا 1993 التي نصت على ضرورة مناهضة العنف ضد النساء، ستتجه هذه الحركة إلى خلق مراكز سميت بـمراكز الاستماع للنساء ضحايا العنف، تتعلق من مظلومية المرأة وتنتصب كطرف مدني للدفاع عن حقوقها بالمحاكم. بالموازاة مع ذلك ستستمر مطالبها المتعلقة بتعديل مدونة الأحوال الشخصية ثم ستساهم هذه الحركة انطلاقاً من توصيات المؤتمر العالمي للمرأة بيكون 1995 إلى جانب كتابة الدولة المكلفة بالمرأة آنذاك في وضع مشروع خطة سميت بـ"خطة إدماج المرأة في التنمية" سنة 1999، هذا المشروع الذي كان سبباً في خلق تدافع مجتمعي مدني واسع بين معارض ومؤيد للخطة المذكورة، وبين منطلق من سمو المرجعية الإسلامية على باقي المرجعيات ومن مطالب بتفعيل مرجعية الاتفاقيات الدولية جملة وتفصيلاً.

وهو السجال الذي انتهى بتدخل ملكي، انطلاقاً من إمارة المؤمنين حيث أعلن جلالته أنه بصفته أميراً للمؤمنين فهو لن يحل ما حرم الله ولن يحرم ما أحله، وشكل لجنة استشارية ضمت العلماء والفقهاء إلى

جانب الخبراء والقضاة أنهت أشغالها باقتراح مدونة جديدة للأسرة، أعلن عنها جلالته في خطاب أكتوبر 2003 أمام البرلمان وصادق عليها البرلمان بعد دراستها وتعديل بعض بنودها في فبراير 2004، وهي المدونة التي تميزت باعتمادها على المرجعية الإسلامية مع الانفتاح والاجتهداد من داخل المنظومة الإسلامية ومراجعة قيم المجتمع المغربي.

وعموما فالحركة النسائية التي اتجهت إلى خلق مراكز استماع للنساء ضحايا العنف، تتبني في غالبيتها مقربة حقوقية صرفة، تنتصر للمرأة دائماً بمعزل عن شمولية الأسرة. وقد نجحت هذه المراكز بالفعل في التنبية إلى ظاهرة العنف ضد النساء وضرورة الحد منها، إلا أنها في المقابل لم تنجح في إرساء قواعد أسرية متينة نظراً لعدم اهتمامها بشمولية الأسرة، حيث غالباً ما تنتهي الحالات التي ترد على هذه المراكز بالطلاق أو التطليق، وبواحدة على هذه المراكز أنها تقارب مشاكل المرأة من زاوية واحدة وهي زاوية السلطة المخولة للرجل.

موازاة مع ذلك وفي نفس الفترة أي في التسعينيات برز اتجاه آخر و摩وجة أخرى للحركة النسائية وهي الحركة التي تتبني المقاربة الشمولية لموضوع المرأة والأسرة في مقابل المقاربة التجزئية المهمة بالمرأة والاقتدار على البعد الحقوقي.

وهي الحركة التي برزت سنة 1992 بإنشاء "الجمعية المغربية للتربية ورعاية الأسرة" بالعاصمة الرباط تلتها سنة 1995، "منظمة تجديد الوعي النسائي" التي كانت أول منظمة نسائية تعنى بمجال الإرشاد الأسري حيث فتحت سنة 1999 مركزاً سمه: "مركز الترشيد الأسري والاستشارة القانونية" بالعاصمة الاقتصادية للمغرب الدار البيضاء.

بعد ذلك سيتم إنشاء العديد من الجمعيات النسائية التي تتبني نفس المقاربة في موضوع المرأة والأسرة وستعمل هذه الجمعيات فيما يعد على تشكيل جبهة نسائية تتلوى الدفاع عن حقوق المرأة وتبني قضائها على العدالة إلى جانب التركيز على استقرار الأسرة وتماسكها، وهكذا شكلت

مجمل هذه الجمعيات منتدى أطلقت عليه اسم: "منتدى الزهراء للمرأة المغربية" الذي رفع شعار: "امرأة مكرمة - أسرة متماسكة: تنمية أصيلة".

3.2 مراكز الإرشاد الأسري لمنتدى الزهراء للمرأة المغربية: اعتماد مقاربة الصلح

منتدى الزهراء للمرأة المغربية هيئه نسائية مركبة مستقلة ذات طابع حقوقى ثقافي تنموي، تشتعل على قضايا المرأة والأسرة، انطلاقا من القيم الأصيلة للمجتمع المغربي، وتنفتح على التجارب النسائية العالمية، مستفيدة من إيجابياتها، وتعاون مع الجمعيات النسائية ذات الأهداف المشتركة وتعمل من أجل تحقيق شعار: امرأة مكرمة أسرة متماسكة وتنمية أصيلة

يعمل المنتدى على بلوحة رؤى أصيلة في المجال القانوني والحقوقي مرتبطة بقضايا المرأة والأسرة، ويدافع على حقوق المرأة ويتبنى قضاياها العادلة، كما يسعى إلى إعادة الاعتبار لمؤسسة الأسرة كخلية أساسية داخل المجتمع ويناضل من أجل الارتقاء بالمستوى التعليمي والثقافي للمرأة بحيث تصبح قادرة على المساهمة في قيادة قاطرة التنمية بالبلاد بالشكل الذي يؤدي إلى تقديم صورة مشرفة للمرأة المغربية المعززة المكرمة وللأسرة المنسجمة المتماسكة لتحقيق تنمية بشرية أصيلة ومستديمة.

وبعتبر المنتدى أن الأسرة هي الخلية الأساس لإقامة مجتمع متوازن ومستقر، إذ ركزت الشرائع السماوية عبر التاريخ والفتر السليمة والعقول المتبصرة على أهميتها وضرورة الحفاظ عليها، فقد أكد الحق سبحانه وتعالى في العديد من آيات كتابه العزيز على مفهوم السكن والمودة والرحمة داخل الأسرة (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)، وبينت الدراسات النفسية الحديثة دور التفاهم والمحبة بين الزوجين في إشاعة الاستقرار والأمن النفسي داخل

الأسرة، مما يساهم في بناء مجتمع متوازن يعمه الاستقرار والسكينة ويفسح المجال لنمو مواهب وقدرات أفراده.

لكن، ونتيجة لما عرفه العالم من تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية، تعرضت الأسرة لهزات عنيفة خاصة في العالم الغربي، أما في العالم الإسلامي وتحديداً في بلدنا المغرب فإن بعض مظاهر التفكك الأسري بدأت تعرف طريقها إلى الأسرة المغربية نذكر من بينها:

- تخلي العديد من الرجال عن المسؤوليات المنوطة بهم شرعاً تجاه أسرهم من رعاية وحماية... مما جعل المرأة تتضطلع بأدوار متشعبة وتعاني من كثرة الوظائف وتعدد المسؤوليات، وتتعرض في بعض الأحيان للفقر وال الحاجة والبحث عن موارد الرزق بأي شكل كان.

- تنامي ظاهرة العزوف عن الزواج، وتأخر سن الزواج عند الرجال والنساء، وتزايد العقبات أمام الزواج وتكوين الأسر، مع سرعة تفكك العديد منها في حالة تكوينها.

- أصبحت العديد من الأسر، مجرد شكل اجتماعي بدون روح حيث غاب عنها مفهوم الميثاق الغليظ، وغابت قيم المعاشرة بالمعروف والإحسان للأهل، ومفاهيم الرعاية والحماية، ومن ثم غابت مشاعر المودة والرحمة مما انعكس سلباً على الأبناء، حيث يستحيل على الأسرة في هذا الإطار أن تقوم بدور التنشئة الحضارية، مما جعل شريحة واسعة من شباب اليوم عرضة للانحلال الخلقي وتعاطي المخدرات وإتباع المذاهب الشاذة.

- تفشي الخيانة الزوجية، وإقامة علاقات غير شرعية خارج مؤسسة الزوج، مما أدى إلى تفشي الأمراض الجنسية، وتزايد عدد الأطفال غير الشرعيين وما يسمى بالأمهات العازبات.

وهكذا ارتفعت نسبة الأسر المتخلى عنها من طرف الزوج وكثير عدد الأطفال المشردين في الشوارع بسبب الخلافات الزوجية والطلاق وكثرة حالات الشكوى لدى العديد من الزوجات والأزواج بمبررات مختلفة.

هذه المظاهر وغيرها تدق ناقوس الخطر، وتضع كل الغيورين على مصلحة الوطن أمام مسؤولياتهم، فأوضاع الأسرة المغربية في حاجة إلى إصلاحات واسعة على الأصعدة التربوية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية، إصلاحات تنطلق من حقيقة واقعنا وتنبني على مبادئ ديننا وقيمنا من أجل تحصين مؤسسة الأسرة من عوامل التفكك الداخلي والاختراق الخارجي، وتفعيل دورها الحضاري.

وعليه، يرى المنتدى أن الحاجة باتت ماسة إلى إنشاء مراكز للاستماع والإرشاد الأسري تقدم خدمات استشارية واجتماعية وتوجيهات نفسية وقانونية للمقبلين على هذا المراكز في سبيل إشاعة ثقافة أسرية بناة وهادفة مما يساهم في تحقيق نهضة اجتماعية وثقافية.

وبالفعل فقد عمل المنتدى على إحداث عدد من مراكز الاستماع والإرشاد الأسري منتشرة عبر المدن المغربية (مركز كرامنة بطنجة ، مركز الوئام بسلا ، مركز الرعاية بالرباط ، مركز أم البنين بالرشيدية ، ...)

كما أن أهداف هذه المراكز تروم إلى :

- المساهمة في استقرار الأسرة المغربية وحمايتها من التفكك
- نشر ثقافة أسرية هادفة وبناء
- العمل على تعزيز وتنمية العلاقات الزوجية
- المساهمة في التأهيل التربوي وتنمية قدرات الأسرة.
- تفعيل آليات الصلح لحل الخلافات الأسرية.
- حماية المرأة والطفل من العنف والتحرش الجنسي
- تقديم الاستشارة النفسية والشرعية والقانونية في التوعية بالحقوق والواجبات
- تقديم خدمات نفسية وقانونية للنساء والأطفال ضحايا العنف.

- القيام بأبحاث اجتماعية ميدانية في أفق مقاربة موضوعية لوضعية المرأة المغربية

وتشتغل هذه المراكز بالتوازي على ثلات محاور أساسية وهي المحور العلاجي (مقاربة الصلح)، المحور الوقائي (الإرشاد المبكر، تأهيل المقبلين على الزواج) والمحور النمائي (دورات التدريب والتنقيف والتوعية لتنمية مهارات و قدرات الأسرة المغربية).

أما أنشطة هذه المراكز فتتنوع إلى أنشطة يومية وأسبوعية وسنوية ، يمكن إجمالها في ما يلي :

الخدمات اليومية : وتنقسم

- الاستقبال ، التهدئة النفسية والاستماع.
- إسداء النصيحة من أجل التوصل إلى الصلح.
- التوجيه التربوي من خلال بعض الاستشارات الشرعية.
- التوجيه القانوني عبر تقديم استشارات قانونية من طرف محام أو متخصص في مجال القانون.
- المساعدة القضائية.
- المساعدة النفسية من طرف متخصص في المجال(أطباء و معالجون نفسانيين).

الخدمات الأسبوعية :

- دورات تكوينية من تأطير متخصصين لفائدة: (العنفات ، المطلقات ، المراهقات ، مراهقين ، ...).
- برامج تأهيلية للمقبلين على الزواج.

خدمات دورية / موسمية :

- ملتقىيات أسرية.
- قوافل توعية.
- أبواب مفتوحة.

- ندوات ودورات تدريبية.

إلى جانب ذلك، توفر مراكز الإرشاد الأسري استثمارات عملية تعدها الحالات الوافدة على المركز حيث يتم استثمار نتائجها في أبحاث و دراسات ميدانية بغية معالجة أسباب بعض الإشكاليات التي تهدد تماسك الأسرة و قيامها بأدوارها المنوطة بها، كإشكالية العنف ضد النساء و تخلي الأزواج عن أسرهم، وتتوخى هذه الدراسات معالجة أسباب الإشكالية وعدم الاكتفاء بمعالجة أعراضها.

وقد استطاعت هذه المراكز رغم حدا ثة تأسيسيها أن تحقق نتائج مشجعة أهمها الإسهام في الاستقرار الأسري و النفسي للوافدين عليها و تفعيل مسيرة الصلح في حالة الشقاق حيث احتل مركز كرامة بطنجة المرتبة الأولى على الصعيد الوطني في ما يخص إصلاح ذات البين بتتفوقه في إبرام الصلح بنسبة 70٪ من حالات النزاع الوافدة عليه.

خلاصة عامة

هذه خلاصة التجربة المغربية في مجال الإرشاد الأسري، وهي على العموم تجربة حديثة وطموحة لكنها لا زالت تحتاج إلى التقويم والتطوير، فالمجهودات المنتظرة كبيرة وشاسعة وسوف تتعاظم بفعل تحديات العولمة والتنميـط الفكري الذي يصاحبها، ذلك أنه من المعلوم أن القوانين والشرائع مهما سمت لا يمكنها أن تنشئ المجتمعات، وإنما تساهم أساساً في صيانة قيمها وما انبـتـتـهـ عليهـ منـ معـانـ وماـ سـطـرـتـهـ لـوـجـودـهاـ منـ أـهـدـافـ. ولـذـكـ وجـبـ التـأـكـيدـ عـلـىـ أنـ تـشـتـغلـ كـلـ الـمـؤـسـسـاتـ الـتـيـ تـسـاـهـمـ فيـ بـنـاءـ الـوعـيـ وـتـأـهـيلـ الـإـنـسـانـ مـعـرـفـياـ وـثـقـافـياـ وـرـوحـياـ، سـوـاءـ تـعـلـقـ الـأـمـرـ بـالـتـقـيـيـةـ وـالـتـكـوـيـنـ أـوـ إـلـاعـامـ أـوـ السـاجـدـ وـكـذـاـ الجـمـعـيـاتـ الـمـدـنـيـةـ وـالـهـيـاـتـ السـيـاسـيـةـ، فيـ غـرـسـ قـيـمـ الـعـدـلـ وـالـتـضـامـنـ وـالـتـراـحـمـ بـيـنـ الرـجـلـ وـالـمـرـأـةـ مـنـذـ نـعـوـمـةـ أـظـافـرـهـماـ حـتـىـ إـذـاـ مـاـ بـلـغـاـ سـنـ الزـوـاجـ وـقـدـرـ لـهـمـاـ أـنـ يـؤـسـسـ أـسـرـةـ، كـانـ لـهـمـاـ مـنـ التـرـبـيـةـ وـالـمـؤـهـلـاتـ الـفـكـرـيـةـ وـالـخـلـقـيـةـ وـالـرـوـحـيـةـ ماـ يـجـعـلـ هـذـهـ الـمـؤـسـسـةـ الـمـجـتمـعـيـةـ تـقـوـمـ عـلـىـ أـسـاسـ مـتـيـنـ لـاـ عـلـىـ شـفـاـ جـرـفـ هـارـ يـنـهـارـ بـهـاـ فـيـ مـهـاـويـ التـظـالـمـ وـالـصـرـاعـ وـفـقـدـانـ معـنـيـ الـمـوـدـةـ وـالـتـسـاـكـنـ وـالـمـكـارـمـةـ مـعـ ماـ يـعـنـيـهـ ذـلـكـ مـنـ انـعـكـاسـاتـ اـجـتـمـاعـيـةـ غـيرـ سـلـيـمـةـ.

لـذـاـ فـمـجـالـ الإـرـشـادـ الأـسـرـيـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـضـافـرـ جـهـودـ مـخـتـلـفـ الـفـاعـلـيـنـ فـيـ الـمـجـالـ وـالـتـنـسـيقـ وـالـتـعـاـونـ وـتـبـادـلـ التـجـارـبـ وـالـخـبـرـاتـ الـمـتـراكـمـةـ بـيـنـ دـوـلـ الـعـامـ الـعـرـبـيـ وـالـإـسـلـامـيـ، مـنـ أـجـلـ أـسـرـةـ مـسـتـقـرـةـ قـوـامـهـاـ التـعـاـونـ وـالـتـكـامـلـ، أـسـرـةـ تـخـرـجـ إـلـاـنـسـانـ الـحـضـارـيـ الـفـعـالـ.

لائحة المراجع :

- تقارير لجنة العدل والتشريع - الولاية التشريعية السابعة(2002-2007) - مجلس النواب - المغرب

- تقارير لجنة القطاعات الاجتماعية - الولاية التشريعية السابعة(2002-2007) - مجلس النواب- المغرب
- الخطاب الملكي السامي 10 أكتوبر 2003 بالبرلمان
- الخطاب الملكي السامي 30 ابريل 2004 (إعادة هيكلة الحقل الديني)
- الظهير الشريف رقم 1.03.300 الصادر في 2 ربيع الأول 1425هـ الموافق 22 أبريل 2004 م المتعلق بإعادة تنظيم المجالس العلمية.
- سلسلة "مجموعة النصوص القانونية" العدد 11 : قانون الأسرة مع النصوص التطبيقية. طبعة 2006
- مجلة قضاء الأسرة ،مجلة متخصصة، العدد الثالث دجنبر 2006
- منشورات المجلس العلمي الأعلى
- "تاريخ الحركة النسائية في المغرب" بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط قدمته الأستاذة جميلة المصلي سنة 1999
- تدخل النائب عبد الله بها باسم فريق العدالة والتنمية في المناقشة العامة لمشروع قانون رقم 70.03 بمثابة مدونة الأسرة
- وثائق وتقارير منتدى الزهراء للمرأة المغربية (2002-2007).

المحور الثاني

دور المرأة العربية
في تطوير المنظمات والمؤسسات العربية

التنظيمات النسائية المغربية : قراءة في التجربة

ذ. جميلة المصلي

باحثة في قضايا المرأة والأسرة

تمهيد :

تكمّن أهمية دراسة التنظيمات النسائية المغربية في ما يمكن أن يفيده هذا النوع من الدراسات في مضمون البحث من أجل تكوين صورة أكثر شمولية لهذه الحركة باعتبارها حركة اجتماعية لها أدوار وأبعاد متعددة، خاصة مع قلة إن لم نقل غياب المعطيات الكمية والإحصائية والبحوث التحليلية التي تنفذ إلى بنية هذه الحركة ومكوناتها.

و ترمي هذه الورقة إلى الاقتراب أكثر من التنظيمات المكونة لهذه الحركة من حيث بنيتها وعدها وحجمها وأماكن وجودها وطبيعتها وأولوياتها واهتماماتها و مجالات نشاطها وأساليب عملها وعلاقاتها واحتياجاتها والمعوقات التي تعرّض طريقها.

أولاً: التنظيمات النسائية : عرض وتصنيف²⁴⁹

سأكتفي في هذا الجانب بعرض نماذج من كل صنف من أصناف التنظيمات النسائية العاملة فوق التراب المغربي، علما أنه من الصعب الإحاطة بكل التنظيمات التي تعمل في المجال النسائي سواء منها

²⁴⁹ - تم جمع المعلومات المتعلقة بهذه الجمعيات بالاعتماد على الوسائل والمصادر الآتية :

- (1) المقابلة الشخصية لمسؤولات وممثّلات هذه الجمعيات.
- (2) وثائقها ومنتشراتها.
- (3) دليل الجمعيات النطوّعية العاملة في الميدان الاجتماعي الذي صدر عن وزارة الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية سنة 1986م.
- (4) دليل الجمعيات والمنظمات النسائية الصادر عن وزارة التشغيل والشؤون الاجتماعية.

5) Femme Maghreb Deux Mille Deux , cinq ans après (1989 – 1994) , Edit, A. F.J.E.M.

6) Ministère des affaires étrangères et de la coopération : Répertoire des Départements Ministériels et ONGS oeuvrant dans le domaine de l'intégration de la femme au Développement, Juillet 1997

التنظيمات المغلقة على النساء أم التي تعمل في مجال المرأة وتضم الرجال
والفئات النساء معاً²⁵⁰.

ويتمكن تصنيف هذه التنظيمات بالنظر إلى ما غالب على عملها
واهتماماتها إلى الأصناف الآتية:

1. القطاعات والتنظيمات النسائية الحزبية.
2. جمعيات الدفاع عن حقوق المرأة.
3. جمعيات تعنى بالمرأة والأسرة.
4. الجمعيات الرسمية.
5. جمعيات مهنية و موضوعاتية.
6. جمعيات خيرية واجتماعية.
7. التنظيمات النسائية النقابية.
8. مجموعات البحث والتأليف والنشر.
9. جمعيات تنموية.
10. جمعيات الإبداع الأدبي والفنى.
11. مراكز الاستماع والإرشاد القانوني.
12. جمعيات تهتم بالمرأة القروية.
13. الشبكات النسائية.

أولاً : القطاعات والتنظيمات الحزبية :

اسم القطاع	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1- القطاع النسائي للاتحاد الاشتراكي.	الرباط	فبراير 1975 م.
2- القطاع النسائي لمنظمة العمل الديمقراطي الشعبي.	الدار البيضاء	1983 م.
3- لجنة المرأة - الحركة الوطنية الشعبية.	الرباط	1991 م.
4- خلية المرأة - التجمع الوطني للأحرار.	الرباط	1992 م.

²⁵⁰- انظر: كتابة الدولة المكلفة بالأسرة والتضامن والعمل الاجتماعي، أشغال اليوم الدراسي حول: "آية شراكة مع الجمعيات للنهوض بأوضاع المرأة في المغرب"، الرباط: 21 ماي 2003م، ص: 26.

يوليو 1988 م	الرباط	5- منظمة المرأة الاستقلالية - حزب الاستقلال.
5 ماي 1990 م	الرباط	6- المنظمة الوطنية للمرأة الديموقراطية - الحزب الوطني الديموقراطي.
21 يونيو 1991 م.	الرباط	7- اللجنة الوطنية للمرأة الحركية (حزب الحركة الشعبية) تحولت سنة 2005 إلى منظمة نسائية.
1992 م.	الدار البيضاء	8- منظمة المرأة الدستورية-الاتحاد الدستوري.
-	الرباط	9- اللجنة الوطنية للعمل النسائي لحزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي.
2001 م	الرباط	10- لجنة قضايا المرأة والأسرة - حزب العدالة والتنمية.
1983 م	الرباط	11- القطاع النسائي لحزب التقدم والاشتراكي.

ثانياً : جمعيات الدفاع عن حقوق المرأة:

اسم الجمعية	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1- الجمعية الديموقراطية لنساء المغرب.	الرباط	1 يونيو 1985 م
2- اتحاد العمل النسائي.	الرباط	1987 م
3- مجموعة 95 المغاربية من أجل المساواة.	الرباط	1995 م
4- الجمعية المغربية للنساء التقدميات.	الدار البيضاء	9 أبريل 1992 م
5- الرابطة الديموقراطية لحقوق المرأة.	الدار البيضاء	18 أبريل 1993 م
6- الجمعية المغربية لحقوق النساء .	الدار البيضاء	18 أبريل 1993 م
7- جمعية جسور ملتقى النساء المغربيات.	الرباط	1995 م
8- الجمعية النسوية لمناهضة العنف ضد النساء	آسفي	-

1997	مكناس	9 - جمعية مبادرات نسائية
1995	الدار البيضاء	10 - منظمة تجديد الوعي النسائي
.....	الرباط	11 - جمعية عمل النساء القانونيات
2001	الدار البيضاء	12 - جمعية أمل حركة نسائية من أجل حياة أفضل.
2001	الرباط	13 - منتدى الزهراء للمرأة الغربية.
1992	البيضاء	14 - الجمعية الغربية للدفاع عن حقوق النساء.
2007	أكادير	15 - جمعية صوت النساء المغربيات.
1999	البيضاء	16 - الجمعية الغربية لمناهضة العنف ضد النساء.
1997	صفرو	17 - جمعية مبادرات للدفاع عن حقوق المرأة.
-	طنجة	18 - جمعية آمنة.
-	تطوان	19 - جمعية السيدة الحرة للمواطنة وتكافؤ الفرص.
1997	مراكش	20 - جمعية النخيل للمرأة والطفل.
-	طنجة	21 - جمعية فضاء المواطن.

ثالثا : جمعيات تعنى بالمرأة والأسرة:

اسم الجمعية	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1 - الجمعية الغربية لإرشاد الأسرة.	الرباط	22 أكتوبر 1984م
2 - الجمعية الغربية للتربية ورعاية الأسرة.	الرباط	يونيو 1992م
3 - جمعية حماية الأسرة الغربية.	الرباط	27 يونيو 1963م
4 - الهيئة الوطنية لحماية الأسرة الغربية.	الرباط	2000
5 - جمعية مسيرة التعاون العائلي.	الرباط	1977
6 - جمعية الهدى.	الدار البيضاء	1992م

26 مارس 2006	شفشاون	7- جمعية حماية الأسرة.
2006	طنجة	8- جمعية كنف لتنمية الأسرة.
2000م	الرشيدية	9- جمعية أم البنين لرعاية الأسرة.
2004	آسفى	10- جمعية المنار للتنمية ورعاية الأسرة.
2005م	العرائش	11- جمعية مودة لتنمية المرأة ورعاية الأسرة.
2004م	سلا	12- جمعية الوئام للإرشاد الأسري.

رابعا: الجمعيات الرسمية:

اسم الجمعية	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1- الاتحاد الوطني النسائي المغربي	الرباط	6 ماي 1969
2- الجمعية الغربية لتنظيم الأسرة	الرباط	1971

خامسا: جمعيات مهنية وموضوعاتية:

اسم الجمعية	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1- الاتحاد الوطني النسائي المغربي	الرباط	6 ماي 1969
2- الجمعية الغربية لتنظيم الأسرة	الرباط	1971

سادسا: جمعيات خيرية واجتماعية:

اسم الجمعية	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1- جمعية المواساة.	الرباط	1963
2- جمعية المصباح.	-	10 أبريل 1973م
3- مركز آزرو للخدمات الاجتماعية المحلية.	آزرو	-
4- جمعية النهضة النسوية.	سلا	5 ماي 1978
5- جمعية أمهات وأخوات مركز التربية والتشغيل.	مراكش	1981
6- جمعية التضامن النسوى.	الدار البيضاء	1985

2002	وزان	7- جمعية ياسمين للتضامن مع الأرملة.
-	فاس	8- مركز دار المعلمة.

سابعا: مجموعات البحث والنشر والتأليف:

اسم الجمعية	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1- مجموعة البحث الجامعي للدراسات النسائية.	كلية الآداب (الرباط)	مارس 1993م.
2- اللجنة الغربية للأبحاث لتكوين وتقدير المرأة.	الرباط	1979م.
3 - مجموعة البحوث والدراسات حول الإشكالية النسوية داخل المجتمع المغربي.	الدار البيضاء	-
4 - مجموعة البحث العلمي المتعددة التخصصات حول المرأة "تانيت".	جامعة مولاي إسماعيل مكناس	1992م.
5 - لجنة البحوث عن التطبيقات الاجتماعية والمهنية للسيدات ذوات الشوادر العليا المغربيات.	الرباط	1988م.
6 - مجموعة البحث حول تاريخ النساء المغربيات.	جامعة ابن طفيل القنيطرة	1992م.
7 - مجموعة بحث موسوعة المرأة المغربية.	الدار البيضاء	-
8 - وكالة البحث الإعلامي وتكون المرأة (Agence de Recherche d'Information et de Formation de la Femme).	الرباط	1992م.
9- الجمعية المغربية للبحث والعمل من أجل الصحة والتنمية.	البيضاء	1990م
10 - مجموعة "مقاربات" (Approches).	الرباط	1986م.
11 - سلسلة المرأة والمؤسسات.	الدار البيضاء	1990م.
12 - سلسلة مغربيات مواطنات الغد. (Collection Marocaines Citoyennes de	الدار البيضاء	1981م.

		Demain).
1991 م.	الرباط	13 - سلسلة مغاربيات أفق 2000 (Femmes Maghreb Horizon 2000).
-	الرباط	14 - جمعية علم النفس والتنمية.
1988 م	الرباط - المعاهد	15 - مجموعة البحث لتنمية المرأة القروية.
1996 م	تطوان	16 - جمعية البحث النسائي الاجتماعي للتنمية والتعاون.

ثامناً: جمعيات تنموية:

اسم الجمعية	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1 - جمعية إدماج المرأة في التنمية في شمال المغرب.	طنجة	-
2 - جمعية الضفة للتربية و التنمية المستدامة.	الرباط	-
3 - جمعية ملتقي النساء.	الحسيمة	-
4 - جمعية الأنوار النسوية للثقافة والتنمية.	-	2007 م
5 - جمعية أمل للتربية والتنمية.	الحاجب	2002 م
6 - جمعية الدير النسوية للتنمية.	بركان	2006 م
7 - جمعية الحمراء للتربية النسائية.	مراكش	-
8 - جمعية النساء والشباب في المحيط المغاربي.	الرباط	1992 م
9 - جمعية النادي النسوى بالعرصنة.	الدار البيضاء	-
10 - جمعية التطوع والتنمية.	وجدة	1984 م
11 - جمعية يد المساعدة للتنمية الاجتماعية.	تطوان	2007 م
12 - جمعية التنمية الاجتماعية لمساعدة المرأة.	بني ملال	2007 م
13 - جمعية نساء وزان للتنمية.	وزان	2002 م
14 - جمعية البلسم لتأهيل المرأة ورعاية الطفولة.	القصر الكبير	1998 م
15 - جمعية مودة للتكافل ورعاية الأسرة.	القنيطرة	1999 م

1999م	شفشاون	16- جمعية زينب للتنمية والتكافل الاجتماعي.
1999م	وجدة	17- جمعية حوار النسائية.
2002م	طنجة	18- جمعية كرامة لتنمية المرأة.
2003م	تازة	19- جمعية الرميساء للتنمية النسوية.
2004م	آسفى	20- جمعية أم قاسم المرادية للعمل النسائي.
2005م	مكناس	21- جمعية الشقائق.
2006م	خنيفرة	22- جمعية إفسان للتكافل والتنمية.
1988م	الرباط	23- جمعية الشبيبة النسوية.
1987م	العيون	24- جمعية المرأة والمجتمع.
-	الدار البيضاء	25- جمعية تنمية المرأة.
1987م	الرباط	26- لجنة النساء المغربيات للتنمية.
1994م	-	27- جمعية المرأة والتنمية.
1989م	الدار البيضاء	28- فرح فضاء النساء.

تاسعاً: جمعيات الإبداع الأدبي والفنى:

اسم الجمعية	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1- جمعية الإبداع النسائي.	فاس	1991م
2- منظمة النساء المبدعات.	الرباط	1994م

عاشرًا: مراكز الاستماع والإرشاد القانوني والدعم النفسي:

اسم الجمعية	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1- مركز "فاما" التابع للجمعية الغربية للدفاع عن حقوق النساء..	الدار البيضاء	-
2- المركز التابع لجمعية كرامة لتنمية المرأة.	طنجة	2002م
3- مركز نجمة للاستماع والتوجيه والإرشاد	فاس	2006م

القانوني التابع لجمعية فضاء التنمية المستدامة.			
2006م	مكناس	4- جمعية "أساكا" للرعاية اللاحقة للنساء في وضعية صعبة.	
1999م	الرباط - الدار البيضاء	5- مراكز النجدة التابعة لاتحاد العمل النسائي.	
2004م	سلا	6- مركز الوئام للإرشاد الأسري	
2006م	شفشاون	7- مركز انجاد للإرشاد الأسري.	
-	تطوان	8- مركز مساعدة النساء ضحايا العنف.	
1981م	الدار البيضاء	9- جمعية الاستشارة لصالح العائلات.	

حادي عشر: جمعيات تهتم بالمرأة القروية :

اسم الجمعية	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1- الجمعية المغربية لإنعاش المرأة القروية.	الرباط	1995م
2- جمعية "افق" لدعم المرأة القروية.	الخمسات	1996م
3- جمعية المستقبل لتنمية المرأة القروية.	قلعة السراغنة	2007م
4- جمعية إيمياوض للمرأة.	صفرو	2004م
5- جمعية اس ادواتيفت للتنمية.	تارودانت	2004م

ثاني عشر: الشبكات النسائية :

اسم الجمعية	المقر المركزي	تاريخ التأسيس
1- منتدى الزهراء للمرأة المغربية.	الرباط	2001
2- ربيع المساواة.	الرباط	2001م
3- آناروز.	الدار البيضاء	2000م
4- مراكز النجدة التابعة لاتحاد العمل النسائي.	الرباط - الدار البيضاء	1999م
5- مجموعة 95 المغاربية من أجل المساواة.	الرباط	1995م

ثانياً: التنظيمات النسائية : مقاربة تحليلية

يعد تناول التنظيمات المدنية بشكل عام والتنظيمات النسائية بشكل خاص من الموضوعات الحديثة في الأوساط العلمية والأكاديمية بالغرب. فعلى الرغم من الاهتمام الدولي بهذه التنظيمات وكثرة المؤسسات والهيئات المحلية والإقليمية والدولية التي تدعمها وتواكب مجهوداتها، ورغم اعتراف الدولة بدورها في التنمية المحلية ومحاربة الفقر والهشاشة وتقليص دائرة العجز الاجتماعي، إلا أن هذا الاعتراف لم يواكب ما يناسبه في مجال البحث العلمي الذي يمكن أن يرشد فعلها ويبحث جوانب القوة وجوانب الضعف في بنيتها وفي أدائها.

ثم إن البحث في تنظيمات ومكونات الحركة النسائية على الخصوص تعوزه المعطيات والبيانات الإحصائية وغير الإحصائية، التي من المفروض أن توفرها الدولة مادامت تعتبر دور النسيج الجماعي حيويا في توفير ودعم الاستقرار الاجتماعي ومحاربة الهشاشة؛ لذلك ساكتفي في هذه القراءة في بنية وأدوار ووظائف وعلاقات التنظيمات النسائية غير الحكومية بالوقوف عند بعض السمات الأساسية الباردية في المظهر العام لهذه التنظيمات.

أولاً: الضعف في العدد وحجم التأثير:

يوجد بالغرب نحو أربعين ألف (40.000) جمعية مرخص لها من طرف السلطات المختصة²⁵¹ ، تتوزعها مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والرياضية والفنية والمهنية والتنموية والبيئية والصحية والحقوقية والعلمية والنسائية والشبابية ، وتغطي كافة أجزاء التراب الوطني.

غير أن التنظيمات النسائية لا تشكل إلا نسبة ضئيلة من هذا العدد: فحسب الدليل الذي أنجزته وزارة التشغيل والشؤون الاجتماعية سنة 1995م بلغ عدد الجمعيات النسائية إلى حدود السنة المذكورة خمسة

²⁵¹ - انظر: الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2004 .

وثلاثين (35) جمعية²⁵². وحدد الدليل الذي أصدرته وزارة الشؤون الخارجية والتعاون سنة 1997 عدد هذه الجمعيات في واحد وسبعين (71) جمعية²⁵³. وحسب اتصالاتي بالجمعيات النسائية خلال إعدادي لبحث لنيل دبلوم الدراسات العليا سنة 1999 أحصيت ثمانين جمعية نسائية²⁵⁴. وبلغ هذا العدد سنة 2004 مائة جمعية نسائية حسب التقرير السنوي الرابع للمنظمات الأهلية العربية الذي نشرته شبكة المنظمات الأهلية العربية في نفس السنة²⁵⁵.

وببلغ عدد التنظيمات النسائية حاليا حسب ما توصل إليه هذا البحث أكثر من مائتي تنظيم نسوي. دون احتساب التعاونيات النسائية التي يفوق عددها حسب الإحصائيات الرسمية خمسمائة تعاونية. والجدير بالذكر أن الوزارة الوصية على هذا القطاع لا تتتوفر لحد الآن على إحصاء مضبوط لعدد الجمعيات والتنظيمات النسائية بال المغرب، وهو ما يدعو إلى إثارة السؤال عما إذا كانت هذه الوزارة وغيرها من القطاعات الحكومية المعنية بملف المرأة جادة في النهوض بهذه التنظيمات والجمعيات تقوم بدورها لفائدة المرأة والأسرة المغاربيتين. فأمام غياب أي إحصاء رسمي لهذه الجمعيات لا يمكن أن نتوقع أي فعل جاد في مسار تحويلها إلى شريك حقيقي وفاعل في مجال التنمية النسائية والتنمية الاجتماعية على العموم ببلادنا.

أما حجم التنظيمات والجمعيات النسائية فيمكن معرفته بالنظر إلى الأبعاد الثلاثة الآتية:

²⁵² - وزارة التشغيل والشئون الاجتماعية، مديرية الشئون الاجتماعية، دليل الجمعيات والمنظمات النسائية، بوليوز 1995م.

²⁵³ - Voir : Répertoire des départements ministériels et ONG oeuvrant dans le domaine de l'intégration de la femme au développement, Juillet 1997.

²⁵⁴ - انظر: جميلة المصلي، مرتکزات التوجه اليساري في الحركة النسائية المغربية، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، الرباط، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، ص: 79.

²⁵⁵ - انظر: خديجة الراقي، الجزء المتعلق بالمغرب في التقرير السنوي الرابع للمنظمات الأهلية العربية، مرجع سابق، ص: 382-382.

1- حجم هذه التنظيمات بالنظر إلى نسبة تمثيلها للمرأة في المجتمع المغربي.

2- حجمها بالنظر إلى النسبة التي تشكلها ضمن مجموع التنظيمات المدنية الموجودة.

3- حجمها بالنظر إلى مستوى انتشارها وتفاعلاتها لمختلف المناطق والجهات وحجم مبادراتها ضمن تدخلات مختلف الفاعلين في حقل المرأة والحقول الاجتماعية عموماً.

ويصدق على هذا الجانب نفس الملاحظة المتعلقة بالعدد، فلحد كتابة هذه السطور ورغم مرور أكثر من خمس سنوات على إجراء الإحصاء العام للسكان والسكنى (2004)، لا توجد أية دراسة رسمية أو غير رسمية منشورة تسلط الضوء على حجم التنظيمات النسائية وحجم انشطتها وتدخلاتها، سواء في مجال المرأة أو في مجال التنمية الاجتماعية على العموم. وقد سبق للتقرير السنوي الرابع للمنظمات الأهلية العربية لسنة 2004م أن أكد افتقار جل الدول العربية وضمنها المغرب إلى بيانات شاملة تتعلق بالتنظيمات النسائية والتنظيمات المدنية على العموم²⁵⁶. والذي أستطيع تأكيده من خلال المعايشة اليومية لكثير من الجمعيات النسائية أن حجم هذه الجمعيات لازال ضعيفاً، خاصة إذا تمت مقارنته بعدد النساء المغربيات وحجم التحديات التي تواجه المرأة المغربية على عدة مستويات.

ثانياً: التوزيع الجغرافي وغلبة الطابع الحضري:

رصدت التقارير التي أصدرتها الشبكة العربية للمنظمات الأهلية منذ مطلع الألفية الثالثة عدم التوازن في التوزيع الجغرافي للمنظمات الأهلية ما بين المدن والأرياف في جل الدول العربية²⁵⁷؛ حيث يتركز

²⁵⁶ - انظر: الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، التقرير السنوي الرابع للمنظمات الأهلية العربية 2004م، مرجع سابق، ص: 22.

²⁵⁷ - انظر: الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، التقرير السنوي الرابع للمنظمات الأهلية العربية 2004م، مرجع سابق، ص: 34.

وجود ونشاط معظم المنظمات المدنية في الحاضر، في حين تنشط قلة من هذه التنظيمات في البوادي والأرياف. "ويكشف ذلك أن هناك سمة عامة للمنظمات الأهلية تمتد إلى المنظمات النسائية التي تبدو في أغلبها على 258 درجة من النخبوية".

وكشفت الدراسة التي أنجزتها وزارة التشغيل والشؤون الاجتماعية سنة 1995 عن تركز أغلب الجمعيات والتنظيمات النسائية في الرباط والدار البيضاء حيث يوجد 5/4 من الجمعيات في الرباط و 4/1 من هذه الجمعيات بالدار البيضاء²⁵⁹. وربطت الدراسة هذا المعطى بتركيز سلطات القرار بهاتين العاصمتين، "وحتى الموظفات في القطاع العمومي أو الخصوصي تتوفرن في هذين القطبين بنسبة مائوية أعلى من باقي المدن الأخرى ، مما يدفعنا إلى افتراض أن تنمية العمل الجمعوي تتماشى ودرجة 260 النمو الاجتماعي والاقتصادي التي وصلت إليها المرأة".

وتؤكد كل من عائشة بلعربي وأمينة لربيني الملاحظة نفسها والأسباب نفسها تقريبا. فالحركة النسائية حضرية الطابع²⁶¹ ، و"يفسر هذا التوطن الحضري بالتاريخ السياسي للمغرب وصيرورة الحركة الجمعوية نفسها. فمن جهة ظلت الأرياف على مدى عقود من الزمن فضاء لم تشجع فيه المبادرات المستقلة عن مراقبة الدولة، ومن جهة ثانية تشكلت معظم الجمعيات في السابق من نخب حضرية حيث مراكز الفعل السياسي والثقافي"²⁶².

258 - انظر: الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، التقرير السنوي الرابع للمنظمات الأهلية العربية 2004م، مرجع سابق، ص: 35.

259 - انظر: وزارة التشغيل والشؤون الاجتماعية، دراسة حول إنجاز خطة عمل لتحسين وضعية المرأة في المغرب، مرجع سابق، ص: 157.

260 - انظر: وزارة التشغيل والشؤون الاجتماعية، دراسة حول إنجاز خطة عمل لتحسين وضعية المرأة في المغرب، مرجع سابق، ص: 157.

261 - انظر: عائشة بلعربي، "الحركة الجمعوية النسائية بالمغرب: تأكيد مواطنة النساء" ، وعي المجتمع بذاته، مرجع سابق، ص: 129.

262 - انظر: الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، المرأة في المنظمات الأهلية العربية، القاهرة، دار المستقبل، الطبعة الأولى، 1999م، ص: 109-110.

غير أن هذه السمة الحضرية الصرفة ستتغير شيئاً فشيئاً في بلادنا، حيث بدأت بعض التنظيمات النسائية في الظهور في المدن الصغيرة وفي العالم القروي خاصة مع مطلع الألفية الثالثة وبعد ظهور عدة مؤشرات أظهرت المدى الذي وصل إليه الفقر والأمية والتهميشه في العالم القروي وأحواز المدن الكبرى، حيث بلغت نسبة الأمية في صفوف النساء على سبيل المثال أكثر من 80%. وجاءت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية سنة 2005 لتشجيع العمل الجمعوي في هذه المناطق التي عانت من الإقصاء والتهميشه، فبدأت عشرات الميلادات الجمعيات والتعاونيات والنواحي النسوية في التأسيس والنشاط في هذه المناطق، مما جعل خريطة الجمعيات والتنظيمات النسائية تعرف نوعاً من التغيير في اتجاه توطين أنشطة هذه التنظيمات في البوادي والمدن الصغيرة.

ثالثاً: الأهداف والاهتمامات بين الآني والاستراتيجي :

يمكن أن نميز في أهداف واهتمامات الجمعيات النسائية المغربية بين مستويين :

الأول: استراتيجي بعيد المدى، والثاني: آني يخدم الاحتياجات الأساسية والآنية للمرأة²⁶³.

فالتنظيمات التي تهتم بما هو استراتيجي تتجه نحو المطالبة بالتمكين للمرأة والنهوض بها، على نحو يستحضر الأبعاد السياسية والاقتصادية والإجتماعية والقانونية لهذا النهوض كما يستحضر أيضاً بناء الوعي والمعرفة وإدراك الذات وتغيير البنية الثقافية والسياسية والاجتماعية المحيطة بالنساء، وذلك عبر التركيز على تغيير الوضع البنيوي داخل المجتمع والمرتبط بعوامل ثقافية واجتماعية وهيكيلية.

ويعتبر أصحاب هذا الاتجاه أن المدخل الحقيقي لمناقشة قضايا المرأة هو المدخل الحقوقي الذي يعتبر قضية المرأة جزءاً لا يتجزأ عن

²⁶³ - انظر: الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، تقرير المنظمات العربية، مرجع سابق، ص:38.

حقوق الإنسان، وتسعى الجمعيات التي تتبنى هذا التوجه نحو التأثير على الفعل السياسي وتغيير السياسات في اتجاه دعم المساواة والإنصاف بين الجنسين في كل المجالات²⁶⁴.

أما التوجه نحو الاحتياجات الأساسية والضرورية للنساء فهو توجه فرضه الواقع بسبب ظهور إشكالات اجتماعية واقتصادية متعددة همت شرائح واسعة من المجتمع المغربي بسبب السياسات الحكومية المترقبة وأثار العولمة الاقتصادية. وقد عرف هذا الاتجاه بالعمل الخدمaticي المنبني على برامج خاصة بمحاربة الأمية والتوعية الصحية والتخطيط العائلي وتوفير بعض فرص التدريب المهني خاصة في مجال الخياطة والتقطريز والمنتجات التقليدية. ويمكن أن ندرج على هذا المستوى الجمعيات التي تحارب الفقر عبر تنفيذ مشاريع صغرى مدرة للدخل لفائدة النساء في وضعية صعبة.

ومع اعتماد مبدأ الشراكة والتعاون بين مجموعة من المنظمات النسائية وهيئات مانحة وطنية ودولية لجأت مجموعة من الجمعيات إلى إقامة مشاريع مدرة للدخل لفائدة الشرائح الاجتماعية المهمشة؛ وقد أنشئت في هذا السياق العديد من التعاونيات النسائية بغرض توفير موارد مالية للنساء المعيلات للأسر والنساء المهمشات، غير أن مشاريع من هذا النوع تواجهها عدد من الإشكالات في مقدمتها ضعف التسويق والاستمرارية.

وأرى أن المطلوب هو التكامل بين الفعلين الاستراتيجي والآني، فقضايا المرأة المغربية متعددة الجوانب والاتجاهات. فلا زالت شرائح من النساء تفتقر إلى أبسط الحاجات الأساسية وفي مقدمتها محاربة الأمية وتوفير الخدمات الصحية ومحاربة الفقر ومناهضة مختلف مظاهر العنف والاستغلال، لكن في المقابل لابد أيضاً من إيلاء الأهمية لتحسين موقع المرأة وتعزيز تقاويم المشاركة لديها وتمكينها من وسائل الإنتاج ومن مواقع

²⁶⁴- انظر كذلك: أمينة لمرينيني، المرأة في المنظمات الأهلية العربية، مرجع سابق، ص: 110/111.

القرار ونشر ثقافة التكامل بين الجنسين بدل الصراع بينهما، حتى لا تبقى القضية النسائية محصورة في البعد الاجتماعي .

رابعاً: بين الهواية والاحترافية

في الوقت الذي تتضاعد فيه الأزمات الاقتصادية ويتسع نطاق المشكلات الاجتماعية، وفي الوقت الذي يتضاءل فيه دور الحكومات في تقديم العلاج والحلول الناجعة للتغلب على تلك الأزمات والمشاكل، تبدو الحاجة إلى وجود مبادرات تأخذ بعين الاعتبار الدور الطلقائي للتنسيق الجماعي ولنخبته الوعائية ولما يمكن أن يضطلع به من أدوار تنمية رائدة في مختلف المجالات. غير أن القيام بهذه الأدوار يستلزم توفر الجمعيات النسائية على إدارة متطورة وبنية مؤسساتية تؤدي إلى الانتقال من الطابع الهوايatic التقليدي الذي يغلب على أداء أغلب هذه الجمعيات إلى عمل أكثر مهنية واحترافية: عمل يستحضر ويتمثل المفاهيم المرتبطة بالشفافية والفعالية والنجاعة داخل أجهزته وطرق عمله وخاصة في التدبير المحاسبي والتسيير المؤسسي. ومع اعتماد مفهومي "الحكامة" و"التنمية البشرية" ودخول مفهوم الشراكة كآلية أساسية في تنفيذ العديد من المشاريع والبرامج التنموية، يبدو تأهيل الجمعيات النسائية تأهيلاً مهنياً في مجال صياغة المشاريع وتنفيذها وتتبعها أمراً ضرورياً²⁶⁵، خاصة وأن التحدي الكبير الذي يواجهه العمل الجماعي النسائي هو التوفير على قدرات مهنية وبنيات مؤسساتية حقيقة ونظام محاسبي دقيق يمكنها من تحقيق أهدافها وإنجاز مشاريعها على الوجه المطلوب. ولاشك أن هذه الصفات تفتقدها العديد من الجمعيات النسائية، لاعتبارات متعددة منها ما يرتبط بحداثة أغلبها ومنها ما يرتبط بندرة الأطر الجمعوية المتخصصة بها، مما يجعل عملها بعيداً عن الاحترافية والمهنية المطلوبة²⁶⁶.

.265- زهير الخيار، العمل الجماعي بين الهواية والاحترافية، ص 11/10.

.266- انظر: الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، المرأة في المنظمات الأهلية العربية، مرجع سابق، ص: 112

لقد أصبح موضوع التقوية المؤسساتية للجمعيات، موضوع نقاش مفتوح بين الجمعيات نفسها والمهتمين بها الشأن، وهذا في حد ذاته يعتبر وعيًا جديدا لدى الجمعيات النسائية بمدى ضرورة المرور من أشكال العمل التقليدية إلى أشكال حديثة متطرفة، وأصبح الحديث عن تأهيل الجمعيات بما تتقاسمه العديد من الفعاليات والتنظيمات الجماعية مما حدى بجزء كبير منها إلى تنظيم دورات تدريبية وتكوينية مستمرة قصد تأهيل العمل الجماعي والنهوض به وجعله أكثر مهنية ليستجيب للتحديات الراهنة. فطيلة عقود من الزمن عملت الجمعيات بارتجالية معتمدة على التطوع والمبادرة الفردية مما أدى إلى بذل مجهودات كبيرة دون تحقيق الآمال المرجوة.

إن روح التطوع لازال يشكل دعامة أساسية للعمل الجماعي النسائي لكن بالموازاة مع المحافظة على هذه الروح لابد من العمل على تطوير أساليب عمل الجمعيات والتنظيمات النسوية في اتجاه المهنية.

خامساً: الشراكات والتمويل:

ظهر مفهوم الشراكة كآلية لإشراك فاعلين ذوي توجهات ومهام مختلفة لتحقيق هدف تنموي مشترك في السبعينيات من القرن الماضي²⁶⁷.

وقد ساهم أسلوب الشراكة في فتح آفاق جديدة أمام العمل النسائي، إذ مكن من إنجاز العديد من البرامج والمبادرات الجماعية التي ظلت عالقة لسنوات، خاصة في مجالات محو الأمية والإدماج الاقتصادي للمرأة ومحاربة الفقر ومحاربة العنف ضد النساء والصحة الإنجابية وتوفير التجهيزات الأساسية. وقد مكن هذا الأسلوب من تعبيئة موارد مالية مهمة وإشراك فاعلين جدد في إنجاز مشاريع وبرامج مختلفة لفائدة النساء.

²⁶⁷- انظر: المملكة المغربية كتابة الدولة المكلفة بالأسرة والتضامن والعمل الاجتماعي أشغال اليوم الدراسي حول: "آية شراكة مع الجمعيات بأوضاع المرأة في المغرب"، الرباط، 21 ماي 2003م، ص:27.

ويعتبر العمل بالمقاربة التشاركية توجها دوليا أكدته توصيات المؤتمرات الدولية حول التنمية وكذا استراتيجيات التعاون التنموي التي توصي بالعمل بهذه المقاربة في تحقيق وإنجاز كل البرامج.

ومن القضايا التي تعد إشكالية أساسية في العمل الجماعي النسائي التأكد من حجم التمويل ومصادره لغياب الإحصائيات الرسمية والخاصة وغياب عملية التوثيق والشفافية. ويمكن القول إن مصادر تمويل الجمعيات النسائية في المغرب نوعان:

النوع الأول: تمويل محلي ويشمل ثلاثة مصادر هي :

- تمويل يأتي من الجمعيات ذاتها من خلال اشتراكات الأعضاء.
- تمويل يأتي من الهبات والإعانات والتبرعات من قبل أفراد المجتمع والمؤسسات التجارية.
- تمويل يأتي من الدولة عبر الشركات التي تبرمها مجموعة من المؤسسات الحكومية كوزارة التنمية الاجتماعية والوكالة الوطنية للتنمية الاجتماعية ومؤسسة التعاون الوطني ومؤسسة محمد الخامس للتضامن وهي منح تقدم عن طريق عقد اتفاقيات شراكة بين الجمعيات والهيئات الحكومية العنية²⁶⁸.

النوع الثاني: تمويل يأتي من الخارج أي من المؤسسات غير الحكومية أو الحكومية الأجنبية التي تهتم بدعم الجمعيات النسائية.

سداساً: الصعوبات والمشاكل :

1- ضعف البناء المؤسساتي :

يتمثل هذا الضعف في عدم قدرة كثير من الجمعيات على اعتماد التخطيط الاستراتيجي في عملها وعدم وجود بناء مؤسساتي لهياكلها

²⁶⁸- انظر: المملكة المغربية، كتابة الدولة المكلفة بالأسرة والتضامن والعمل الاجتماعي، أشغال اليوم الدراسي حول: "آية شراكة مع الجمعيات بأوضاع المرأة في المغرب"، الرباط، 21 ماي 2003م، ص.35/23:

وضعف آليات التقييم والمتابعة لعملها، وتؤدي المشاكل التي تترتب عن هذا الجانب إلى إضعاف قدرة هذه التنظيمات على الاستمرارية.

2- مشكل النقص في الأطر البشرية :

تفتقر أغلب الجمعيات النسائية غير الحكومية إلى الأطر القاربة والمتفرغة لتسهيل وتطوير عملها. فأغلب هذه الجمعيات تعتمد على العمل التطوعي أي على الوقت الثالث للنساء اللواتي يشكون غالبيهن من كثرة الالتزامات الاجتماعية والعائلية داخل البيت وخارجـه²⁶⁹. وينضاف إلى هذا المشكل ضعف كفاءة غالبية الأطر المتقطعة، وغياب برامج تكوينية لسد هذا النقص، الشيء الذي جعل عمل هذه الجمعيات ارتجاليةً وموسمياً في أغلب الأحيان. وتحاول بعض الجمعيات تجاوز هذه المشاكل المادية عن طريق البحث عن صفة المنفعة العامة لاستفادة من دعم الدولة ودعم المنظمات الدولية، إلا أن هذا الامتياز يبقى حكراً على بعض المنظمات دون غيرها.

3- ضعف الاستقطاب:

يرتبط ضعف الاستقطاب عند كثير من الجمعيات النسائية غير الحكومية بعدة عوامل أهمها:

أ- صعوبة إقناع النساء بالانخراط في العمل الجمعوي التطوعي غير المربح مادياً.

ب- انتشار الأمية والجهل.

ج - عدم التزام العضوات بالحضور وبإنجاز ما يوكل لهن من الأعمال والمهام.

د - انهماك المرأة في الواجبات المنزلية والمهنية.

هـ - عدم القدرة على تكوين الخلف في صفوف الفئات الشابة.

²⁶⁹- انظر : منتدى الزهراء للمرأة المغربية، المرأة الموظفة والتوزيع بين الأدوار، الرباط، سلسلة الزهراء، العدد الثاني، ط:1، ص:12.

4 - ضعف التنسيق بين هذه الجمعيات :

يشكو العمل الجمعوي النسائي من التناقض الموجود بين مكوناته وضعف التنسيق فيما بينها. ويرجع ذلك أساساً إلى تبعية أغلب هذه الجمعيات إلى اتجاهات فكرية وسياسية مختلفة فيما بينها، وعدم وجود أرضية للعمل توحد جهودها.

5 - مشكل التمويل:

تعاني كثير من الجمعيات النسائية من ضعف مواردها المالية الشيء الذي يضطرها إلى الاعتماد على مساعدات مالية غير ثابتة، مما يجعل استمرارها في إنجاز مشاريعها رهينا بتدبير التمويل. ومن جانب آخر يطرح الاعتماد على الدعم والتمويل الخارجي عدة مشاكل ترتبط أساساً بارتباك الجمعيات المستفيدة من هذا الدعم لأجندة الهيئات المانحة إلى جانب عدم استمرارية هذا الدعم.

وختاماً نؤكد أن الجمعيات النسائية المغربية تضطلع اليوم بأدوارتنمية هامة في مجال النهوض بالمرأة خاصة وفي مجال التنمية الاجتماعية عموماً ضمن النسيج الجمعوي الوطني، غير أن كسب هذا الرهان يرتبط بمدى قدرة هذه التنظيمات على بناء عمل نسائي جاد قادر على مواكبة هموم المرأة المغربية وتأطيرها والاستجابة لتطوراتها وفق أجنددة وطنية تنطلق من القيم الأصيلة للمجتمع المغربي و تستلهم في نفس الوقت التجارب الإنسانية الرائدة في هذا المجال .

المرأة العربية بين التنمية وإكراهات العولمة

د. أسماء الشدادي

أستاذة بكلية العلوم والتكنولوجيا - طنجة - المغرب

1- المرأة العربية والتنمية:

تشير تقارير التنمية مؤخراً على أن نجاح برامج التنمية وضمان استدامتها وقدرة المجتمعات على مواجهة التغيرات العالمية والتكيف معها مرهون بمشاركة العنصر البشري وحسن إعداده وتأهيله.

فقضايا التنمية يجب أن تطرح بصفة شاملة عبر وضع الإنسان رجلاً وامرأة في صدارة الاهتمام كقوة لتحقيق التنمية وطرف مؤهل لاقتسام نتائجها، فالتنمية بهذه الرؤية يجب أن تجعل من أهدافها الأساسية تحسين أوضاع النساء و توفير الفرص المتكافئة لهن مع الرجال باعتبارهن نصف المجتمع في المشاركة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

بالنسبة للدول العربية هناك ارتباط جوهري بين المرأة العربية والتنمية البشرية بشكل خاص لأنه لا يمكن الحديث عن تنمية المرأة في ظل ضعف و تراجع معدلات التنمية البشرية في كل المجتمعات العربية مع ما يصاحب ذلك من عوامل معيبة مثل انتشار الأمية والفقر والبطالة وضعف التعليم الجامعي ونقص التدريب الفني وهي أمور تقلل من حجم المشاركة في جهود التنمية فإذا أضفنا إلى ذلك العوامل التي تتعلق بعدم توفير الفرص للإعداد الكافي للمشاركة في الحياة العملية كالفرص التي أتيحت للرجل من حيث استفاداته من التأهيل لشغل وظائف معينة كالوظائف القيادية، يتضح لنا حجم المشكلات التي تقف حاجزاً أمام تنمية المرأة العربية بالشكل المطلوب.

تظل البلدان العربية بوضعها الحالي من حيث مؤشرات التنمية البشرية أكثر حاجة لإشراك نسائها في خطط وعمليات التنمية وإدماجهن في المشاريع الرامية إلى تحسين نوعية الحياة وتأسيس بيئة أفضل بحيث يمتلكن التعليم والتدريب والتأهيل الملائم لمواجهة تحديات العصر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ورغم ما يبدوا في الظاهر من أن البلدان العربية قد قطعت أشواطاً عديدة من أجل إدماج المرأة في برامج التنمية فإن ما تحقق من تقدم فعلي يبعد كثيراً عن ما سطّرته الاتفاقيات الدولية أو العربية أو حتى ما أقرته التشريعات الوطنية في كل الدول العربية حيث تشير البيانات المستخلصة من الدراسات والإحصائيات التي تقدم من طرف المؤسسات المهمة بأوضاع المرأة سواء منها الرسمية أو عبر تقارير منظمات غير حكومية على أن أكبر نسبة من الأممية توجد ضمن النساء وخصوصاً المرأة الريفية حيث قد تصل إلى 80 في المئة وتبعد نسبة بطالات النساء ضعف بطالات الرجال بين الشباب العربي 19-30 سنة، رغم أن 20 في المئة من الأسر المصرية تعولها امرأة مقابل 17 في المئة في المغرب و10 في المئة في الأردن، وبالنسبة مثلاً للمرأة الريفية حيث العمل الزراعي جزء لا يتجزء من واقعها اليومي ف 96.87 في المئة من نساء الريف مشتغلات بالزراعة والرعى ولكن قلماً تستقل المرأة الريفية مادياً إذ أن 82 في المئة من النساء الريفيات ليس لديهن أي اطلاع على الوسائل الحديثة للخدمات.

2- المرأة العربية و حماية البيئة:

شهدت نهاية القرن الماضي تنامي الوعي لدى جميع الدول بقضايا البيئة واتضح جيداً هذا الوعي من خلال لجنة 1983 الذي استعمل لأول مرة مصطلح التنمية المستدامة والذي يقصد به "التنمية المبنية على التسبيير الجيد للموارد المتاحة بما يخدم الأجيال الحالية مع عدم رهن مستقبل الأجيال القادمة وحفظ حقها في حياة رغيدة وبيئة نظيفة". هذا التقرير كان أساس عمل مؤتمر ريو دي جانيرو 1992 الذي اهتم بشكل رسمي بهذا الموضوع من خلال المصادقة على جدول أعمال القرن 21 الذي أسس من الناحية النظرية لمفهوم التنمية المستدامة التي تأخذ بعين الاعتبار

الجانب البيئي وتأكد صلة التكافل القائمة بين المحافظة على البيئة وبين التنمية والقضاء على الفقر.

أما في ثاني مؤتمر لقمة الأرض الذي سمي بالقمة العالمية حول التنمية المستدامة جوهانسبرغ جنوب إفريقيا 2002 فقد تم التأكيد على أن البشر هم محل اهتمام التنمية المستدامة وهذا أيضاً ما أكدت عليه لجنة حقوق الإنسان للمفوضية العليا للأمم المتحدة في توصياتها لسنة 2003 حيث أكدت على العلاقة الموجدة بين حقوق الإنسان والبيئة والتنمية المستدامة.

ومن خلال هذه التعريفات يمكن استخلاص أهم العناصر المكونة للتنمية المستدامة وهي :

- تحقيق تنمية اجتماعية بين مختلف فئات المجتمع.
- تحقيق النمو الاقتصادي والتوزيع العادل للموارد والثروات.
- المحافظة على البيئة وحمايتها.
- �احترام التنوع الثقافي في المجتمع.
- تحقيق توازن بين المدن والأرياف وإحداث تهيئة عمرانية مناسبة.

فالثورة الصناعية في مطلع القرن الماضي أدت إلى استغلال مفرط وغير عادل لموارد البيئة حيث أصبحت العقلية الصناعية تتحدى نفسها في كيفية زيادة حجم الإنتاج وتحقيق أكبر عائد اقتصادي في عالم يتسم بتطور العلوم والتكنولوجيا ويتضخم حجم المعرفة وتبادل المعلومات وسرعة الاتصال والسير على وتيرة تصاعد استغلال المواد الخام دون الأخذ بالاعتبار التوازن الطبيعي للبيئة مما يجعل معدل تدهور الحياة مع الزمن يصل إلى درجة تفوق قدرة البيئة الطبيعية على إعادة توازن الحياة مما يشكل مخاطر كبيرة على وجود الإنسان وحضارته.

ولضبط العلاقة بين الإنسان وب بيئته يرى البيئيون أن ضدية الإنسان نحو الطبيعة ينبغي أن تتحول إلى توافق بين الطرفين من خلال الوعي البيئي عند الناس والتركيز على مناهج التعليم البيئي وال التربية البيئية.

وعلى الرغم من التقدم الذي استطاعت المرأة العربية إحرازه في عدة ميادين إلا أن دورها كقائد فعال في حماية البيئة لا زال يعترض بعض المعيقات، فالآرقام الحالية تقول أن هناكآلاف الجمعيات العاملة في مجالات المرأة والبيئة بيد أن الواقع يؤكد أن هذه الجمعيات لا تؤدي أدوارها بالشكل المطلوب حيث يقتصر دورها في بعض الأحيان على تنظيم الندوات والمؤتمرات و إخراج التوصيات دون إشراك عموم النساء في بلورة النقاش والوعي بأهمية الموضوع ودون متابعة تنفيذ التوصيات وتفعيل القوانين المسيطرة على أرض الواقع عبر تشكيل قوة ضغط على المؤسسات والهيئات الرسمية.

فالمرأة العربية مرشحة لأن تلعب أدواراً طلائعية في مجال التربية البيئية لأنها المسؤولة داخل الأسرة عن تربية الأطفال كما أنها المسؤولة عن تهيئة الظروف البيئية المناسبة لنمو قدرات الطفل الجسمية والعقلية والنفسية والتربوية باعتبارها أول مربية بيئية للطفل وهي المسؤولة الأولى عن تغيير السلوكيات غير المنضبطة بيئياً، وهذه المسؤولية تتبع من كونها مربية سواء كأم أو كعاملة في قطاع التعليم بجميع مستوياته من الحضانة إلى التعليم الثانوي والعلمي مع التركيز على أن المرأة العربية اكتسحت هذا الميدان خصوصاً الأولي منه، وكمثال على ذلك:

– تستخدم المرأة مصادر الطاقة أثناء قيامها بالنشاطات اليومية ويعتبر توجيهها للأطفال للحد من استهلاك الطاقة دوراً أساسياً في تنشئة أجيال جديدة على دراية بأبعاد مشاكل الطاقة.

– المرأة مسؤولة عن ترشيد استهلاك المياه في المنزل، ووعيها بأهمية هذا العنصر يجعلها تشارك في توجيه الأطفال إلى الطرق السليمة للاستفادة من هذه الثروة وعدم هدرها.

– المرأة مسؤولة عن توعية الأطفال بأهمية المساحات الخضراء وعدم قطع الأشجار .

- المرأة مسؤولة عن تدبير النفايات المنزلية ووعيها بخطورة هذا الأمر يدفعها إلى تربية الأطفال على تجنب التصرفات غير المسؤولة كتلويث المياه والغابات ورمي القمامه في الأماكن العامة.

- المرأة في الريف مسؤولة عن تدبير موارد الطاقة الطبيعية، وإشراكها في التربية البيئية يجعلها أكثر حرصاً على المحافظة على الثروة الغابوية.

3- المرأة الشغيلة بمدينة طنجة بين التنمية المستدامة و اكراهات العولمة:

في الوقت الذي بدأ فيه الحديث في الوطن العربي عن التنمية المستدامة ودور المرأة العربية في إنجاح برامج التنمية والمحافظة على البيئة بدأت العولمة تغزو المجتمعات العربية وتفرض سلطتها، والعولمة من المفاهيم الجديدة التي بدأ تداولها منذ العقد الأخير من القرن الماضي واقترب ظهورها بانتهاء الحرب الباردة وابتداء ما يصطلح عليه بالنظام العالمي الجديد وهو نظام تمت صياغته لإحداث تنميـة سياسـي واقتـصـادي وجـتمـعـي وثقـافـي وإـعلامـي واحد تتبعـه جـمـيعـ المـجـتمـعـاتـ وتـلـزـمـ الـحـكـومـاتـ بالـتـقـيـدـ بـهـ وـتـطـبـيـعـهـ.

ولعل من أبرز ملامح العولمة الاقتصادية حركة الاستثمارات الدولية وسياسة الأسواق المفتوحة والشركات المتعددة الجنسيات التي بدأت تبني مصانعها وشركاتها أينما يحلوا لها بمجرد أن تتوفر اليـد العاملـة الرخيصة والمـواد الخامـةـ .

وفي هذا الإطار قامت مجموعة من العامل والشركات الأجنبية بالاستقرار بمدينة طنجة المغربية نظراً لوقعها الجغرافي (قربها من أوروبا حيث يتم تصدير البضائع مباشرة عبر مضيق جبل طارق) ولتوفرها على مناطق صناعية مجهزة وبنية تحتية ملائمة أحدثت لاستقطاب الاستثمارات الأجنبية.

يستقبل مركز الاستماع والتوجيه الأسري التابع لجمعية كرامة لتنمية المرأة بطنجة العديد من النساء اللواتي يلجئن إلى الجمعية طلباً

للمساعدة حيث يعمل المركز على تقديم الخدمات القانونية والاجتماعية والاستشارية وعلى تفعيل آليات الصلح في حل المشاكل العائلية. من خلال البيانات الخاصة بجميع الحالات حاولنا أن نقدم بعض الأرقام و المعطيات الخاصة بالنساء اللواتي يشتغلن، واللواتي استقبلهن المركز خلال الفترة الممتدة من ديسمبر 2005 إلى فبراير 2007 ويصل عددهن إلى 500 امرأة تشكل النساء المشتغلات(140) نسبة 28 في المئة منها وزعن على الشكل الآتي:

نوع العمل	مستخدمة بمعمل	خادمة في البيوت	موظفة حكومية	مستخدمة بالقطاع الخاص	المجموع
العدد	55	30	19	36	140
النسبة المئوية	39.3	21.4	13.6	25.7	100

الحالة الإجتماعية	متزوجة	متخلّى عنها	عازبة	مطلقة	المجموع
العدد	81	28	21	10	140
النسبة المئوية	57.8	20	15	7.2	100

المستوى الدراسي	أممية	أساسي	ثانوي	جامعي	المجموع
العدد	62	47	17	14	140
النسبة المئوية	44.2	33.6	12.2	10	100

نوع المشكل	عنف	إدمان	نفقة	تحرش	طفل غير شرعي
العدد	56	25	57	4	20
النسبة المئوية	40	17.9	40.7	2.9	14.3

وقد حاولنا في هذا العرض التركيز على النساء المستخدمات في المعامل حيث أن جل هذه المعامل هي معامل ذات رأس مال أجنبى مستقرة بالمنطقة الصناعية بطنجة في إطار الاستثمارات الخارجية و يبلغ عدد العاملات 55 امرأة موزعة على الشكل الآتى:

الحالة الإجتماعية	متزوجة	متخللى عنها	عاذبة	مطلقة	المجموع
العدد	29	10	11	5	55
النسبة المئوية	52.7	18.3	20	9	100

المستوى الدراسي	أممية	أساسي	ثانوي	جامعي	المجموع
العدد	20	30	3	2	55
النسبة المئوية	36.4	54.5	5.5	3.6	100

نوع المشكل	عنف	إدمان	نفقة	تحرش	طفل غير شرعي	المجموع
العدد	17	7	22	2	11	55
النسبة المئوية	30.9	12.7	40	3.6	20	100

التعليق: نستنتج من خلال هذه الجداول المعلومات التالية:

- 28% من النساء اللواتي وفدن على مركز الاستماع والتوجيه الأسري التابع لجمعية كرامة لتنمية المرأة بطنجة هن نساء شغيلات تشكل نسبة المستخدمات منهن بالمعامل 39.3% مما يبين حجم المشكلات التي تتخبط فيها هذه الفئة و حاجتها للدعم والمساعدة.

- فقط 57.8% تعيش داخل نواة أسرية، بينما الباقي هن نساء متخللى عنهن أو مطلقات أو أمهات عازبات مما يدل على هشاشة أوضاعهن الأسرية.

- ٤٤.٢٪ أميات مما يشكل عائقاً أمام كل تحسين لوضعياتهن العملية.
- ٤٠٪ تعاني من مشاكل العنف داخل الأسرة وحوالي ٤٠٪ هن العيلات لأنفسهن ولأسرهن.
- تشتكى حوالي ٣٪ من العاملات من التحرش الجنسي داخل فضاء العمل مع العلم أن الغالبية العظمى من النساء المغريبات اللواتي يتعرضن لهذه الانتهاكات لا زلن غير قادرات على التبليغ.
- في إطار تعميق البحث حول ظروف العمل تم التوصل إلى المعلومات التالية :
- أعلى أجر تتقاضاه هؤلاء النساء هو الحد الأدنى للأجر مع العلم بأن الحد الأدنى للأجر بالمغرب هو حوالي 200 دولار أي ربع أو خمس الحد الأدنى للأجر بأوروبا مثلا.
- نسبة العاملات اللواتي يتوفرن على التغطية الصحية والضمان الاجتماعي لا تتعدي ٣٪.
- لا يتتوفر أي معلم على مطعم خاص بالعاملات أو مكان مجهز و مخصص للأكل.
- لا تتتوفر المعامل على دورات مياه كافية حيث يكثر الازدحام على هذه الأماكن خلال فترة التوقف الخاصة بالأكل.
- لم يعرض على أية عاملة أن تستفيد من برامج محو الأمية في نطاق عملها.
- لم يعرض على أية عاملة أن تستفيد من تكوين ينمّي قدراتها المهنية لتحسين وضعياتها.
- ليس لأية عاملة معرفة بالمشاريع المدرة للدخل ولا بالتعاونيات.
- لا يترك للعاملة حق الاختيار بالنسبة لأوقات العمل إذا كانت هناك نوبات ليلية، بل يفرض عليها الالتزام بالعمل ليلاً ولو كان يتعارض مع وضعياتها الاجتماعية كزوجة وأم تحت طائلة الطرد من العمل.
- انعدام التواصل الكلي بين العاملات وأرباب العمل.

- العاملات اللواتي لا يتوفرن على التغطية الصحية لا يستفدن من إجازة الأمومة ولا من العلاج.

الوصيات:

من خلال نتائج هذا البحث الميداني اتضح لنا حجم المشاكل التي تعاني منها المرأة المشتغلة بالعامل ذات الرؤوس الأموال الأجنبية والتي رغم الأرباح التي تجننها عبر اليد العاملة الرخيصة لا تقوم بأي جهد من أجل المساعدة في تحسين وضعية المرأة المغربية المشتغلة بها حيث يقتصر دورها على خلق فرص شغل بأجور متدنية دون أن تساهم في تكوين يد عاملة محترفة ولا في نقل التكنولوجيا إلى هذه العمالة.

يجب التأكيد على أنه من أجل ضمان استفادة المرأة من برامج التنمية التي تسيطرها المؤسسات المهتمة بشؤون المرأة لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار وبصورة ملحة وأولوية المقترنات التالية:

- يجب القضاء على أمية الإناث وإلزامية التعليم لهن بتدخل مباشر من الدولة.

- يجب العمل على زيادة وعي المرأة بالمشاكل البيئية وانعكاساتها على صحة أفراد الأسرة، والمجتمع و مستقبل الجنس البشري ككل.

- يجب العمل بصورة مستعجلة على خفض نسبة الفقر وإزالة أسبابه و تخفيف آثاره على المرأة و التوسيع في برامج المشروعات الصغيرة و التعاونيات النسائية.

- حت الحكومات على سن و تنفيذ تشريعات من شأنها الحد من آثار العولمة على النساء عبر حمايتها من الاستغلال الاقتصادي وعبر إلزام العامل و الشركات ذات الرؤوس الأموال الأجنبية على معاملة العاملات المحليات نفس المعاملة التي يعاملن بها نظيراتهن في الدول المتقدمة و عدم التهرب من إقرار نفس الامتيازات.

- يجب تقريب برامج التنمية من كافة النساء وتحسيسهن وتوعيتهم بأن هذه البرامج لا تقتصر على فئة دون أخرى.

الوصيات الصادرة عن الملتقى العربي الخامس حول دور المرأة العربية في التنمية المستدامة

16 – 2007 نوفمبر

- 1.** العمل على تقوية العلاقات في العالم العربي بين الهيئات والمنظمات المشغولة على قضايا المرأة والأسرة، من أجل صياغة ميثاق عربي يحمي الأسرة كوحدة اجتماعية أساسية.
- 2.** تأسيس منتدى عربي إسلامي للأسرة يضم الجمعيات والهيئات النسائية التي تعمل على تقوية وتفعيل مؤسسة الأسرة في مجتمعاتنا، وتساهم في نشر ثقافة أسرية هادفة وبناءة.
- 3.** توجيه اهتمام منتدى الأسرة لإنجاح برامج إعلامية وتربوية تسعى إلى ترسیخ الوعي بأهمية انخراط المرأة في التنمية.
- 4.** العمل على توسيع مشاركة المرأة في عملية بلورة وصنع وتنفيذ وتفعيل القرار، ورسم السياسات العامة للدولة وذلك بالتنسيق والتعاون مع المؤسسات الرسمية الحكومية وغير الحكومية المعنية بالأمر.
- 5.** تكثيف الدورات التدريبية والورشات المتخصصة من أجل العمل على إيجاد كوادر نسائية مؤهلة لقيادة مشاريع التنمية في العالم العربي والإسلامي.
- 6.** اتفقت الحاضرات في الملتقى على أن يتكلف المنتدى بصياغة ورقة بموضوع الشبكة أو المنتدى، وإرسالها إلى الوفود العربية لمناقشتها مع هيئاتهم وعلى ضوء إجابتهم تصاغ الورقة النهائية.

الفهرس

3	تقديم
5	الجلسة الافتتاحية
5	كلمة السيدة سمية بنخلدون : رئيسة منتدى الزهاء للمرأة المغربية
8	كلمة الأستاذ الدكتور حسين الدوري : ممثل المنظمة العربية للتنمية الإدارية - جامعة الدول العربية
12	كلمة السيدة نعيمة بنيحيي : مديرية شؤون المرأة والأسرة والطفولة ممثلة وزيرة التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن
16	كلمة السيدة لطيفة أخرباش : كاتبة الدولة لدى وزير الخارجية والتعاون
19	السيدة آمنة عمير بن يوسف : كلمة الوفود العربية المشاركة
22	كلمة السيدة حنان الحداد مشرفة الخلايا النسائية التابعة للمجالس العلمية المحلية بال المغرب

المحور الأول:

31	المرأة العربية والتنمية المستدامة : إطار مفاهيمي
32	التصور القرآني للتنمية ودور المرأة :
49	- د. فريدة زمرد.. أستاذة بدار الحديث الحسنية وسائل تعزيز دور المرأة العربية في التنمية رؤية تحليلية مستقبلية
95	- د. رقية طه جابر العلواني.. كلية الآداب / جامعة البحرين. دور المرأة العربية في التنمية المستدامة التنموية السياسية نموذجا حالة المغرب
95	- ذ. بشينة قوري.. باحثة في علم السياسة و القانون الدستوري جامعة محمد الخامس-الرباط

المحور الثاني

105	- دور المرأة العربية في تطوير وتنمية البيئة
106	مفهوم النظام البيئي المتكامل
106	- د. أحمد عثمان الخولي .. أستاذ التخطيط العمراني كلية الهندسة ، جامعة المنوفية ، جمهورية مصر العربية

موقع المرأة من الاهتمام بالبيئة

115	- د. أنيسة كحل العيون.. باحثة في قضايا البيئة.....
	مشاكل البيئة العربية وآفاق تطويرها
129	- د. جميلة العماري...أستاذة بكلية الحقوق بطنجة.....

المحور الثالث

145	- دور المرأة العربية في التنشئة الأسرية.....
	وظيفة الأمة البوابة المثلثي لتنمية حقيقة
146	- د. ايمان السلاوي .. باحثة في فقه المرأة.....
	البعد القيمي والديني للتنشئة الأسرية
184	- ذ. نعيمة بن يعيش.. فاعلة جموعية.....
	الإرشاد الأسري بالغرب: الحصيلة والآفاق
195	- د. سميرة بنخلدون.. أستاذة جامعية و فاعلة جموعية.....
221	خلاصة عامة

المحور الثاني :

223	- دور المرأة العربية في تطوير المنظمات والمؤسسات العربية.....
	التنظيمات النسائية المغربية : قراءة في التجربة
224	- ذ. جميلة المصلي .. باحثة في قضايا المرأة و الأسرة.....
	المراة العربية بين التنمية وإكراهات العولمة
244	- د. أسماء الشدادي.. أستاذة بكلية العلوم و التقنيات طنجة- المغرب.....
	الوصيات الصادرة عن الملتقى العربي الخامس حول دور المرأة العربية في التنمية المستدامة 12 - 16 نونبر 2007
253	الفهرس.....